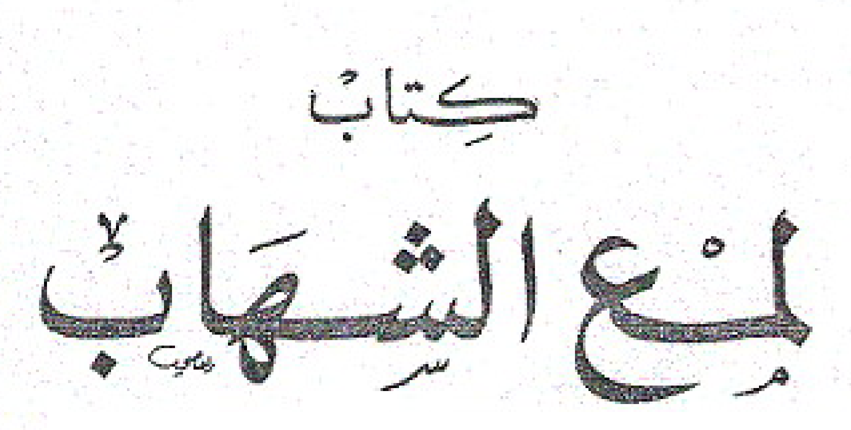




في

سيرة محمد بن عبد الوهاب

تحقيق

الدكتور أحمد مصطفى أبو حاكمه

هذا الكتاب

إن هذا الكتاب الذي نضعه اليوم بين يدي القارىء العربيّ الكريم ، يعنى عناية خاصة بتاريخ أقوام وجماعات من أهله ممّن نزلوا جزيرة العرب والعراق في القرون الحديثة . والمخطوطات التاريخية من هذا النوع نادرة[1] . فعلى الرغم من عناية المستشرقين ومن تبعهم بدراسة التاريخ العربيّ في صدر الإسلام وبعيد ذلك ، فإنّ عناية أقلّ قد وُجّهت الى تاريخنا العربيّ الحديث ، ومن هنا تنبع أهمية كتاب مثل الكتاب الذي ننشره .

فالكتاب يُعنى بتاريخ الجزيرة العربية عامة ، وإن كانت تسميته تومىء بغير هذا، ذلك أن سيرة محمد بن عبد الوهّاب لا تشغل قدراً كبيراً من صفحاته . وفي حين يكتب الشيخ حسين بن غنّام الإحسائي تاريخه المسمّى: روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام ؛ وكذلك عثمان بن عبد الله بن بشر تاريخه : « عنوان المجد في تاريخ نجد » من وجهة نظر وهّابيّة ، ويكتب مؤرخون آخرون من العراق والحجاز تواريخ من وجهة نظر عثمانية تركيّة ، يقف « كتاب لمع الشهاب » موقفاً محايداً بين الطرفين ، وهو أمر يستطيع القارىء أن يتبيّنه في يسر ، إن كان ممّن تيسّر له الاطّلاع على كتابات أنصار الحركة الوهّابية وأعدائها .

وكتاب « لمع الشهاب » يتحلّى بصفات أخرى عديدة ، لعلّ من أهمّها أنه

---

(١) انظر مؤلفات حميد بن محمد بن رزيق في ثبت المراجع .

أفرد أبواباً خاصة لحالة القبائل العربية [١] تناول فيه بعضها بتفصيل لا نعرف له نظيراً في أيّ مرجع آخر (انظر الفصل الخاص ببني خالد) . وأما تحري المؤلف الدقة فهي ميزة استطعنا أن نستدل عليها من مقارنة أخباره بما ورد في سجلات شركة الهند الشرقية الانجليزية المحفوظة بوزارة شئون الكومنولث Common Wealth بلندن .

والكتاب ليس مجهولاً بالنسبة لدارس تاريخ الجزيرة العربية في العصور الحديثة ، فقد أدرج ذكره بعض الباحثين في هذا التاريخ ، ولم يستطيعوا ان يغفلوا قدره ، وإن لم يتمشّ مع رغباتهم ، وقد علمت ان أكثر من جهة قد حصلت على صور فوتوغرافية لهذه المخطوطة الفريدة من المتحف البريطاني بلندن .

أما كيف وصل هذا المؤلف للمتحف البريطاني ، فذلك أمر يجلوه ما كتب على آخر صفحاته باللغة الانجليزية إذ كتب : اشتري هذا الكتاب من السيدة تيلور Mrs. Talor بتاريخ ابريل عام ١٨٦٠ . والسيّدة تيلور هذه هي زوجة الكابتن تيلور ، أحد عمّال بريطانيا في الخليج العربيّ . ويبدو أن الكابتن تيلور ، شأنه شأن غيره من عمال بريطانيا [٢] ، كان يجيد اللغة العربية ، فقد دوّن بقلم الرصاص ملحوظات كثيرة على هوامش الكتاب ، وذيّله بفهرست .

والكتاب بخط النسخ الجميل المدوّن على ورق أبيض صقيل ، هو في أغلب الظن من صناعة إيطالية [٣] .

---

(١) انظر كتاباً معاصراً للمع الشهاب عني بالقبائل العربية خاصة وهو: كتاب الدرر المفاخر في أخبار العرب الأواخر لحمد بن البسام النجدي «مخطوطة بالمتحف البريطاني» .

(٢) مثلاً جيمس كلاوديوس ريتشي ، المقيم البريطاني بالبصرة ، وكان يتقن اللغة العربية والفارسية والتركية ومن مقتنياته « كتاب الدرر المفاخر » المشار إليه آنفاً وغيره من المخطوطات النفيسة المحفوظة بالمتحف البريطاني .

(٣) هذا رأي خبير في المتحف البريطاني بلندن دوّنه لي إثر استفسار خاص .

وتجدر الإشارة إلى أن المجلد الذي به « لمع الشهاب » يضم سفراً آخر هو « كتاب التوحيد » وهو من تأليف الشيخ محمد بن عبد الوهّاب ، وعلى نفس الورق ، غير أنه بقلم كاتب آخر [1] .

وفي تحقيقي لهذا الكتاب صوبت امــلاءه على مقتضى قواعدنا الاملائية المعاصرة ؛ فأما الأخطاء النحوية فقد تركتها على حالها ؛ وأشرت إلى وجه الصواب في الحواشي .

أحمد أبو حاكمة

* * *

---

(١) الذي نسخ « لمع الشهاب » هو جمال بن أحمد الريكي ، وأما « كتاب التوحيد » فبخط عبد العزيز بن عبد الوهاب .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مبين المعضلات [1] وكاشفها ، ومنشىء الخليقة وبارئهـــا ، والصلاة والسلام على من أرسله من أعلى العرب وأشرفها ، وعلى آله وصحبه النائلي الفضائل أحمدها ، وبعد : فلا يخفى على ذوي الألباب والبصائر ، وأهل [٢] الذكوة [2] والذخائر ، أن علوم الورى أشتات ، وأن الحاصل منها خير مما فات ، لهذا سنح لي أن أجمع كتاباً من السير حسب جهدي ، فيما حكي عن أخبار الشيخ النجدي ، محمد بن عبد الوهاب ، ومن والاه بالاحتساب ، ليقف عليه الأقصى ، بالعـــد والإحصا ، ومستمداً من الله حصول مـــا أنا فيه ، ومن وثق به فهو كافيه ، وهو مرتب على خمسة أبواب وخاتمة :

الباب الأول : في [٣] بدء أمر الشيخ النجدي وبيـــان أحواله وما هو عليه قبل الابتداع وإظهار نسبه وحسبه .

الباب الثاني : في بيـــان بدعته وسبب شيوعها في أرض نجد وموافقة محمـــد ابن سعود له بادي الأمر .

الباب الثالث : في بيان نسب محمد بن سعود وحسبه وما كان عليه قبل اتباع محمد بن عبد الوهاب .

الباب الرابع : في سلطنة محمد بن سعود وابنه عبد العزيز وولديه : سعود وعبد

---

(١) ص : العضلات .

(٢) يريد : الذكاء .

الله بن سعود [٤] بعده وابتداء حكومتهم في نجد ونواحيها ، بدواً وحضراً ، وأسماء القبائل التي هناك ، وبيان تسخير بلاد بـني خالد والاحسا (١) والقطيف والبحرين وقطر وعمان الصير (٢) وبعض بلاد عمان الظاهرة والباطنة وحروبهم وغزوهم أطراف العراق والشام وحلب .

الباب الخامس : في بيان تملكهم بعض الحجاز والتهامة وبلاد اليمن وبيان حدود بلاد نجد والحجاز [٥] وتهامة واليمن وأرض بـني خالد وقطر وعمان، وما يتعلق بذلك من أسماء قبائل الحجاز وتهامة واليمن وعمان ، وأسماء شعوب بني خالد وما كانوا بـه من الرياسة قبل ظهور محمد بن سعود .

وأما الخاتمـة فهي في بيان جملة من فروع مذهب محمد بن عبد الوهاب وبعض أصوله .

وسيأتي بحـول الله على وفـق ما أوعدنا (٣) به مفصلا باباً باباً ، تحت كلّ منها فروع وفصول [٦] إلى أن يكمل المأمول .

---

(١) ص : الاحصا . والاحساء اقليم في شرقي الجزيرة العربية ويكتب أحيانا الحسا ، وهو يخضع حاليا لحكم آل سعود .

(٢) يطلق على هذا الجزء من ساحل الخليج العربي اليوم اسم ساحل المصالح أو المهادن وهو يمتد من قطر شمالاً الى رأس الخيمة جنوبا .

(٣) كذا في ص، وصوابه «وعدنا»

الباب الأول [1]

- ١ -

[فصل في ذكر سياحة محمد بن عبد الوهاب]

أنبأنا من يوثق به عن بعض المعاصرين للشيخ النجدي محمد بن عبد الوهاب أنه طلب العلم وهو حدث ، وكان يبالغ في الطلب ، ذكيّ الفهم حريص التعلم ، وكان يقرأ على يد رجل اسمه الشيخ عبدالرحمن بن أحمد من أهل بُرَيْدَة ، هاجر من بلده إليها ولازم صحبته ست عشرة سنة حتى أدرك منه علوم الآلات من العربية كالنحو والصرف والمعاني [٧] والبيان وعلم البديع ، وقرأ عليه الحديث النبوي منه كتابي [2] البخاري ومسلم ومسند أحمد بن حنبل ، رضي الله عنهم ، ثم بعد ذلك اتبع الشيخ حسان التميمي في بلاد القصيم وتتلمذ على يده في علم الفقه والتفسير سبع سنين حتى صار ماهر [3] يرجع إليه في الفتوى . فلما بلغ عمره سبعاً وثلاثين سنة خرج من أرض نجد قاصد البصرة ، فحين دخل البصرة أخفى أمره ممّا هو فيه من العلم وتلبّس بثياب [٨] العبادلة ، وجلس في مسجد محلة المجموعة مع أبناء السبيل ، يرتزق من الناس شيئاً يمونه [4] . وقيل إن بعض

---

(١) في الأصل باب ١ .

(٢) كذا في الأصل .

(٣) الصواب: ماهراً .

(٤) في الأصل : يمّونه .

التجار من أهل نجد صادفه فعرفوه فأنكرهم لما سألوه عن حاله ومنزله . وكانوا يتحدثون فيه في مجالس أهل البصرة ويقولون ههنا شيخ من نجد كذا وكذا علمه وشهرته ، فطن لبيب ، لقيناه بالأمس فعرفناه وأنكرنا ، فتحذروا من أن يحدث في [٩] بلدكم شيئاً ، وإنما قالوا ذلك عداوة له ، لأنه أخفى أمره عليهم فلم يستحسنوه .

فتجسس بعض الناس عنه فاطلعوا عليه وسألوه عن شأنه فلم يجيبهم[١] بشيء ، فرفعوا خبره إلى الحاكم ، وكان حينئذ عمر آقا[٢] مسلتم[٣] البصرة ، فأرسل عقبه شروطاً فأتوه به ، وأخذ يتحدث معه ويبدي له محبة وإكراماً ، فرآه رجلاً فهيماً عاقلاً ذا فنون من العلم والأدب ، فنادمه أياماً وهيأ له مسكناً [١٠] ومؤنة ، ورغب كثير من أهل البصرة بصحبته ؛ وكان من جملتهم الشيخ أنس من كبار أعيان البصرة ، فتحاسد الخلق حينئذ من صحبته ، حتى قيل إنه من شدة ازدحام الناس عليه ينصب له كرسي فيجلس عليه والجماعة تحدق به ، فيحدث بالأحاديث الغريبة ويفسّر بالتفاسير العجيبة . وقد أقام على هذا أربع سنين .

فلما عزل عمر آقا عن البصرة وحكمها جرجس آقا مسلتما ، ورفع القاضي [١١] شهاب الدين الموصلي من منصب قضاء[٤] البصرة ، وجعل القاضي حسين الاسلام بولي مكانه ، أنبىء القاضي حسين بخبر محمد بن عبدالوهاب وصيته فأرسل إليه : إني أريد زيارتك غداً ، فقال : حباً وكرامة . فحين أصبح الصباح ركب القاضي حسين مع تلاميذه وحشمه حتى أتوا الشيخ محمد بن عبدالوهاب فلما

---

(١) الصواب : يجبهم .

(٢) وتكتب أيضاً آغا .

(٣) متسلتم البصرة وكانت بغداد باشوية والبصرة متسلمية تتبعها .

(٤) في الأصل : قضا .

سمع بوصولهم إلى الباب قـــام فالتقى القاضي وعانقــه ، وأجلس أعلى مجلس ، فقال القاضي حسين: [١٢] أيها الشيخ ، بلغني عنك أنك تحدث الناس بأحاديث لم تعهد في كتاب العلماء ، وتفسر القرآن بوجوه لم ينزلها رب النساء ، أتريـد أن تحدث أمراً في الدين ، أم اشتبهت عليك طريقة المسلمين ؟ فان لم تمتنع عـن تلك الشبهات الواهية وإلا فيهدر دمـــك ويهتك حرمك ؛ فتعذر هو من القاضي ، وحلف بالله أنه ماقال شيئاً مما نقل إليه وأخذ يظهر الإخلاص ويلتمس ويبدي[١] العجز والانكسار ويقول: رجل غريب طالب علم [١٣] حلّ بأرضكم إن رفقتم به فمثلكم من يكرم الضيف ، وإن أسأتموه فلا ضرر ولا حيف .

فلما سمع القاضي حسين منه هذه الكلمات أمّنه ، وسار إلى بيته . فـلم تمض ثلاثة أيام إلا وقد أرسل إليه بأن الصلاح في شأنك ، أيها الشيخ ، أن تنزل عندنا وتكون مدرساً بالعربية وغيرها من الشرعيات بحضرتنـــا ، ولك على ذلك وظائف[٢] وافرة . فبادر مسرعاً إلى إجابة القاضي ، فأقام عنده يدرس بعض المترددين إليه [١٤] بالعـلم الآلي[٣] والشرعي ، وتضرّع لدى القاضي أن يعلمه شيئاً من علم الهيئة والهندسة لأن القاضي حسين كان مشتهراً بعـــلوم الرياضة ، لا سيا بهذين العلمين ، فقرأ عليه تحرير اقليدس شرح المأمون العبّاسي وكتاب المجسطي والجقميني في الهيئة .

ولم يزل كذلك إلى أن مضى عامان ، فخرج من البصرة مختفياً لم يعلم بـــه أحد ، وسار إلى بغداد ، فالتمس القاضي حسين خبره فلم يعثر عليه حتى ألفاه جمعٌ من بغداد فنبأوه عن حاله [١٥] وأنه بلغ بغداد ، فقال القاضي حسين : أعوذ بالله من شر هذا الرجل وما هو فيه من الرأي ، كاد أن يهـدم الشريعة لولا

---

(١) في الأصل : يبدو .

(٢) الوظائف : جمع وظيفة وهي ما يقابل « المرتب » أو الأجر المقرر .

(٣) العلم الآلي : يريد علوم اللغة والنحو وما أشبه .

أن خاف على نفسه ، وستعلمون ما يكون منه بعد ذلك .

وأما هو ، أي الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، فقد دخل بغداد ونزل مدرسة الوزير واشتغل بدرس علم الكلام على يد الشيخ عبد الرحيم الكردي الشافعي ، وقرأ عليه كتاب صحائف الأعمال ومقاصد التفتازاني [1] .

حكى لنا رجل [١٦] بغدادي أن محمد بن عبد الوهاب أقام ببغداد في المدرسة المعروفة بمدرسة الوزير سنتين لم يخرج منها إلى سوق أو شوارق قط . ثم إنه طلع يوماً من المدرسة بعد السنتين ، فسلك طريقاً لا يدري أين يمضي ، حيث إنه لا يعرف أحداً من بغداد ، فمرّ بمحلة منها رأى هناك جمعاً من الناس يتخاصمون في ميراث بينهم ولم يعرفوا قسمته ، فقال لهم ، أنا أدفع النزاع وأبين الأوزاع [2] ، فقبلوه حكماً . فسألهم كم أنتم [١٧] من الورثة ؟ فقالوا : أربعة رجال وخمس نسوة . قال : المال كم هو ؟ فقالوا ؟ كذا و كذا مثلا ، فقسم بينهم حسب القسمة الشرعية ، وكان هذا النزاع بينهم أيام [3] عديدة لم يرتضوا في فصله على حكم أحد ، وكان بتلك المحلة مسجد جامع كبير ، وعليه وقف كثير ، فأشار إليهم أن يقيم عندهم ويصلي بهم الجمعة وبقية الفروض اليومية ، فاتفقوا على ذلك وأسكنوه منزلاً وتزوج منهم امرأة ذات مال وجمال ، فلبث عندهم ثلاث سنين [١٨] وقد ماتت زوجته ، فقيل ورث منها مقدار ألفي دينار .

وفي عام السادس من وصوله بغداد سار منها إلى كردستان حتى دخلها ولم أدري [4] أي مدينة أم أي قرية حلّ فيها ، إذ الراوي لم يعين لي اسمها ، وأنا ملتزم في هذه الأوراق أن لا أقول إلا ما سمعته وحققته، فاستقرى ديار الأكراد

---

(١) هو المقاصد في علم الكلام للعلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (-٧٩١) ، فرغ من تأليفه سنة ٧٨٤ بسمرقند وله عليه شرح جامع (كشف الظنون : ١٧٨٠) .

(٢) الأوزاع : الحصص .

(٣) كذا ، وصوابه : أياماً .

(٤) كذا في الأصل ، وصوابه : أدر .

بلداً بلداً وقرية وقرية سنة بتمامها ، فخرج يريد الإيران حتى بلغ همذان ، فأقام بها سنتين يدرّس ويدرس .

ومن عجيب حاله أنه كان [١٩] يغير اسمه في كل بلد ، قيل سمّى نفسه في البصرة بعبد الله ، وفي بغداد بأحمد ، وفي الكرد بمحمد ، وفي همذان بيوسف ، وهكذا لم يزل يتخذ التورية والإبهام .

فسار من همذان إلى أصفهان وسكن المدرسة العباسية التي بناها شاه عباس الصفوي ، وكان ذلك آخر عهد الصفوية وأول سلطنة نادر شاه (١) . وطلب هناك علم الحكمة المشّائية على يد ميرزا جان الأصفهاني المحشّي على شرح التجريد فقرأ عنده شرح ملاّ علي القوشجي على التجريد (٢) [٢٠] ثم قرأ شرح المواقف للسيد الشريف (٣) الجرجاني (٤) ، ثم قرأ حكمة العين ، فلم تمضي (٥) أربع سنين إلا وقد كمل في علم حكمة المشّائية ، وشرع يدرّس فيها ، وهو مجهول الحال لا يعرف أهل أصفهان أنه من أي الممالك والطوائف (٦) . وكانوا يقولون : ما رأينا عربياً يستكمل في علم الحكمة غير هذا الرجل . ثم إنه أقام بعد ذلك بأصفهان ثلاث سنين يطلب فيها علم حكمة الاشراقية ومسالك التصوف .

وإني سمعت بعضاً من أهل البصرة يقول: [٢١] حدثنا رجل عجمي أصفهاني عن أمر محمد بن عبد الوهاب أنه بعدما تمرّن في الحكمة الإشراقية وعلم التصوف

---

(١) حكم إيران في النصف الأول من القرن الثامن عشر الميلادي .

(٢) كتاب التجريد من تأليف نصير الدين الطوسي وعليه شروح كثيرة منها شرح علاء الدين علي بن محمد الشهير بقوشجي (- ٨٧٩) وقد لخص فيه آراء الشراح من قبله ، ووضع عليه حاشية ميرزا جان حبيب الله الشيرازي (- ٩٩٥) كانت عمدة الطلاب .

(٣) في الأصل : شريف .

(٤) كتاب المواقف : مؤلف في علم الكلام لعضد الدين الايجي (- ٧٥٦) وشرحه السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني (- ٨١٦) وفرغ منه سنة ٨٠٧ بسمرقند .

(٥) كذا في الأصل ، وصوابه : تمض .

(٦) كذا ، والصواب : لا يعرف أهل أصفهان من أي الممالك والطوائف هو .

جلس في الخلوة واعتزل عن الناس ستة أشهر . ثم مرّ يوماً بسوق من أسواق أصفهان وعليه جبة خضراء ، ورأسه مكشوف كأنه قد جُنّ ، فاعترضه بعض من كان يعرفه قائلاً : لم صيّرت نفسك على هذه الحال ؟ فقال : كنت أعرف نفسي قبلُ لا غير ، والآن عرفت ربي فأردت أن أميز بين الحالتين فكشفت رأسي [٢٢] ولولا أن يعاب عليّ بأكثر من ذلك لتجرّدت من ثيابي وفارقت أحبابي ، وجعل هكذا يقول بيديه يميناً وشمالاً فتبعه جماعة يقتفون أثره إلى أن دخل منزله واستقر، واستأذنوا بالدخول فأذن لهم ، فقالوا : أيها الأستاذ المرشد والمعلم المنجد ، أرشدنا إلى ما أنت فيه فإننا من هذه الساعة قبلناك ، وفي هذا الوقت عرفناك ، وكانوا عشرة أنفار ، فبدأ يعلمهم التصوف وطريقه ، واستمرّ على الارشاد واستجذاب [٢٣] المريد سنة كاملة ، فهجس في نفسه بالحدس أنه إن عُرِفَ بعض ما هو عليه يقتل ويصلب لأنه كان يقول لمريده : ليس على الحق غيرنا .

لكنّه خرج من أصفهان قاصداً الري فمرّ بقرية من قراها وكان معه بعض الدراهم ، فقصد بيت أحد منها ليشتري له متاعاً ، حيث ان القرية لا سوق فيها فلما رآه صاحب البيت قال له : ادخل فدخل قال : بما أتيت ؟ قال : أشتري متاعاً. فقال صاحب البيت : قِم ههُنا حتى آتيك بالمتاع . فخرج [٢٤] صاحب البيت وسار إلى كبير القرية شاكياً إليه أن هذا رجل عربي قد غصبني مالاً كذا وكذا في سنة حجي في أرض نجد (١) ، والآن قدّر عليه فوقع في بلدتنا ، وهو الساعة عندي في بيتي جاء ليشتري متاعاً . فقال رئيس القرية لخادمه : أحضره عندي ، فأحضره . فقال له : هكذا فعلكم أيها العرب الأشرار تتعرضون من يقدم بلادكم وتغصبونه حقه وماله؟ والله لا تبرح حتى توفي كلّ ما أخذته من هذا

---

(١) هذه دعوى لا يؤيدها شيء ، ولعلّ المدعي انتقم من الشيخ - إن صحّ أن ماله غصب - لما لقيه من بعض قطاع الطرق من البدو ، وكان هذا يحدث قبل أن يستتب الأمر في الجزيرة للوهابيين في الربع الأخير من القرن الثامن عشر .

الرجل ، خذوه فغلّوه . فحين [٢٥] سمع محمد بن عبد الوهاب ذلك ، قال لرئيس القرية : أبلدتكم هذه قصدها احدٌ قبلي أم هذا اول الامر ؟ وإنما قال له ذلك ليطول معه الكلام فيبين له الحال ، لعلّه يرق إليه ويعدل . فأجابه الرئيس : هذا كلام لا نسمعه ولا نجيب عنه . اما المال فلا بدّ من أدائه ، فأتوا[1] بالخشب فشدوه واضربوه .

ولما عرف محمد بن عبدالوهاب انه لا يقبل منه سؤال ، ولا يسمع له مقال ، وانه ملزوم ومظلوم لا محالة ، قال : سله كم ذا يطالبني به . فقال كذا كذا وإذا هو مبلغ خطير [٢٦] قال الراوي : حاصل الامر أنهم أخذوا منه كلّ ما عنده من الدراهم والاسباب ، غير الكتب حيث لا غرض لهم بها ؛ فخرج من تلك القرية هو ومزيده ، رجل بغدادي اسمه علي القزاز ، فبلغ قمّ وبقي فيها شهراً كاملاً لا يعرف احداً ولا يعرفه احد ، محتاجاً قليل الحيلة ، قد باع من كتبه لمؤنته . فخرج منها ناح[2] نحو الروم[3] ، فالتقى مع ركب من الروم من اهل أبي لباس فأصحبوه ، وكانوا يسرون الفيافي ، وهو يحدثهم ببعض الاحاديث العربية ، ويفسرها لهم [٢٧] بلغتهم التركية ، فأعجبهم صنيعه وفصاحته ، عربيةً وتركية ، فلما بلغ معهم أبا لباس أكرموه وجمعوا له مالاً جزيلاً ، حيث متعوه وأقاموا بجميع ماله من الواجب ، ومشى على طريقته من مذهب الفقيه المجتهد احمد بن حنبل جمع كثير من أبي لباس ، ولم يحدث هذا المذهب في أبي لباس قبل مجيئه ، بل كانوا على مذهب أبي حنيفة (رض) — كما هو المشهور في بلاد الروم — .

ثم سار من أبي لباس الى حلب ، فأقام فيها ستة اشهر يدرس بالعربية ، فسئل عن علم [٢٨] الحكمة قال لا ادريها ، وهذا من عجايب شانه ، أنه يظهر

---

(١) في الاصل : فاتي

(٢) كذا ، وصوابه : ناحيا

(٣) الروم : بلاد الاناضول .

الامر احياناً وأماكناً(١) وتارة يخفيه .

ثم انه ذهب من حلب يستتبع قرية قرية الى أن دخل دمشق الشام ، فلبث فيها سنة ، ولم يذكر لي ما جرى له فيها .

ثم مضى منها الى قدس الخليل ، فبقي هناك شهرين . قال بعض من حدثنا عن خبر محمد بن عبدالوهاب يقول : خرج من زيارة بيت المقدس وعمد إلى مصر فأقام فيها سنتين وأيام (٢) قلائل وكان مسكنه الجامع الأزهر في المدينةالقاهرة ، وتعلم [٢٩] هناك علم الاسطرلاب وعلم الاعـداد على يد الشيخ محمد الملقب بزين الدين المكني بأبي عبدالله المغربي .

ثم انه انحدر الى السويس وركب السفينة فأتى ينبع فنزل هناك ، ثم دخـل المدينة المنوّرة فلبث فيها أيام (٢) قليلة فصادف بذلك ايام الحج ، فحج بيت الله الحرام . قيل إنه اجتمع مع الشيخ عبدالغني الشافعي وكان حينئذ هو مفتي مكة شرفها الله تعالى ، فتباحث معه فاعترف الشيخ عبد الغني بفضله وكماله ، وكان ذلك أيام دولة [٣٠] الشريف سرور ، فطلب منه الشريف سرور (٣) وأعيان أهل مكة البقاءَ هناك ، فأبى ؛ فخرج من مكة يريد نجداً ؛ فلما وصل بريدة عرفوه فأكرموه غاية الاكرام واستخبروه عن حاله وسياحته هذه المدة ، فأخبر بالأمر كله ، وسار منها الى العيينة(٣) ،فهجم عليه جمع يقبلون يده فمنعهم ، وكانوا يقولون : مولانا وملاذنا ، على ما هو عادة الناس في عرفهم مع العلماء والأكابر . فقال لهم : لا أرى أحداً يستحق ذلك اللقب الا الله تعالى .

فأقام بالعُيَينة يوماً أو بعض [٣١] يوم ،فسار الى العارض من نجد لأن هناك مولده وأصل مسكنه ، فوطىء بلدته المعهودة وهي اليمامة ، وهي التي تنبأ بها مسيلمة الكذاب في أيام رسول الله (ص) سنة الثامنة من الهجرة ، وتبعه بنو

---

(١) الصواب : وأماكن ،

(٢) الصواب : وأياماً ، أياماً .

(٣) شريف مكة ، توفي سنة ١٢٢٨ هـ .

(٤) في الاصل : العيينة ، حيثما وقعت .

حنيفة على ذلك تشريكاً له ولمحمد (ص) بالرسالة ، وحين ولي الخلافة أبو بكر (رض) أرسل جيش [1] من الصحابة والأنصار إليه من طريق اليمن حتى دخلوا نجداً فحاربوا [2] بني حنيفة قوم مسيلمة في اليمامة ، فظفروا بهم وقتلوهم وأسروا منهم خلقاً كثيراً كما نصّ [٣٢] عليه ابن الخلكان والطبري وابن الجوزي في تواريخهم .

* * *

(١) كذا ، وصوابه ، جيشاً .

(٢) في الاصل : فحاربوهم .

فصل في بيان نسب محمد بن عبد الوهاب

حدثنا عبدالله بن غنام الاحسائي[١]، اخبرنا محمدبن ماجد أنبأنا محمدبن ماضي النجديان ، والكلُ ثقة ، أنّ محمد بن عبد الوهاب هو من بني سنان قبيلة من تميم فهو محمد بن عبد الوهاب بن محمد بن علي بن سعد بن سلمة بن فلاح بن عبد الواحد ابن حميد بن سالم بن سنان بن عبد الله بن حجلان بن عمر بن وهب بن [٣٣] نافع بن زيدان بن عامر بن مالك بن عدي بن سرداح بن كعب بن زيد بن عبد الله بن جعدة ابن معاوية بن قيس بن ربيعة بن صعصعة بن عامر بن بكر بن هوازن بن امرىء القيس بن زيد مناة بن تميم . هذا ما صح من نسبه والله اعلم؛ وسنذكر تميماً[٢] فيما نتعرض له بعد ما[٣] ذكر أصول أنساب العرب ان شاء الله تعالى .

---

(١) في الأصل : الاحصائي .

(٢) في الأصل : تتميم.

(٣) كذا بزيادة ما ، أو اقرأ : بعدما نذكر .

— ٣ —

فصل في بيان حسب محمد بن عبد الوهاب

النَّسبُ ما يعدّه الإنسان من مكارم ومفاخر الآباء ، والحسَب ما يعده من مكارم ومفاخر نفسه ، فأمّا حسبه : انّه كان عالماً جليل القدر كما مرّ بيانـه في ذكر سياحته . قال المخبرون: وكان من بعض أخلاقه [٣٤] قبل ظهور بدعه[١] أنه ما مرّ بأدنى أو أعلى إلا وسلّم عليه متهلّلا ، وكان ينهى عن الفحشاء اذا قدر المنع ، وكان يقنع بالعيش القليل اذا لم يجد بيسر غيره .

حُكي انه جاء يوماً قبل السياحة مجلس قوم يتحدثون بأحوال الدنيا وجمع المال وانّ حصول التفنّن في المعاش بـه . قال رجل منهم اسمه سليمان بن راشد العُنيزي [٢] ، وكان رجلا تاجراً مشهوراً بالخير في تلك الناحية ، لمحمد بن عبد الوهاب : أنت رجل قليل المال وكثير العيال ، وكان [٣٥] تحت محمد بن عبد الوهاب حينئذٍ ثلاثة [٣] نسوة ، وابنان وبنتان ، هذا أعطيك كذا وكذا قدراً من مالي خذه ، فسافر به الى بـلد الرّوم الى نواحي حلب او الشّام ، ولك في المضاربة النّصف من النفع ، وان كان غيرك يُعطى الثُلث ، كرامةً لك؛ فأشاروا عليه اهل المجلس [٤] قاطبة بقبـول ذلك وبالسّير فيه فلم يقبل ، وقال : ان

---

(١) يستعمل المؤلف هذه اللفظة دون ان يقصد الذمّ .

(٢) نسبة الى قبيلة عنزة ، وفي الأصل : العنزي .

(٣) كذا ، والصواب ثلاث .

(٤) يورد للفعل فاعلين ، وهو لهجة جائزة ، وهو كثير في الكتاب .

اشتغلت بالتجارة بقيت بأسر الذلّ والطمع ، وفاتني فراغة البال في تحصيل العلم والعمل ، مع أنّ الرزّاق [٣٦] يُهَيِّئ الرّزق فلا أسعى في طلبه بوجهٍ مُلهي (١) ومتعب .

وكان له بستان نخلٍ وكرمٍ يستعيش به كبقية أقوامه ، فإن غالب عيشهم من زراعة النخيل والحبوب ، وكان له بقرات ، قيل عشرة ، وقيل عشرين (٢)، يحلبهنّ ويجمع سمنهنّ للبيع . فالمراد أنه ليس بطلابٍ لجمع المال الكثير ، وإلا لما عدل عن سبيله ، لما بيّنا ، وروينا عن بعض أهل نجد يقول : كان محمّد بن عبد الوهّاب ، يقري الضيف ولم يعهد انّه يوماً تغدّى ، أو تعشّى ، في داخل بيته عند عياله إلا نادراً ، وإنما [٣٧] كان يأخذ سفرته وخوانه ، يضعها في صهوة له خارج بيته ، وهذا عادة أهل نجد يبنون صهوات خارج بيوتهم يسمّونها مضايف وكان من عادته انّه اذا اضافه (٣) أحد ثم أراد الذهاب ، متّعه بشيء قدراً مُيَسّراً ، هذا لا يفعله غيره من أهل تلك البلاد ، وقيل إنّه يوفّر حقّ الجار على نفسه ولم يسمع له شتم لأحد ؛ انتهى .

---

(١) كذا ، والصواب : ملهٍ .

(٢) اقرأ : عشرون .

(٣) اقرأ : ضافه ،

باب [في التوسع الوهابي في الجزيرة]

حدّثنا بعض الثقات المعاصرين لمحمد بن عبد الوهّاب وقد أدركناهم شيوخاً في الزبير [١] والكويت [٣٨] يقول : حقيقة الأمر في بدعة محمد بن عبدالوهّاب هو أنّه لمّا رجع من سياحته المدّة المعلومة واستقرّ ببلدته وكانت ضعيفة بالنسبة لسائر بلدان نجد ، وكان الناس تفرّ منها ، بسبب ظلم حدث فيها ، بجور حكامها وولاتها وكان فيها التعدّي معروف [٢] دون غيرها ، وقد زاغت قلوب أهلها عن الوفاق ، وامتلأت من النفاق ، حتى قيل إن اليمامة كان يسكنها خلق كثير ، بقدر ستة آلاف بيت أو أكثر ، وكانت بأيّام محمد بن عبدالوهّاب يسكنها [٣٩] ثلاثمائة بيت .

قال بعض المحدّثين الثقات : لمّا أراد محمد بن عبد الوهاب ظهور البدعة ، جلس في بيته ثمانية أشهر ، معتزلاً عن الناس ، ينظر في الكتب دائماً ، فحين مضت المدّة ، خرج على النّاس يوماً وفي يده كتاب صغير الحجم فقال : أشهدوا الله اني مقتفٍ ما في هذا الكتاب ، وأنا أقول إن الذي سُطر فيه هو الحق لا غير . فقام رجل اسمه علي بن ربيعة ، وهو من كبار بني تميم ، من قبيلة بني سعد ، فقال له : يا محمد ، أنت رجل شريف [٤٠] في قومك ، لا تقل ما ليس

---

(١) مدينة واقعة بين الكويت والبصرة .

(١) اقرأ : معروفاً .

حقاً ، فتندم بوقوع الفتنة بين الناس . قال : هذا الكتاب ، اقرأه فإن وجدت فيه خللا عاتبني به . فأخذ الكتاب وجعل ينظره من أوّله الى آخره ، ثم ردّه إليه قائلاً : هذا حقّ فبيّن لنا كيفية سلوكه ، ومـــا ينبغي أن يُتّبع بسبب رواجه . فقال له محمد بن عبد الوهاب : طريق رواج هذا الأمر النصيحة ، وبذل المعروف . فقال له عليّ بن ربيعة : فإن لم يجر بذلك ، قال : بالسيف . فقال له : كيف يستحق القتل من لا يتبعه ؟ فقال : [٤١] لأنـــه كافر مشرك . قال : أتقول هذا ؟ قال : نعم ، وهو اعتقادي .

فتفرق المجلس ورجع هو إلى بيته فجاءه ابن عمّه عبـد الله بن حسين ، قال له : أحق ما نقلوه عنك يا ابن عمّي من الخروج بهذا المذهب ؟ فقـــال : نعم . قال له : والله والذي لا يُعبد غيره ، ان دعوتَ أحداً من بني سنان إليــه ، لأختطفنّ رأسك . فوقـع بينهما تشاجر وجدال فأومى عبد الله إليه بالسيف فأصابه بيده ، كاد أن يبريها ، فقام بعض بني أعمامه ليمنعوه ، فوقعت الفتن [٤٢] بين قبائل تميم اليمامة . قيل قُتل ذلك اليوم حمـاد بن رشيد السّعدي وصالح بن فهد السّناني وجُبير بن ناصر النهدي وسبعة نفر لم يُسَمّوا بأسمائهم الا أنهم من بني سنان خاصة .

قال الراوي : ثم بقي محمد بن عبدالوهاب سنة كاملة في اليمامة قائماً بما هو فيه من الدين ، ولم تبرح الفتنة بين القوم بسببه ، فبعض يصدقه وآخر يكذّبه ، الى أن صار القوم الذين نصروه أذلاّء فانهزم منهم أناسا (١) وآخرون [٤٣] قتلوا ، وبعض لبثوا في بيوتهم وحصونهم . وشاع أمره في أرض نجد فسمع بذلك سليمان بن شامس العُنيزي ، وكان كبير قومه البداة ، وكانوا ينزلون طرف العارض ، فأرسل الى كبار اليمامة من تميم وغيرهم : انّ هذا أمر حدث عندكم ، وقدأخرجه فلان العالم منكم ، فإياكم ومتابعته ، ولا تجعلوا له مسكناً ولا مأوى في اليمامة ، فان بلغني عنكم ايواره واكرامه ومنعته ، لاركبنّ عليكم برجـــال

---

(١) أقرأ : أناس .

وفرسان ، ولأجولن عليكم بعنزة[1] كلها . فلما بلغ [٤٤] أهل اليمامة كتاب سليمان بن شامس قال بعضهم لبعض ، يجب علينا امتثاله فان عنيزة قـوم ذات حرب وصولة ، ونحن قليلون لم نبلغ معشارهم لا رجالاً ولا مالاً ، وإن ما دعانا له سليمان حق لا يبغي العدول عنه ولا التهاون فيه ، مع أن محمد بن عبدالوهاب ليس بعزيز علينا كعزة أنفسنا وأعراضنا ، كيف وهو أتى ببدعة كفر ، وقصد تكفير المسلمين بها ، فاتفق رأي الجميع على اخراجه من بيته قهراً حتى بني[2] أعمامه عزموا على ذلك ، فنادى [٤٥] مناد يوم الجمعة ان بعد صلاة الجمعـة اجتمعوا على اخراج محمد بن عبدالوهاب من بلدتكم فان أبى فاقتلوه ، فلما سمع أخوه علي بن عبدالوهاب ، وكان هو غير عالم وحقير[3] بينهم ، جاء الى اخيه محمد بن عبدالوهاب وقال له : يا أخي أنصحك لله ان تطلع هذا اليوم من اليمامة وتمضي الى حيث شئت ، فإن أرض الله واسعة . وان كان هذا الذي ادعيته حق[4] فالله يسخر قلب احـد من خلقه ليبديه ويحميه . فاستحسن رأي اخيه علي وقال : كيف [٤٦] المسير هذا في وسط النهار ، وأنا لا أخرج من بين عشيرتي وقومي وبلادي الا بجميع أهلي وعيـالي ومالي ، وأخشى ان يتعرضني احد من سفهائهم والغيرة تمنع القبول بذلك . اذهب الى علي بن ربيعة وعبدالله بن حسين وخذ لنا ذمة وأمانا منهم ، فان اعطوك ذلك خرجنا هذه الساعة ، والله المعين وان عرفت منهم ما ينكر الحال فالله المستعان لم نزل في حصننا هذا ، ودفع الصائل واجب . وانما خص علي بن ربيعة السعدي وعبدالله بن حسين [٤٧] السناني لانهما هما اللذان يخافهما ولانهما المتوليان زمام القبـائل التي في اليمامة من بطون تميم . فسار أخوه علي بن عبدالوهاب اليهما فاتاهما وقد تمت صلاة الجمعة ، وقد خرج الناس من المسجد الجامع بأسلحتهم مصممين على ان يمشوا دفعـة على

---

(١) في الأصل ولأجول ... بعنزية .

(٢) اقرأ : بنو .

(٣) اقرأ : وحقيراً .

(٤) حقاً .

حصنه ويأسروا عياله، ويأخذوا ما له ولا يرضوا له بأمان الا على نفسه وحده، بان يخرج من ساعته . قال بعض من أخبرنا بهذه القصة : ان محمد بن عبدالوهاب كان عنده مـــال كثير قد جمعه من سياحته وقـــد عرفوا اهل بلاده [٤٨] به وكان معه خـدم سبعة أو ثمانية عبيد سودان اشتراهم من مكة ، وكان كل منهم محارباً مسلحاً يظن به النجدة ، وكان معه ولداه اللذين (١) ولدا له قبل سياحته ، وهما ناصر وعبد الوهاب وكان معه أربعة رجال من بني عمه القريب، ابنا حسين بن محمد ، اخوة عبدالله بن حسين ، الذي ذكرناه ، لهذا كان يحسب عصمته عن الاعداء (٢) بهم ، ويتهم ان يقاتل في حصنه محاصراً ، فلما قال أخوه علي بن عبدالوهاب لعلي بن ربيعة [٤٩] وعبدالله بما قال لهم (٣) به ، قبلا على ذلك ، فذهب الى محمد بن عبد الوهاب وقال له : هذه ذمتهم قـــد أعطوك اياها ، فهيأ نفسه وعياله ومن تبعه للخروج فخرجوا ذلك اليوم قبيل غروب الشمس ، فأتوا الوادي ، وهو قرية محمد بن سعود ، وكان جملة ما فيه من السكنى سبعين بيتاً ، وهو الموضع الذي يسمى الآن الدرعية ، سمي بذلك قيل لأن بعد عمارته، وكثرة اجتماع الناس فيه ، بعدتسلط عبد العزيز صار وضع البلد مشبها بالدرع الذي هو لغة القميص ؛ وقيل [٥٠] مشبها بالدرع الذي هو لباس الحرب المعروف . فسمع محمد بن سعود بورود محمد بن عبدالوهاب ، وكان قبل هذا قد سمع بصيته واظهاره مذهباً جديداً فجاء اليه ، وصافحـــه وقال : هذه القرية قريتك والمكان انت واليه، فلا تخشى (٤) أعداءك ؛ والله لو انطبقت علينا جميع نجد ما أخرجناك عنا ، فقال : انت كبيرهم وشريفهم ، أريد منك عهدا على انك تجاهد في هذا الدين ، والرياسة والامـــامة فيك وفي ذريتك بعدك ، وان المشيخة والخلافة [٥١] في الدين فيَّ وفي آلي من بعدي

---

(١) اقرأ : اللذان .
(٢) في الاصل : اعداء .
(٣) أقرأ : لها .
(٤) اقرأ ، فلا تخش .

ابداً ، بحيث لا ينعقد أمراً ولا يقع صلحاً ولا حرباً [1] الا ما تراه كذلك ، فان قبلت هذا فأخبرك ان الله يطلعك على أمور لم يدركهـــا احد من عظماء الملوك والسلاطين ، وتكون عاقبة أمرك محمودة عند الله . لانك اتبعت الدين ونصرته ، ولم تقصر رتبتك عن رتبة الصحابة والخلفاء الذين نصروا رسول الله (ص) وأي منزلة اعلى من هذه؟ فقال محمد بن سعود : قبلت وبايعتك على ذلك ، فتبايعا واشترط [٥٢] كل منهما على صاحبه ما اشترط عليه ، فأخلى محمد بن سعود بيته نفسه لمحمد بن عبدالوهاب وجلس هو في بيت أخيه عمر بن سعود [2] . فاقام محمد ابن عبدالوهاب ، يدرّس كل يوم في كتابه الذي صنّفه في التوحيد [3] وردّ على أهل الملل فيه وسماه «كتاب التوحيد» . وكان يجلس للدرس في بيته ، ومضى على هذه الحالة سنة ، يرغّب أهل الوادي في ذلك المذهب ويحرضهم على الصبر بعداوة من يخالفه . فلما تمت السنة صار أهل الوادي كلهم كبيرهم وصغيرهم [٥٣] ذكرهم وانثاهم على دينه وتحت طاعته الا أربعة رجال منهم ، سماهم الراوي باسمائهم ياسر بن احمد وسيّار بن ضحيان وعبدان بن صالح وموسى بن حسيم فانهـــم خرجوا باهاليهم وعزّ عليهم مفارقة دين المسلمين [4] الذي كانوا عليه ، فسكنوا [بلدة من] بلاد القصيم يقال لها ثرمدة .

ثم ان محمد بن عبد الوهاب قال لعبد العزيز : ابنوا لنا مسجداً كبيراً ليحضر جميـــعُ رجالِ القرية فيه ، عند كل صلاة ، فان الدين لا يسع غيره هذا . فأمر

---

(١) اقرأها بالرفع لا بالنصب .

(٢) الاشارة هنا الى ما يعرفه المؤرخون بالاتفاقية بين محمد بن عبدالوهاب ومحمد بن سعود من حيث تولى الاول وذريته الامور الدينية في البلاد والثاني وذريته أمور السياسة . وهو أمر مازال قائماً في المملكة العربية السعودية حتى يومنا هذا .

(٣) كتاب التوحيد ـ تأليف الشيخ محمد بن عبد الوهاب : منه نسخة محفوظة مجلدة مع « لمع الشهاب » .

(٤) كذا في اعتقادهم ، وهذا اعتقادٌ واهٍ كما ترى ، والاصح أن يقـــال : مفارقة مذهب المسلمين .

محمد بن سعود [٥٤] ببنائه وهموا(١) اهل الوادي بالبناء حتى تم فقال : ينبغي ان لا يفرش في هذا المسجد الا الحصيات لان مسجدالرسول كان كذلك؛ فأخذ يأمر الناس بذهاب الى المسجد لاجل الصلاة فيه جماعة . وكان يقول ابتداء : كل من لا يحضر الجماعة مع قدرته عليها ، عزرناه.

ثم انه وضع درس « كتاب التوحيد » في المسجد صباحاً ومساء كل يوم . وكان يأمر النساء والصبيان بحضور الدرس ليستمعوا قواعد التوحيد منه . وقد نقل لنا ان رجلا من اهل الوادي ما كان يحضر [٥٥] الدرس فأمر محمد ابن عبد الوهاب باحضاره ، فقال له : لم لا تحضر الجماعة للدرس ؟ فأخذ الرجل يتعذر ، فقال محمد عبدالوهاب : لا بد لقبول توبتك من ان تحلق لحيتك او تغرم مائة ذهب . وكان الرجل متوسط الحال ، فرضي بأداء المال لان حلق اللحية اقبح ما يكون شرعا وعرفاً عربياً .

وحدثنا رجل من اهل الدرعية يوثق بقوله ان محمد بن عبد الوهاب أول امره لما خرج عن قومه ومنزله بما اراده من الامر جلا إلى العيينة قبل وصوله الدرعية [٥٦] واتفاقه مع محمد بن سعود فالتجأ الى عثمان بن معمر التميمي ، حاكم العيينة ، فاتفقا على إقامة هذا الامر والدين، والعمل بالشرع الشريف، اذ لا ينفع علم بدون عمل قط،واجتمعا على ان يبطلا جميع ما سوى هذا المذهب من المذاهب الإسلامية وغيرها عموما ، ووافقهم على ذلك كثير من أهل العيينة من وجوه البلد وأعيانها من خدم ابن معمر وحشمه ، وبعض الناس الذين هناك لم يرضوا به، فاستمر محمد بن عبد الوهاب مدة بالعيينة ، وربما بعض [٥٧] القوم من بلاد نجد لما سمع بصيته أتاه الى العيينة وبايعه ، وتاريخ وقوع هذا الامر في سنة آخر الخمسين بعد المائة والالف . وأما اكابر ومشايخ سائر نجد لم يرضوا بشيوع هذا الدين واذاعته ، لانه يفسد عليهم قوانين كلية ، وقواعد أصلية ، وضعت عليها

---

(١) كذا ، وهو كثير في الكتاب .

حكومتهم ، اذ بلاد نجد وقبائلها اذا قلت لا ضابط لها يحتوي (١) على الكل ، ولا هناك رئيس قاهر يردع الظالم وينصر المظلوم ، بل كان كل من الحكام - حاكم بلدة مدينة كانت او قرية وفي بدو كذلك - كل [٥٨] طائفة منهم لها شيخ وكبير يرجع أمرهم اليه ، والبداة اذاً قبائل شتى يرعون البراري والقفار ويشربون المناهل والآبار ، وحكومة كل شيخ في قبيلته برضاها فكل من تقدم كرماً وشجاعة رضوا به كبيراً لهم ؛ وفيهم مشايخ صغار من نفس قبيلة واحدة يخالفون رأي المشايخ الكبار ؛ وكانوا البدو (٢) يتحاكمون في قصصهم وحوادثهم الى العرف لا الى الشرع وقد يأخذ العرف منهم الرشوة وهي حقيقة ما يعطى لإبطال الحق وأولئك الحكم طاغوت لكونهم يصدون الناس [٥٩] عن اتباع حكم الشريعة . وأما الحضر من أهل النجد فمرجعهم الى الشرع في فصل الخصومات والدعاوى ما عدا وادي الدواسر وجبل شمر لأنها الى البدو أقرب منها الى الحضر ؛ وكان الحضر أهل المدر من نجد دائماً بعضهم يحارب بعض (٣) على حسب مقتضى الحال وصلاحه بنهج ما قررناه فيما مر من أن كل حاكم له حوزبة خاصة فإذا أراد ملك غيره تسخيراً حورب من جميع البلدان ، وهكذا الشأن بينهم ابداً ؛ وقد يقع بينهم - كل اهل البلدان - صلح اذا [٦٠] قطع الطمع ظاهراً . فلما حررناه غضبت حكام نجد مطلقاً إلا من عرفت منهم وهو عثمان بن معمر وصاحب الدرعية محمد بن سعود كما ستقف على حقيقة الأمر .

وحين رأى أكابر نجد ما صدر من محمد بن عبدالوهاب وما يخشون من عاقبة صنعه شكوا ذلك الى سليمان آل محمد الحميدي الخالدي (٤) حاكم بني خالد والاحساء والقطيف وقطر كلها ، فالتمسوا منه ان يمشي على والي العُيَيْنة ويجليه من بلده . وإنما استمدوا من سليمان هذا لأن أهل نجد قاطبة لم

---

(١) اقرأ: يحتوي .
(٢) كذا .
(٣) اقرأ : بعضاً
(٤) حكم سليمان آل محمد من ١٧٣٦ - ١٧٦٢

يدركوا عثمان [٦١] بن معمر ذلك الوقت اذ هو في غاية المنعة والنصرة وكثرة الجنود والمال الكثير لأن بلاده اكبر مدن نجد واكثرها محصولاً وخراجاً ، وأهلها أطوع لحاكمهم من غيرهم . فلما بلغ خبر محمد بن عبدالوهاب الى سليمان آل حميد بما بلغه كتب كتاباً الى عثمان بن معمر أنْ أخرجْ هذا الشيخ النجديّ من بلدك الى آخر جزيرة العرب او أرسلْه به إليّ وانا ابصرُ به ، فان لم تجبني الى أحد هذين الأمرين اقطع وظائفك التي لك في الإحساء [٦٢] وامنع جباتك[١] عن تحصيل مالك من النخيل فيها جزماً ، وكان لابن معمر عثمان في الاحساء ملك نخيل وأرض رز[٢] تورثها عن اكابره واجداده يبلغ محصّلها كلّ عام ستين ألف ريال وذهب ، وذكر له أيضاً : بأني أمنع تجار بلدك عن التردد الى أطرافنا من الاحساء والقطيف وسواحل قطر كالزبارة وغيرهـا ، بل أمنعهم السفر عن كل بلدٍ أتاهمْ فيها . وكان اذا سليمان آل محمد له يدٌ طولى في أرض العرب سيما في نواحي العراق ممـا يلي نجد وفي نجد نفسها [٦٣] أيضاً وكذا اطراف الشام اذ معسكره كبير ودولتـه عظيمة وشجاعتـه معروفة وقومه الخوالد أهل بأس شديد وخلق عديد وكان يغزو[٣] نجداً ان لم يرضيه[٤] كل واحد من حكامها بشيء . فلما وصل كتاب سليمان بن محمد الخالدي الى عثمان ابن معمر التميمي صاحب العيينة اهتمّ وكره عداوة سليمان آل محمد وغضب ايضاً لخروج محمد بن عبد الوهاب عنه ، لكنه ارتكب أخف المحظورين بأبداء المعذرة لدى محمد بن عبدالوهاب خفيةً فقال له : إن محاربة هذا الرجل ، يعني سليمان آل محمد ، [٦٤] تصعب علينا أول الامر وقد اكدّ القول بكيت وذيت ، فالرأي بعد هـذا ان تسير من العيينة على بركات الله الى أى بلدٍ شئت من أرض الله وتقيم فيها[٥] سنة او سنتين حتى نرى كيف يفعل الله بعد ذلك ثم مرجعك

---

(١) في الاصل : ظباتك ، ولعلها ان تقرأ « ضباطك » أي من يضبطون لك ذلك .

(٢) اي : ارض أرز (رز)

(٣) في الاصل : يغزي

(٤) اقرأ : يرضه

(٥) اقرأ : فيه

الينا . فقال محمد بن عبدالوهاب : انت لا تخش من هـذا الكلام ، فانّ الله ناصرك ، وأنا جميع المحاصيل التي انحبست عنك أنا أسلمها لك كلّ عام ودع ان يجري هذا الامر رغمـاً على انف المكره [1] له . ولكن بعد ما بذل محمد بن عبد الوهاب النصائح [٦٥] لعثمان بن معمر بأن يواظب على هذا الدين وترويجه عرف ان عثمان لا يمكنه الآن الاستقامة عليه ظاهراً . انتقل محمد بن عبدالوهاب من العينة الى بلد الدرعية ، وكان فيها اذاً محمد بن مسعود ، فلما وصل قريبها بسير نصف ساعة أخبِرَ محمد بن سعود به فخرج يتلقاه هو وابنه عبد العزيز وكثير من أهل بيته وأهل بلده بالقبول والاكرام ، فأنزله أعلى مقام وأخلى بيته لأجله ، وبايعه على تقويم هذا الدين وترويجه ثم انه اشترط [٦٦] لكل واحد منهما على صاحبه ما اشترط وأكدا الأمر بالحلف والعهود والمواثيق واتخذا على ذلك شهوداً فصفا الامر بينهما باطناً وظاهراً ، فصارت الإمامة الكبرى وهي إمامة الدّين لمحمد بن عبدالوهاب وكذا ما يتبعها من مصالح الدنيـا كتدبير الحروب والمصالحة والعداوة وما يرجع الى آلة الحرب وما يتعلم لاجله حيث ان محمد بن عبد الوهاب كان عاقلا مدبراً مستملئاً في الاشياء ، عارفاً في جميـع العلوم ؛ ومن جملة نكته الـتي تشعر بتدبير الحروب [٦٧] انه كان يأمر بتعلم أهل الدرعية برمي البندق وهو الذي استخرج لهم هذه البناديق التي الآن لهم ، وكانوا قبل في نجد لهم تفـّقان دون هذه على طور ما لأهل [2] اليمن ؛ والحاصل انه صار الامر كله بيد محمد بن عبد الوهاب بحيث كل شيء أراده محمد بن سعود أو اولاده رجعـوا به الى محمد بن عبدالوهاب فان ارتضاه ارتضوه وان أباه أبوه بلا كلام . وكان العادة جـارية بأنّ محمد بن سعود يزوره كلّ يوم مرتين صباحاً ومساء هو وابنه عبدالعزيز [٦٨] وبقية أولاده ، وكانوا يجلسون عنده متندين صامتين لا ينطقون بشيء ما لم يحادثهم به أولاً ، ويدرسون على يده علم التوحيد الذي صنـّفه ، لكن يُدرّسهم درساً خاصاً في مجلس على نخدة .

---

(١) يعني : الكاره .

(٢) في الاصل : مال أهل .

ثم إن امر محمد بن عبد الوهاب قوي قوةً تامة وصار جميع اهل الدرعية في قبضته وكذلك من حواليها من القرى وأهل الرساتيق .

اتفق الأمر حينئذٍ أنّ دهام بن دواس شيخ الرياض ، المسمّى بحجر اليمامة سابقَ الأيام ، كره استقامة الأمر لمحمد بن سعود [٦٩] حاكم الدرعية بواسطة بدعة محمد بن عبد الوهاب حيث انه كان قبل هذا يكره محمد بن سعود ويريد ذلّه لان أهل الدرعيّة أشرُ أهل نجد في طرق الحيل [١] والخدعات ، واعظمهم [فيها] [٢] حقداً وعداوةً فأخذ ابن دواس يلقي الحرب على أهل الدرعية حتى صار القتل من الجانبين ، فقتل يوماً ولدين كبيرين لمحمد بن سعود ، [غير] اكبر ولده عبد العزيز ، فأخذت محمد ابن سعود وابنه عبد العزيز وكذا محمد بن عبد الوهاب زيادة الحميّة والغيرة على الدين وحفظ العرض [٧٠] وصون النفوس فهيأوا لهم عسكراً كثيراً ، شيئاً من اهل بلدهم وشيئاً من العربان البداة وغيرهم من الذين عاهدوهم وصدقوا بمذهبهم ، وكذا باعطاء شيء من المال خفاءً ، فقامت الحرب بينهما سنة الستين بعد المائة والف؛ ثم ان الحرب استمرت بينهما ثماني وعشرين سنة ولم يقع في هذه المدة صلح الا ثلاث مرات – كلّ مرة سنة – متفرقات . ثم إن اول حرب أوقعه محمد بن سعود بأمر محمد بن عبد الوهاب هو حرب ابن دواس [٧١] وكان عدد غزوه اذ ذاك عشرون [٣] ذلولاً وسبعة أفراس ثم إنه مشى عليه مرة أخرى بمائتين ثم ثلثاً بخمسمائة ثم المرة الرابعة بقدر سبعمائة ذلول ومائتين فارساً [٤] ثم أنهى ما مشى به الى الرياض ثلاثة آلاف بين راكب وماش ، فأخذ أمر ابن سعود محمد يزيد شيئاً شيئاً وشأن دهام بن دواس ينقص وينزل ، حتى دانت بالطاعة بلاد الرياض وقراها [٥] ثم استتبع يَغزُو كورة الوشم وصوبة سدير فحاربوه [٧٢] أهلها

---

(١) في الاصل : حيل .

(٢) في الاصل : في .

(٣) اقرأ : عشرين .

(٤) الاصوب : ومائتي فارس .

(٥) في الاصل : وقراءها .

حرباً جيداً قتلوا منه خلقاً كثيراً . وكان إذاً في تلك الغزوات لم يظفر محمد بن سعود نفسه بل الرئيس وامير الجيوش هو ابنه عبد العزيز ، وذلك ليس لضعف من القوة لمحمد بن سعود ، بل كان غير مدبر للحروب . وابنه عبد العزيز ذو هيبة ووقار وتدبير ، وكان قريباً طبعه من طبع محمد بن عبدالوهاب ، لذلك كان محمد بن عبد الوهاب يحبه محبة مفرطة ، ويقول : هذا الامام ، هذا ناصر الدين ، ويثني عليه .

فأول غزوة ركب فيها عبد العزيز [٧٣] بن محمد بن سعود على أهل الوشم اتفق معهم في البرية ، فحاربوه وقتلوا منه خلقاً كثيراً ، وانكسر فرجع الى الدرعية ، ثم ازداد قوماً ، فغزاهم بغتة وهجم على بعض حصون فدخلها قهراً وجعل كل من فيها علفاً للسيف حتى الاطفال والشيوخ . فقيل له : هذا فعل لا يرضى الله به . أتقتل من لا يقاتل ؟ فسكت ولم يجب حينئذ ، لانه خاف الانتقام ذلك الوقت يؤدي إلى الفتن . فلما فتح بلاد الوشم كلها ورتب فيها من رتب ، وبايعه بقية أهلها ، وجعل [٧٤] فيها اميراً على الكل من قبله ، كتب لمحمد بن عبد الوهاب يخبره بجميع التدابير ، ويعلمه ان بعض عسكره انكر عليه في قتل بعض الناس ، فكتب له محمد بن عبد الوهاب كتابين أحدهما سراً يُنَبِّهُهُ فيه انك لا تعجل على من خالفك ، وانك خذ معك من اهل الوشم فلاناً وفلاناً مع بيوتهم ، وائت بهم الى الدرعية لزماً . وكتب كتاباً ظاهراً أمره ان : اقرأه على جميع عسكرك ، وقد ذكر فيه ترغيباً لهم في رواج هذا الدين ومدحهم مدحاً ، وأوعدهم [1] النصر [٧٥] وجزيل الثواب . ثم انه في خلال هذه المدة طاعه بلادين [2] كثيرة من نجد غير ما ذكرنا ، ومن بداتها ايضاً قبائل عديدة ، مثل سبيع ومطير وبعض عنزة وكثير من شمر . وأما أهل العُيَيْنَة الذين منعوا محمد بن عبد الوهاب عن النصرة ، والاقامة عندهم ، حين تغلبوا على كبيرهم عثمان بن معمر ، فإنهم قتلوا كبيرهم عثمان لما احسّوا منه المتابعة الباطنية

---

(١) اقرأ : ووعدهم .
(٢) كذا ، يعني البلاد .

لمحمد بن عبد الوهـــاب ، فسمع بذلك محمد بن عبد الوهاب فتركهم لم يأمر بغزوهم ، بل قال لعبد العزيز : [٧٦] دع أهل العيينة الآن ، فإن لنـــا معهم إرادات كلية ، حيث أنهم افسدوا علينا الأمر في أول وهلة ، وقد قتلوا عثمان بن معمر ، وهو يرجع إليّ في النسب ، فانتقم منهم قريباً بحـول الله تعالى . فسمع اهل العيينة بهذا الخبر ، واخذهم الرعب ، حتى إن الرجل أخـذ يفرق ماله الى سائر البلدان ، وقد أصابهم وهن عظيم ، بحيث فتر حدّهم عن المعاملات والزروع الا قليلاً . فلما طال المدى، تفرق بعضهم في بعض قرى نجد ، التي لم يدخلها حكم محمد بن عبدالوهاب بعد، [٧٧] وهو، أعني محمد بن عبدالوهاب، يأمر عبدالعزيز ان لا تلتفت اليهم أصـــلاً ، حتى مضت على ذلك تسع سنوات ، أمره حينئذ بغزوهم . فركب عبد العزيز على العُيَيْنَة بأربعة آلاف محارب فدخلها بالسيف، وقتل منهم خلقاً كثيراً . وكتب لمحمد بن عبد الوهاب كتاباً يخبره بأمره فيهم، فأمره أن أخرجهم من بلادهم كلا وجمعاً ، ثم هدّم السور والبيـــوت وخرب البساتين واقطعْ النخيل، ويبغى ان تجعل أرضهم هذه كأرض ثمود . ففعل حسب ما أُمر به بل زاد على ذلك . وانما كان [٧٨] امر محمد بن عبد الوهاب وعبـــد العزيز في أهل العيينة هكذا ، لأن أهل العيينة هم أشراف نجـد على الاطلاق ، وان كان هناك رياسة تدعى في جميع بلاد نجد كلها فهم الحريتون بها ، لأنهم نسبا يرجعون الى بني حنيفة القدماء ، الذين كانوا ملوك كورات نجدٍ عموماً ، ولأنهم من المحال ان يتابعوا محمد بن عبد الوهاب على أمره صادقين ، وذلك قد عرفه من شأنهم بقرائن سابقة وشواهد ساطعة ، فاقتضى الحال ان لا يقبل منهم صرفاً ولا عدلاً . [٧٩] وحين عـلم الناس شدة وطأة عبـد العزيز بن محمد بن سعود ، وانه مستقر على هذا الأمر مع محمد بن عبد الوهاب ، وانهما ذويا [1] بأس وقوة، دخلوا بطاعتهما ، راضين بالدين : بعض محبـةً له ، حيث قاسوا في انفسهم قياساً ادى الى القبول ، قائلين : لو لم يكن هذا حقاً لمـــا استمر وانتصر لكنه انتصر فيكون حقاً ؛ وبعض لم يعتبروا رواجه الا من قبيل الاستدراج ، لكنهم قبلوه خوفاً ، فعلى هذا ، أخذ يتفحص بالفراسة ، فمن تبين له ان قبوله [٨٠] هذا ظاهراً وباطناً ، قرّبه لديـه ، وأعزّه ، وأعطاه شيئاً يكفيه ، وصار عنـــده

---

(١) اقرأ : ذوا .

مسموع الكلمة ؛ ومن ظنّ دخوله على وجه الخوف والتقية ، أعطاه أماناً ولكن يتحذر منه ، ويرقب احواله آناً فآناً ، ثم كان يؤلف بعض الناس .

ولما تمّ امر نجد كلها ، كبر ذلك على بعض مخالفيه من اهل نجد خفية ، كذلك شقّ على شيخ بني خالد ، وكان اذ ذاك عرعر بن دُجين الخالدي [1] ، فاستصلح عرعر أن يمشي بطائفة بني خالد ، وبعض حضر الاحساء . وكتب [٨١] الى بعض الموافقين له باطناً من أهل نجد فسار عرعر بقوة عسكر ومدافع فنزل بلدة يقال لها الجبيلة [2] بطريق العيينة مما يلي الدرعية ، مسافة خمس ساعات . وكان في الجبيلة خمسمائة مقاتل ، رتبهم عبد العزيز من قبل فيها ، لما سمع بخروج عرعر . فهمّ عرعر بدخول تلك البلدة ، فمنع وقوتل قتالاً شديداً ، وقد قتل من عسكره قدر ستمائة رجل حيث أنّ حربه معهم بالهجوم على السور وهي بلدة صغيرة ، ولها سور محكم يسع دائرها [٨٢] ستة اكوات [3] ؛ ثم انه لم يدرك هناك ما أراد ، وانصرف راجعاً الى أرضه ، ولم يسر الى الدرعية . فكأنه هجس بعض ركاكة من عسكره ، لما قتل منهم هذا الجمع الذي ذكرناه ، بسبب حرب بلدة صغيرة . ولما سمع عبد العزيز برجوع عرعر سار بنفسه الى أهل الجبيلة ، وأنعم عليهم بالعطايا والتحف [4] ، وقال : الآن تبين عندي انكم الصادقون بالقول ، لكن المنة لله ، لا تحسبوا لأنفسكم منةً في ذلك ، فإنه من ضعف الدين . قالوا : نعم ايها الامير ، بعنا أنفسنا لله .

ثم إن [٨٣] عرعر بقي مصاحباً لعبد العزيز وابيه ومحمد بن عبد الوهاب ، لكن هم الذين طلبوا منه الصلح ، وقد أرسلوا له بعض الهدايا من الخيل النجاب فبقيت مدة المصالحة معهم سبع سنين [5] . ثم انه اتفق له حرب بعدها فسار الى الدرعية بجيوش كثيرة ، وقد حصرها قريباً من شهر ، وكان عسكره اذ ذاك

---

(١) حكم عرعر في بني خالد من ١٧٥٢ - ١٧٧٤ .

(٢) قام عرعر بهذه الحملة عام ١١٧٣ هـ - ١٧٥٩ (انظر ابن غنام ٢ : ٦١) وقد أرعب ذلك النبأ الوهابيين فبدأوا يحصنون مدنهم بما فيها الدرعية .

(٣) جمع كوت وهو القصر أو القلعة وتصغيره كويت ، والكوت في الغالب كلمة أوردية .

(٤) قارن ابن غنام ٢ : ٦١ (حوادث عامي ١١٧١ هـ و ١١٧٢ هـ) .

(٥) المصدر السابق .

أثنا (١) عشر الفاً ، فلم يصب منها شيئاً ، ولم يحاربها الا بالمدفع فقط .

وكان السبب في حرب عرعر المرة الثانية بعد المعاهدة انه وقع بين عبدالعزيز وبين بادية من أهل اليمن تسمى العجمان وكانت تسكن [٨٤] نجداً، وهي واقعة مشهورة . وحاصلها ان عبد العزيز خرج غازياً الى ناحية الحجاز بأربعة آلاف محارب . فتوافق مع غزو العجمان وكانوا الف مقاتل ، فحاربهم عبد العزيز وقتلهم أشرّ قتلة وأسر منهم ثلاثمائة رجل ، ثم رجع الى الدرعية ، وهم بأن يتبع سلفهم ، ويقطع دابرهم ، لأنهم قوم فساد وشقاق ؛ إلا أن محمد بن عبد الوهاب منعه عنهم ، وقال له : اولئك من يام ، وهي طائفة كبيرة ، تسكن اليمن من بلاد نجران ، بداةً وحضراً ، ونحن لا نحب حربهم اليوم . [٨٥] واما العجمان فلما رأوا ضَعْفهم في نجد ، وأنهم قليلون ، سار بعض من رؤسائهم الى نجران يستنصر بقومهم على عبد العزيز ويخلص أساراهم من يده ، فأنصروهم وجاؤوا معهم من يام نجران عدد الف ومائتي رجل،منهم أربعمائة فارس وثمانمائة تفاق (٢) ، وأمير هذا الجيش حسن بن هبة الله المكرمي ، قيل إنه شريف من السادة ، زيديّ المذهب ،وقيل ليس بعربيّ وإنما هو هنديّ ، تولد بأرض نجران من أربعة أو خمسة أصلاب ، وصار [٨٦] شهرتهم بالمكارمة ، وأنه رجل ساحر يتعاطى علوم السيميا والحروف وهو بحسب الظاهر رافضيّ ، وبالباطن عند من كشف عن حاله طبيعي منكر الصانع. فلما وصل حسن المكرمي بعسكره هذا الى أرض العارض سمع محمد بن عبد الوهاب بوصوله ، فقال لعبد العزيز : سر له بخلق عديد ، ونازله ، ولا تحاربه حتى يقع بيننا صلح ، فإني لا أرى خيراً في القتال مع هؤلاء القوم. ما تقول في أناس مسكنهم اليمن ، ويدخلون لب نجد في هذا العدد القليل مع أنهم عرفوا شوكتنا ولم [٨٧] يبالوا بها ؟ فإياك والحرب معهم ، وانما أمرتك بالخروج اليه ، أتعرف الغاية ؟ قال : لا . قال : ليكون

---

(١) اقرأ : اثني .
(٢) أي محارب يحمل البندقية .

إظهار حياة لديه ، ولأجل ان لا تختلف جماعاتنا علينا ، بأن يقولوا قد ضعف أمر هذا الدين ولقد هابوا الحرب مع رجل يامي". فخرج عبدالعزيز الى المكرمي بأربعة آلاف رجل ، والتقى معه عند الرياض ، فجعل ينازله اين ما نزل ، كأنه يمانعه ، والمكرمي" ، لما رأى أن أهل الدرعية لا يحسرون الهجوم عليه ، قال لجماعته : هؤلاء القوم نعاج فبقاؤنا [٨٨] معهم بلا تقدم حرب لا رباح فيه ، كُرّوا عليهم بالسيف الساعة الساعة . فممدوا على عبد العزيز وقومه ، فالتزم عبد العزيز بالمدافعة حينئذٍ فوقع بينهم السيف والبندق من اول النهار الى قبل الظهر ، فأدبر منكسراً ورجع الى الدرعية ، وقد أسر من قومه ستمائة رجل ، وضربت رقاب اربعمائة . وهمّ النجراني بالهجوم على سور الدرعية ، فأرسل محمد ابن سعود ، بأمر محمد بن عبد الوهاب بعض اولاده ، غير عبد العزيز ، وبعض نساء من اهل بيتهم ، ومائة وعشرين فرساً للنجراني ، وكتب كتاباً [٨٩] يلتمس فيه الصلح . فلما رأى النجراني بذلهم الهدايا واظهار عجزهم بارسال الرّسل من رجال ونساء من آلهم قال : الآن طابت نفسي وحصل الثأر . كتب حينئذٍ كتاباً بأن أطلقوا الأسراء الذين لنا عندكم ، ونطلق اسراءكم كذلك . فأرخصوا أسراء العجمان والنجراني رخص اسراء أهل الدرعية لأنه كان يوفي بالقول . فعاد النجراني الى بلده نجران بعدما مضى من الصلح ستة أيام(١). وهذا الحرب ، هو الذي دعا لمجيء عرعر ثانياً على الدرعية . فإن عرعر ، حين سمع بحرب النجراني ، قال : هذه فرصة ، [٩٠] فإني أغتنمها . فركب بعسكره وبلغ حوالي الدرعية . واتفق ذلك اليوم الذي وقع فيه الصلح مع النجراني ، وكان عسكر النجراني على فرسخين من الدرعية ، فنزل عرعر قريباً منه بنصف فرسخ . فأرسل عرعر الى النجراني بأن لله الحمد على هذا الاتفاق ، الذي حصل بيننا وبينكم على حرب هذا المبتدع ، فهذا ان شاء الله نريد مواجهتك ، وتتم

---

(١) انظر ابن غنام وابن بشر تحت حوادث سنة ١١٧٨ هـ - ١٧٦٤ م . في شأن القتال مع العجمان .

الأمر بيننا وبينك على كيفية حربه ، ولا نطيل الأمر . فكتب حسن بن هبة الله الى عرعر يقول له : لو [٩١] كان هذا الاتفاق قبل ان يجري الصلح بيننا وبينه لانتظم الأمر على وفق خاطرك ، لكن الآن نحن حصل مرادنا من الانتقام وقد طلب منا العفو ، ونحن أهلٌ له عند القدرة ، وأعطيناه ، فلا يمكننا إبدال القول . أما أنت فمختار بحربك معه ، نحن لا نتعرض بشيء . فلما وصل كتاب النجراني الى عرعر ، وعرف مضمونه ، اغتمّ لأنه كان يحسب انه معه ، ولأن النجراني ، وإن كان عسكره قليلاً قدر الف ومائتي رجل ، لكنه بعين الحماية والقوة ، وشجاعة يام معروفة ، قيل من [٩٢] عاداتهم في الحرب أنهم اذا حملوا لا ينكصون ، ولو قتلوا عن آخرهم ، ومن عاداتهم في الحروب ، ولو قتل كبيرهم ، فلا يختلون ويقيمون أدنى شخصاً (١) مقامه . ثم إن عرعر كتب كتاباً آخر الى النجراني يرغبه في الموافقة معه على حرب محمد بن سعود ، وذكر له أيضاً إنك [إن] وافقتني على قلعه من هذه الأرض فلك كل عام مائة الف ذهب تصلك الى نجران . فرد جوابه النجراني قائلاً : لا يكون ذلك . كيف والشيمة هي حسن الوفاء بالقول . [٩٣] نعم انت ان ادركت منه الآن مرادك فبها ، وإلا فإنْ أحدث بعد علينا شيئاً ، فأنا بمجرد سماعه آتيه ، ولا يردّني عنه شيء إما قتله أو الموت . ولما آيس عرعر من اتفاق النجراني معه حاصر الدرعية شهراً ولم يدرك شيئاً مما أراد . فرجع الى الاحساء كما أسلفناه .

وأما محمد بن سعود لما رأى رجوع النجراني الى نجران وعرعر الى بلاده هيأ عسكراً مقدار ستة آلاف مع عبد العزيز ، بأمر محمد بن عبد الوهاب ، وأرسله الى طائفة [٩٤] من شمر قد طاعت قبل ذلك ، ولما سمعوا بمجيء النجراني وعرعر ، ارتدوا عن حكمه وجعلوا يغزون أطرافه ، فسار عبد العزيز بالجيش الى جبل شمر وغزاهم ليلاً ، فأهلك منهم جمعاً كثيراً وقد أسر منهم مائتي رجل بل أزيد . ثم رجع الى الدرعية بأمر محمد بن عبد الوهاب .

---

(١) اقرأ : شخص .

واعلم أن أمر محمد بن عبد الوهاب قويَ أتم قوة في تلك الأيام . هنا انتهى بدوّ أمره وموافقة محمد بن سعود وابنه عبد العزيز معه على وفــق ما حققناه ، والله أعلم .

* * *

الباب الثالث

[في بيان نسب محمد بن سعود وحسبه
وما كان عليه قبل اتباع محمد بن عبد الوهاب]

[٩٥] ذكر الثقات من المخبرين عن شأن محمد بن سعود انه كان رجلاً كثير الخيرات والعبادة ، وكان أبوه سعود وجده محمد واليين في الدرعية كبيري قومها ، وهو ، أعني محمد[١] ، كان كريم الطبيعة مُيَسَّر الرزق له أملاك كثيرة من نخل وزروع ، وله عددٌ من المواشي . قيل : من سخاوته ان كان الرجل يأتيه من البلدان ، يطلب منه شيئاً كثيراً لوفاء دين عليه فاذا عرف أنه محق ، أعطاه إياه ، حتى ان بعض السنين وفد عليه رجل من أهل البريدة اسمه ناصر ابن ابراهيم ، وكان تاجراً [٩٦] لكنه أفلس ببعض أموال الناس أصرفها[٢] في مهمات نفسه ، وكان الذي عليه أربعة آلاف ذهب . فلما وصل الدرعية أبدى الأمر لمحمد بن سعود قائلاً : يا شيخ ، — وكان اذاً يلقب بالشيخ حتى حان متابعته لمحمد بن عبد الوهاب منع الناس عن ان يقولوا له ولغيره من حكام ، هذا الشيخ أو نحوه ، إلا لأهل العلم فلا بأس — فأعطاه أربعة آلاف ذهب ، ولم يبالي[٣] . فقال له اولاده ، غير عبد العزيز ، ما هذه السفاهة ؟ أتعطي رجلاً لا تعرفه الا بالاسم هذا المبلغ [٩٧] الخطير ؟ فقال : نعم يا اولادي ، الدنيا إنما

---

(١) اقرأ : محمداً .

(٢) صرفها .

(٣) يبال .

جعلت لكرامة بني آدم، فالخيّر منهم ذو الشرف اذا ذلّ ينبغي إعانته بما يمكن لئلا يزدريه[1] السفل، وهذا ناصر بن ابراهيم قد سمعتم به أنه رجل كان ذا مال وشرف، وقد اضطره الزمان فعلى الناس الكرام إبداء الخير لمثله.

هذا والمعهود من محمد بن سعود ان ليس احد يراه شاباً من اهل بلده وجماعته غير متزوج الا سأل عن حاله فاذا قيل له لا يمكن[2] شيئاً من جهاز، جهّزه وأمره بالزواج. [٩٨] واذا امتنع أن يعطي أحدٌ بنته لشخص خطبها وهو كفؤ، سار محمد بن سعود بنفسه اليه، وعاتبه في ردّ ذلك، وربما يشترط على نفسه أن: أعطوا هذا فلانة فان أصابها ضرراً[3] من كسوة او متاع او مسكن فأنا ضامن به. وكان كذلك يفعل حيث وقع الشرط لا محالة، وذلك لحسن سيرته وسريرته، يريد التئام جماعته وكثرة خيرهم بالتناسل والتساعف. وكان يحب الخلوة. قيل: انه كان يأتي البيت فيجلس وحده ولا يريد أحداً من اولاده [٩٩] او نسائه ان يدخل عليه، ويبقى على هذه الحالة مستمراً سبعة ايام او اكثر وكان لا يرضى بالحرب مع احد ولو عيل عليه. ودائماً يأمر جماعته باطفاء الفتن لكن قومه أهل حقد وخدع كثير ولم تصف قلوبهم على من جاورهم من البلاد. ولهذا لولاه لما دخل أحد بمال لبيع وشراء اليهم لأن نفوسهم غليظة[4] هذا ما صحّ لدينا من خصاله وأفعاله.

واما بنسبه فقيل يرجع الى وائل، ووائل الى ربيعة وربيعة من مضر وقد ذكر الناسبون هكذا: [١٠٠] محمد بن سعود بن محمد بن عمر بن فيصل بن احمد بن سعدان بن عبد الله بن عثمان بن ياسر بن جبر بن عبد العزيز بن عمر ابن سليمان بن زيد بن عبد الرحمن بن سُليم بن عدوان بن صالح بن فضل بن

---

(١) في الأصل: يزدره.
(٢) يريد: لا يستطيع.
(٣) اقرأ: ضرر.
(٤) في الأصل: غلظة.

حميد بن ضاحي بن نجم بن معمر بن علي بن سَيّار بن زامل بن حيان بن سمرة
ابن عويمر بن داحس بن هلال بن زاهر بن سمعان بن مسَجْلَ بن زيد بن دارم
ابن ضُبَيّة بن بكر بن مُدلج بن وهب بن زمعة بن بكر بن وائل بن داحس
ابن عمرو بن قضاعة بن مصعب [١٠١] بن مطعم بن جبير بن ربيعة بن مضر.
هذا ما نقل لنا والله اعلم بالصواب ، وقد ختم الباب .

* * *

الباب الرابع

- ١ -

في كيفية سلطنة محمد بن سعود وابنه عبد العزيز وابنيه سعود وعبد الله بن [سعود] في بلدان نجد واطرافها

ونعني بكيفية حكومتهم ووضع سيرتهم ومنهاج سياستهم التي استفادوها من وضع محمد بن عبد الوهاب ونذكر في هذا الباب بعض الحروب التي وقعت لهم في بعض السنين بحسب ما اوعدنا [١] به في المقدمة . ويتلوه [١٠٢] ذكر اسماء قبائل نجد ، فنقول :

اعلم ان محمد بن سعود لما استقر الامر له بتوسط الدين الذي اخرجه محمد بن عبد الوهاب – وقد عرفت انه واولاده من بعده لم يخرجوا عن مصلحة محمد بن عبد الوهاب واولاده مثل ما وقع الشرط اولاً – كان شأن آل سعود اذاً حيث تولوا بلداً [٢] كبيرة او كورة بنوا حصناً في تلك البلد [٢] على حدة عن حصنها الاول إن كان لها حصن وبحثوا [٣] حوله خندقاً ان كانت أرضه صلبة ، وأحكموا بنيان القلعة [١٠٣] ورتبوا في الحصن قدر خمسمائة رجل عسكري او الف رجل

---

(١) اقرأ : وعدنا .
(٢) اقرأ : بلدة ، لاتصال التأنيث في سائر الجملة .
(٣) يعني : حفروا .

على قدر البلاد وخراجها ، ومموهم الأمناء إما من أهلها ، إن استصلحوهم ، او من غيرها من بلاد ، لكن بشرط كشف حالهم عن الاستقامة التامة بحسب الاعتقاد بهذا الدين ، ويعينوا هؤلاء متاعاً كثيراً ربما كفاية سنتين او ثلاثة[1] سنين مما يُدّخر ، ويجعل في الحصن أيضاً بنادق عديدة وبارود كذلك ، وربما جعلوا في بعض الحصون مدافع ويعيّن لأولئك الجند [١٠٤] مدخولاً كثيراً[2] مثلاً يبلغ أجرة كل واحد في السنة ثلاثمائة ذهب ، أو أربعمائة ذهب ، وذلك لأنهم اتخذوهم حُفّاظاً للبلد عن كل أحد . وهذا الجند المرتب لا حاكم عليهم غير عشرة رجال منهم أمراء يحكمون بموجب ماهم من جائزة الحكم الذي عُيّن لهم فيه . فان اتفقوا فعلوا وأطاعهم الجند والا فلا ؛ وطاعتهم لهم بالنسبة لما قرره إمام المسلمين وبيّنه . وان اتفقوا على غير ذلك فلم يطيعوهم قط، وهم لا يخرجون [١٠٥] عن الحصون أصلاً ، وكانت عادتهم ان يجعلوا في بلدة كبيرة قاضٍ ومفتي[3] ، وفي الصغيرة قاض[3] فحسب ، ويعينوا لهم خرجاً من بيت المال ، وايضاً يرتبوا في كل بلد عمالاً لأخذ الزكاة . مثلاً بعض البلاد يجعل فيها أربعة عمالٍ ، وبعض سبعة ، حسب الكبر والصغر وكثرة المدخول وقلّته . وهؤلاء غير الحكام فإنّ الحاكم لم يجعلوا له توليةً في أخذ المال قط ، وكانوا يجعلون في كل بلد محتسباً يتفقد أحوال الناس بالتجسس عما هم عليه [١٠٦] من صدق النية بالطاعة لهذا الدين ، وما هم فيه من المعاملات الدنيوية ، كالبيع والشراء كأنْ ينقصون[4] المكيال والميزان ، او يفسد بعضهم بلصاصةٍ ، أو تعدّ على أحدٍ أو تعدل القضاة عن إقامة حدود الله بأخذ رشوة أو الحكام كذلك ، ويجعلون في كل بلدة حاكماً من قبلهم . وينزعون من كان حاكماً قبل ايالتهم . ويجعلون في

---

(١) اقرأ : ثلاث .

(٢) اقرأ : مدخول كثير .

(٣) قاضياً ومفتياً .

(٤) ينقصوا .

ذلك كله . وهذا يحصل عن طيب نفس لا عن قهر وقوة ، وذلك في ابتداء امرهم بالحكومة ، لما كانت نجد [١١١] خاصة بيدهم .

وكان من بعض سياستهم انهم يضبطون كلّ المداخل في بيت على حدة ، ويسمونه بيت المال ، ولا يُسَلِّطون عليه متى شاءوا، بل لهم قواعد تؤخذ منه بقدر الخرج المعتاد ، فيزيدون الخرج شيئاً فشيئاً على قدر اتساع الملك ، وهذا بأمر محمد بن عبد الوهاب . فقرروا لبيت محمد بن عبد الوهاب واولاده واحفاده وخدامه وحشمه ، قريباً من خمسين الف ذهب ، ثم قننوا لهم ولآلهم ما يبلغ في السنة مع خدمهم وتوابعهم [١١٢] مائتي الف ذهب . ولكن لما زاد الملك بعد فتوحات أرض بني خالد والحجاز ، وشيء من اليمن وعمان ، وغاية ذلك كان في ايام آخر سلطنة عبد العزيز مع اوائل تسلط ابنه سعود ، قرروا لأولاد محمد ابن عبد الوهاب ما يبلغ في العام ثمانين الف ذهب . ثم استمر الحال كذلك الى ايام عبد الله بن سعود ولهم مال معروف ، دون بيت المال ، مثل هدايا يتحفون بها من إمام صنعا اليمن أو من أهل مصر أو غيرهم ، [١١٣] كهدايا كانوا يتحفونهم بها حجاج العجم لانهم يمرون بهم ولهم أيضاً أملاك نخيل وزرع اشتروها وتورثوها .

وكان من عاداتهم ايام دولتهم ، ان جميع حاج العقيلي والعجم المارين بهم يضيفونه ثلاثة ايام بلياليها ، ولا بد ان يحكموا على الحجاج بالغداء والعشاء ، ويرون ذلك واجباً ، وهذه العادة ، مما أفتى بها محمد بن عبد الوهاب ، مأخوذة من سقاية الحاج وإطعامه الذي كان يعمل في أيام الجاهلية ، ثم قرره الاسلام وندب اليه . وكانوا يأمرون [١١٤] كل أمير من أمراء الحاج ان لا يسير بركبه من أية ناحية أتى ، إلا ويمر بالدرعية ذهاباً واياباً ، فوقع بعض السنوات ان حاج [١] خرجوا من الكويت ، مُريدين مكة عظمها الله ، ولم يمروا بالدرعية ، وساروا على طريق الزلفي . فلما سمع بهم عبد العزيز ، أمر جنيّان بن رشيد

---

(١) اقرأ : حاجا .

الدّوسري ، ففزاهم وأسرهم ، فأتى بهم إلى الدرعيـــة ، وكلّ ما التمسوا منه الحاج بأن : نبذل كذا وكذا – وكان فيهم خلق كثير من العجم – وأرْخِصْنا لنمضي إلى حج بيت الله الحرام [١١٥] فأبى وقال : قد نبّهنا قبل هذا أن لا يقصد أحدٌ من هذه النواحي مكة ، إلا أن يمرّ بنـــا ويَضَيِّفَنا ونعرفه ، ويعاهدنا على هذا الدين . وأنتم أخلفتم الحكم ، فلستم في الذمة . وإنما أمرهم هذا كما ذكرنا غايته اشتهار قُدْرَتِهم بالطاعة ، وإسماع جميع الناس من أهل الأقطار ما هم فيه من الدين ، وترغيب العوام به بما يبلغهم أنهم يضيفون حجاج بيت الله ، وهذا ناموس عظيم .

ثم إنهم منعوا الأعراب عن أخذ [١١٦] الأخوّة على الحـاج وكانت البداة الأقوياء يأخذون على الحـاج مالاً يبلغ عند بعضهم الرأس أربعة ذهوبة ، وعند بعضهم ستة ذهوبة ؛ وكانت هذه الحالة من أرض بني خالد إلى بابي مكة والمدينة ولا فرق بين العرب والعجم في الأخذ ، إلا أن العجم أكثر أخـــذاً منهم . فلما استقر الحكم لآل سعود ، منعوا جميع العرب التي تحت سلطنتهم من أعراب نجد وغيرهم كعرب الحجاز وعُتَيبة وهُذيل ومن حالفهم . وكذا منعوا جُهَينة عن التعرض للحاج ، [١١٧] وكانوا يأخذون مالاً كثيراً ربمـا يبلغ كلّ رأس خمسة عشر ذهباً . وقالوا لكبار هؤلاء الطوائف ، تأليفاً لقلوبهم : هـذا نحن نجري لكم من بيت المال بعض الذخائر فلا تقربوا الحجاج بشيء. وأخذوا عليهم عهداً. فعلى هذا كان الحاج المعاهد لهم يمر جميع جزيرة العرب ، ولم يتعرضه أحـــد ؛ وكان لهم حكم قاهر لم يجرؤ أحد من البـدو والحضر أن يسرق شيئاً ، ولو عقال بعير ، وقد أجروا السياسة على جميع من في مملكتهم بحيث [١١٨] تحمل الأنثى حُلِيَّها وتمضي وحدها مسافة مرحلة مثلاً ، أو أكثر ، أين ما شاءت ليلاً ونهاراً ولم يتعرضها أحد قط . يحكى أن امرأة من أهل بريدة ، كانت جميلة جـداً ، وذات مـال وجاه ، خرجت يوماً إلى البريـــة أيام الربيع تتفرج على الأزهار

والأنوار ، ومعها بعض خدمها ، فلما أرادوا [1] الرجوع الى البلد جنّ عليهن الليل فضلوا [1] الطريق ،فلما قرب صباح انفردت هي عن جواريها لوقوعهن بين تلول ، فصادفها رجل ، وكان [119] فيما ينقل انه فاسق سارق ، أخبث من الشيطان ، فقال لها : من أنتِ ؟ قالت : فلانة ، وكانت مشهورة بالصدق أيضاً فلما سمع بها ، وهو يعرفها بالاسم والصيت ، قال لها : أهلاً وسهلاً ، وكان طامعاً بها فلم تجبه الى أكثر من : انظر من خلفك . فخاف ، فالتفت ملياً فلم ير أحداً فقال لها : من ذا الذي ترهبيني به ؟ قالت : عبد العزيز آل سعود ، فإن كنت عاقلاً فلا تطمع . فأخذ يتملق ويلتمس منها المقاربة حتى غلب على أمرها بأخذ المال ، [120] الذي معها من الحلي وتخلية سبيلها ، فاستغنمت ذلك ، وهي عارفة أن المال لا يفوت . فلما أضاءت الشمس ، عرفت السبيل المفضي بها إلى البلد ، فسلكته حتى [وصلت] إلى بيتها ، وكانت ذات زوج . فسئلت عن حالها بالأمس ، وسبب التخلف ، فقصّت عليه القصة . وهو رفعها الى عبدالعزيز فجعل عبد العزيز يسأل ويتفحص عن حال رجل كذا و كذا، في يوم كذا و كذا وعن الموضع الذي وقع اتفاقه معها ؛ فاستمر ذلك الى بعد أربع عشرة سنة ، فحصل مَنْ [121] أطلعه على حال ذلك الشخص،وكان رجلاً من قبيلة معروفة في نجد ، فأرسل خلفه ، وهو يظن ان هذه مدة ماضيه ، قد غاب الحال عن عبد العزيز . فلما حضر لديه ، قال له : يا فلان ، أتدري ما لنا عليك من الدين؟ فقال : أيها الامام ما انا بمقروض لك بشيء . فقال : أين الحليّ الفلاني ، الذي سلبته المرأة فلانة ؟ إيتِ به ، لا بد من ذلك . فألجئه بالتهديد ، الى ان اخذ منه جميع ذلك الموجود منه وقيمة المفقود،فأرسل خلف المرأة [122] وزوجها الى الدرعية ، ومراده بيان الشوكة ، فقال : هذا خصمكما ، فقد استوفينا منه المال بكليته . فأعطاهم المال ، ومَثّل بذلك الشخص . ومن هذا القبيل لهم حادثات كثيرة .

ومن جملة وضعهم في الحكومة أنهم تركوا التجبر والحجب وأخذ شيء من

---

(1) اقرأ : أردن ... فضللن.

أموال الناس بلا وجه بيّن ، حيث أنهم يدعون اننا على مسند رسول الله (ص) وكان الغني والفقير عندهم بمجال ولهذا لا يجسُر احد ذو مـــال ، أن يتعرض في أيامهم بشيء ولو قليلا على أحد [١٢٣] ؛ حتى الشتم والسب ، رفعوه ، فلو قال أحدٌ لأحدٍ يا فاسق ، أو يا كلب ، أو نحو ذلك ، التزم بهذه الدعوى ، ورُفِـع أمره الى حاكم الشرع فَيُعَزّر ، ولو كان الامام نفسه. حُكي من الغرائب ، أن يوماً من الأيام ، سبّ عبد العزيز رجـــلا في المجلس . فلما انقضى المجلس ، سار الرجل الى محمد بن عبد الوهاب شاكياً حاله قائلا : أريد فصل الحكم على أمـير المسلمين . فقال له : ما بالك معه ؟ قال الرجل : قد سبّني اليـوم . فأمر محمد بن عبد الوهاب أحد خدامه باحضار عبد العزيز . فلما جاءه [١٢٤] الخادم ، قال : عليك شكوى . قال : لمن ؟ قال : لرجل سببته اليوم بلا سبب . فـلم يلبث عبد العزيز مكانه ، وقام فزعاً من محمد بن عبد الوهاب . فلما حضر لديه قال له : اجلس الى جانب صاحبك ، وتخاصم معه ، فان الدين لا يسع غير هذا. فاعترف عبد العزيز بذنبه على ذلك الرجل ، وقال : هذا اشتري عرضي منه بمـا شتمتُ عرضه بخمسين ذهباً . قال : ذلك حق له ان رضي . فاسترضى الرجـل بالمال ، فلم يرضَ ، وكان غيوراً . فأمر محمد بن عبدالوهاب بعصا كانت [١٢٥] يتخذها لتأديب بعض الناس . فقام وضرب عبد العزيز عشرين ضربة ، وهو يقــول : سمعاً وطاعـة لله ولحكم الشرع ، ولم ينكر على محمد بن عبد الوهاب في ذلك هو ولا غيره من آله والرعية ، بل أخذ الكل يحمده على فعـــله ، وكم مرة خاصمه الأدنى والأعلى على بعض الأملاك ، كما يقع بين سائر النـــاس وينقادُ الى الحكم الشرعي ، ولا يرضى بغـــيره . وكان أبوه محمد كذلك وولداه سعود وعبد الله ابن سعود .

ولم يزل أمرهم بالتواضع والجلوس على الأرض ، [١٢٦] بلا فراش اذا مروا في سائر الأوقات ، ولا يكلـفون أحداً بالقيام لهم ، ولو علموا من أحد القيــام خوفاً ومراءاة ، قالوا له : نحن كأنتَ إلا في الحكم ، فإيّاك أن تهاب منا وتقهر نفسك للقيام ، فإن شئت أن تكرمنا ، فلا بأس ، وإلا فأمسِك . وكان الأمر

بينهم كذلك في جميع ما ذكرناه ، حتى توفي عبد العزيز قتيلاً (١)، اتخذوا حينئذ الحجّاب والبوّاب ، وحصّنوا البيوت ، وبنوا الخلوات . ولم يجسر أحد أن يدخل عليهم إلا بإذن منهم ، والحرس يحفهم (٢) بالليل . [١٢٧] ولم يكن ذلك قبل . إنما فعلوا هذا لأنهم خافوا على أنفسهم من الغيلة ، كما فُعِل بعبد العزيز .

ثم إنهم لما ترقى أمرهم طلبوا الفسحة في العلم فصاروا يقرأون العلوم المرغوبة (٣) لدى أهل الملك ، مثل التواريخ وشيئاً من علوم الأدب كالعربية ، ودواوين مشهورة مثل ديوان ابن مقرب الأحسائي (٤) ونحوه ، مما فيه بيان الغيرة ، وحماية الناموس . ويعلّمون أولادهم الذكور ذلك بعد معالم الدين ، وهذه إجازة أجازهم بها محمد بن عبد الوهاب ومنع ظاهراً [١٢٨] من تعاطي غير علم الدين غيرهم .

ومن بعض سياستهم أنهم لا يرضون بصفاء خواطر القبائل التي تحت يدهم ، خشية أن يتفقوا على منع حكم من أحكامهم ، بل يفتنون القبائل ويلقون بينهم المشاجرة. لكن كل هذا بالخفا والسرّ .

ولما كان أيام سعود بن عبد العزيز ، اتخذوا حرساً ، هؤلاء لا يبعدون عنهم أصلاً ، وكانوا إذاً ألف رجل وقد عيّن لكل واحد في السنة مائة ذهب . ثم لما أظهر أمر آل سعود من أيام محمد بن سعود ، كان عادتهم في الحروب أن يعيّنوا على كل قبيلة وكل قرية أو مدينة ، أناساً للجهاد . ولم يجعلوا [١٢٩] لهم وظائف أصلاً بل يقولون هذا واجب عليكم ، حتى الذخيرة على من خرج بالجهاد . وكانوا

---

(١) اغتيل عبد العزيز في الدرعية سنة ١٨٠٣ ، وأغلب الظن أن القاتل كان شيعياً من العراق والسبب الذي يورد للاغتيال هو هجمات الوهابيين على النجف وكربلاء بالعراق حيث قتل سعود بن عبد العزيز أقارب القاتل ومن جملتهم زوجته وأولاده ـ فيما قيل ـ

(٢) في الأصل : يحوفهم .

(٣) في الأصل : علوم الرغوبة .

(٤) جمال الدين علي بن المقرب ، ولد بالاحساء سنة ٥٧٢ هـ وتوفي سنة ٦٣١ بالبحرين ، وقد طبع ديوانه بالقاهرة ١٩٦٣ بتحقيق وشرح الاستاذ عبد الفتاح محمد الحلو .

يقولون لكبير الطائفة وأمير البلد: رتبوا نفراً للجهاد حيث أردنا وأمرنا. فكان حسب ما أمروا به.

واعلم أن شأنهم في الرياسة أن لا يؤمّروا على الجيش إلا أحداً من بيتهم أو رجلا من أهل البادية. وإذا أرادوا أن يغزوا مكاناً شيّعوا[1] أننا نريد المكان الفلاني، وهم قاصدون غيره، لئلا يبلغ خبرهم أهل تلك الديار فيحذروا منهم.

وكان من أمرهم أن لهم جواسيس في [١٣٠] البلدان التي لم تكن تحت أمرهم يترقبون الأخبار ويرفعونها لهم. حُكي أنه كان لهم رقيب في القسطنطينية، ولما صدر الحكم من السلطان لوالي مصر وهو محمد علي باشه بأن يحارب آل سعود، بمجرد السماع كتب الرقيب لسعود يخبره بالخبر فأخذ يحصّن القلاع، ويجمع الطوائف بالتأليف لأن من عادة ما قال لهم به محمد بن عبد الوهاب، انكم اذا عرفتم أن الناس مائلة قلوبهم عنكم، فألّفوها بالبذل، فليس شيء أقوى منه للتعمير، قال بعض الرواة: كان فيما ينقل، أن في ذلك [١٣١] العام، الذي بلغ خبر الروم الى سعود، أشعر من بعض عنزة الميل عنه، فأرسل ابنه فيصل إليهم، وأرسل معه عطايا كثيرة لمشايخهم، وكتب كتاباً يمدحهم فيه ويحرضهم على القتال، ويقول لهم: أنتم أهل الدين، وكيت وذيت، حتى إنه أرضاهم بمال كثير، فرضوا منه بعد ذلك. وهؤلاء، قبل هذا بثلاثة سنين، قد بدا من طائفة من جماعاتهم بعض الخلاف الجزئي[2]، وقد ركب سعود بنفسه عليهم وقاتلهم، وكلما أرسلوا الرسل، وبعثوا بالمال وأظهروا التوبة، لم [١٣٢] يقبل منهم لأنه حينئذ متمكن لا ضدّ له من خارج، والآن غيّروا ما كانوا يصنعون فهم أبناء الوقت.

وكانوا يأمرون بأن لا يسافر أحد من جميع بلادهم الى ناحية بلدان الخصوم إلا برخصة منهم، إن كانوا حاضرين هناك، أو بإذن أمرائهم الذين في تلك

---

(١) يريد: أشاعوا.

(٢) في الأصل: خلاف الجزئي.

الأقطار . وكانوا لما دخلوا أرض الحجاز ، وظهرت قوتهم فيها ، ثم صالحوا الشريف ، التزموا على أنفسهم ان يحج امام المسلمين نفسه كل سنة ، ويجمع جميع حجاج أهل الدين معه . هذا ما ثبت لدينا من أوضاع حكومتهم بعد اتباع مذهب محمد بن عبد الوهاب ، والله أعلم بالصواب .

* * *

- ٢ -

فصل في ذكر القبائل النازلين نجداً

[١٣٣] منهم من لها شعب في الحجاز وشعب في نجد : فمن ذلك **عنزة** وهي ترجع الى وائل من ربيعة ، وهم في اصطلاح اليوم اكبر قبائل العرب كما يقال : « كل قوم دون عنزة » — مثل مشهور — وهي ثلاثة [١] فرق تحت كل فرقة واحدة شعوب وفخوذ وعشائر . وعدد الكل يبلغ قريباً من ستين الفاً . وهذه قبيلة معروف رجالها في ركض الخيل والفراسة [٢] . وليس في أرض نجد أحد يقاومهم [١٣٤] .

فإحدى طوائفهم تسمى **بني وهب** ، وهي تفترق الى فرقتين إحداهما يقال لها ، **ولد علي** ، وفيها رأسان كبيران ، وهي تسكن هذا الزمن ببرية الشام بين البلقا وحوران ، والآن يعدونهم من توابع دمشق ، وحالهم في النزول والارتحال هذه اذا وقع البرد والثلج خرجوا بإبلهم وخيلهم وبقية مواشيهم ، وتزوّدوا من الحنطة ما يمونهم أيام البرد ، ونزلوا مواضع بين دومة الجندل والشام ، تسمى وادي السرّحان والحماد ؛ فإذا دخل الصيف ارتحلوا [١٣٥] راجعين الى مساكنهم المعهودة . والفرقة الثانية من بني وهب يسمون **المنابهة** ومشايخهم اهل قدر وشان ، يقال لهم آل فاضل . فهذه الفرقة ينزلون الآن

---

(١) اقرأ : ثلاث .

(٢) يريد : الفروسية .

أيام الصيف في مواضع الى جهة حلب وحمص وحماه وتعرف تلك الأرض عند بادية الشام بالشنبَل ، وكثيراً ما ينزلون على نهر العاصي الذي عليه حماه المعمورة . وأمّا زمان البرد والشتاء فيذهبون شرقيّ منزلهم من أطراف العراق والحماد المذكور سابقاً . وأيام الصيف يرجعون الى الشنبل وهاتان الفرقتان من [١٣٦] بني وهب لها تعينات[١] وخرج من ولاة الشام وحلب ، يعطون من الدراهم والحبوب ورخوت[٢] لمشايخهم . وإنما يعطون ذلك لحفظهم السُبل وأرض الفلاحة والزرع عن أنْ يمسّها أحد قومهم وقبائلهم والمترددون هناك ، ويمنعون أيضاً بعض قبائلهم من عنزة الساكنين نجداً الآن ، الآتي ذكرهم ، عن التعارضات والغارات في اطراف الشام وحلب . وأيضاً بعض بني وهب يسكن خيبر من أرض الحجاز ، ولهم فيها نخيل بقدر نصف نخيل ارض خيبر ، [١٣٧] إذ خيبر مشهورة بكثرة النخيل جاهلية" واسلاماً . وهذه الفرقة زمن الربيع يرعون مواشيهم من ارض شمّر الى تيماء إلى حجر ثمود الى مناهل من أرض الشام الى جهة قرب ما يلي ينبع .

وطائفة أخرى من عنزة من وائل من ربيعة تسمى ، **الجلاس** .

وطائفة ثالثة تسمّى **الوُلْدَة** ، وهم شجعان[٣] جزيرة العرب ، وهم أهل إبل كثير ، ربما يملك الشخص منهم أربعمائة او خمسمائة ؛ وهم في الصيف يقطنون في بصرى والأزرق وإحنبكا وقد ينزلون[٤] النقرة الواقعة بين بلقاء وحوران . [١٣٨] وهم يجلبون إبلهم للبيع إلى حلب فيبيعونها على التركمان يأتونهم من طريق ديار بكر . ثم إنّ طائفة الجلاس لذا تم الصيف ، وبدأ ايام حصول التمر ، ساروا إلى اطراف كورة القصيم ، ثم استكالوا تمراً وحنطة .

---

(١) في الأصل : تعينان

(٢) كذا في الأصل

(٣) في الاصل : شجان .

(٤) في الاصل : ينزون .

وطائفة رابعة [1] من عنزة من وائل من ربيعة يقال لها بِشْر وَهُمْ عدداً أكثر رجالاً من بقية عنزة ، وهم يفترقون الى شعوب : الشعب الأول يسمى **العمارات** ، وشعب يقال له **آل جبل** . والعمارات عشيرتان **الصقور والمطارفة** ومشايخ العمارات اهل بيت يقال لهم [١٣٩] آل هَذال كان قبل ايام دولة آل سعود [ذا] شأن عظيم وقوة غريبة ، وكانوا يرعون جميع أراضي نجد أينما شاءوا ولا أحد يمكنه معارضتهم إلاّ مطير حينئذ . وأيضاً شعبان من بشر أحدهما **الدهامشة** ، وفي عرف أهل نجد يقال لهم الدهامشة [2] وهم يملكون الحايط والحويط المسمّى بفدك في سابق الزمان . وهم عدد كثير وغالب سلاحهم البندق ، وشعب آخر من بشر يقال لهم **السبعة** وهم غير سبيع الآتي [١٤٠] ذكرهم . ثم شعب ثاني من بشر يقال له **ولد سُليمان** . وشعب آخر منهم **البجايدة** . ثم عشيرة [3] أخرى منهم اسمها **آل شملان**، وهم يملكون نصف أرض خيبر ونخيلها ، ولهم هناك فُلّح [4] تتولى الزراعة ، وهم بأنفسهم أهل بيت شَعَر ، يسكنون ديار نجد ، وأما آل هَذال الذين هم مشايخ بشر من عنزة ، فلهم ارض الحناكية .

واعلم ان هذه الطوائف التي قدمنا ذكرهم على التفصيل من عنزة ممن سكن اليوم بجوالي الشام: وَمَنْ هو باقٍ بنجد خاصة ، إذا قحطت أرض نجد التجأوا إلى اخوانهم [١٤١] الذين ينزلون ديار الشام فيقومون لهم بالواجب ويساوونهم [5]، فلا يتركونهم فقراء اصلا وتلك [6] الشيمة معهودة في عنزة اكثر من بقية قبائل العرب . واذا أخصبت نجد رجعوا بأهاليهم إليها لأن أرض نجد مع الخصب لا

---

(١) قد مرّ قوله أن عنزة ثلاث فرق (ص ٥٩) .

(٢) كذا بتكرار الكلمة نفسها .

(٣) في الأصل : عشرته .

(٤) يريد : فلاحون .

(٥) يريد : يساورنهم بأنفسهم أو لعله «ويواسونهم».

(٦) في الاصل: وذلك .

يساويها في المرعى وطيب المشرب ، واعتدال الهواء أرض من غيرها .

واعلم أنّ عنزة كلها دخلت تحت طاعة آل سعود ، اكثرهم بغير حرب ؛ بل رأوا أحقية هذا الدين فقبلوه شوقاً . ثمّ إنّ طائفة من بشر ، من عنزة، من وائل ، يقال لها **الفدعان** ، [١٤٢] ارتدت عن حكم آل سعود ، وتعلقت ببني خالد ودولتهم ، فجلت من نجدٍ وسكنت أرض الحوالد ، ثم عادت إلى نجد بعد ذهاب مُلك بني خالد . هذه أحوال عنزة من وائل .

وأما قبيلة **شمّر** فهي عدداً عشرين[1] ألفاً ، وكلهم تحت طاعة ابن سعود . وقد وقع من بعضهم بعض الخلاف آخر أيام عبد العزيز ، فأجلاهم من أرض طيّ الى العراق . وكبير تلك العشيرة يقال له مطلق الجربي ، ولم تبرح الآن هناك أيضاً . وشمّر نسبهم يرجع الى قحطان ، وهم من طيّ القدماء ، غيّر [١٤٣] اسمهم .

وأما قبيلة **حرب** فهي قبيلة منها بدو وحضر . أما الحضر فينزلون مواضع مخصوصة من أرض الحجاز بين مكة والمدينة ، وهي أودية بين الجبال كثيرة النخيل ، وهما واديان احدهما يسمى بالصفرى ، والآخر بالفر ، وهو غير فرع نجد ، ولهم بادية تسكن العوالي من توابع المدينة المنورة ، والعوالي على فرسخ من المدينة جنوباً شرقاً . وبعضهم سكن نجداً ، أعني البداة ، فيصل الى أطراف القصيم ، وأولئك أهل الخيل والابل الكثيرة ، لأنّ أرض نجد [١٤٤] للخيل والإبل أعصى من غيرها ، ولأن عشبها دائمًا[2] ومياهها كثيرة ، بين مصانع وآبار . وقبيلة حرب بكليتها تبلغ ثلاثين الفاً .

وأمّا قبيلة **مطير**[3] وهي من ربيعة أيضاً ، وهم سكان نجد خاصةً ، وعددها يبلغ اربعة عشر الفاً ، وهم يرجعون نسباً من قحطان ، وهم فرسان

---

(١) اقرأ : عشرون .

(٢) جائزة النصب ، واقرأ : دائم .

(٣) كتبت «مطر» في بعض المواضع .

نجد وشجاعتهم[١] معروفة بين أهل نجد ؛ وليس لمطير قرى وحضر بل هم بداة صرف ، ويسمّون اهل الردات عند الانهزام لأنهم مهما انكسروا وتبعهم العدو ردوا عليه وغلبوه ، ومطير [١٤٥] هذه تتبع جميع قصبات نجد في مرعى ، وليس لها رادّ عن ذلك إلاّ عنزة ان اجتمعت عشايرُها كلها . وغالب مساكنهم بين العارض ومكة شرّفها الله تعالى في فيافي تسمى حزم الراجي والنّير ؛ وأهل الغنم منهم ينزلون غالباً قريب الحرا عند ماءٍ يسمى العمق . وهناك قصر صغير يسّمى صُقَيْنة ؛ واكثر كيلهم من حبوب وتمر العارض والقصيم والإحساء ، وفخذ مشايخ مطير يقال لهم الدوشان ؛ واليوم كبيرهم فيصل أبو وطبان الدوشي[٢] .

واما قبيلة [١٤٦] عيبة ، فهي قبيلة كبيرة ، سابقاً تسمى هوازن ، وكانت تسكن حينئذٍ بأطراف مكة موضعاً يقال له حنين . وهي تبلغ اليوم أربعين الفاً وهي ترجع الى قحطان نسباً . فأما اهل الإبل الكثيرة والخيل كذلك ، فينزلون غالب السنة نجداً الى اطراف القصيم ؛ وغالب أهل الغنم ، منهم من ينزل أرض الحجاز عن مكة ثلاث مراحل ولهم ثلاثون قرية عن الطايف بستة فراسخ الى جهة اليمن شرقاً قليلاً .

وأما قبيلة البقوم فهم بادية يبلغون أربعة آلافٍ وهم بداة [١٤٧] ، ومكان تربة وملاكها خدامهم ومن التحق بهم . وتربة تقع شرقاً من حَضَن الآتي ذكره . وينحدر السيل من تربةَ من أرض الحجاز ، الذي هو يمن عن الطائف .

وأما قبيلة سبيع فهي قبيلة كبيرة ، منهم طائفة تسمى بني عامر . وسبيع ينقسمون قسمين قسم منهم ينزل قبلةً عن العارض ، ولهم بلد يقال لها

---

(١) في الأصل : وشجاعة
(٢) في الأصل : الدوسي

رَنْيَة تقع شرقاً من تربة بيومين ، ولها واد أعلاه في الحجاز ، وهي تحسب من نجد . وعلى هذه القبيلة أمير من قبل ابن سعود يجلس في رَنْيَة ايام الصيف ، [١٤٨] وفي الربيع يرحل مع جماعته . وأمّا القسم الآخرون من سبيع يسكنون في نفس العارض ولهم فيه أملاك عديدة من نخل وغيره ، وهم في عين الطاعة والانقياد لآل سعود ، وهم معهم في الحميّة وتعصب كالحمة وأبناء العم ، ودائماً مهما ركب أحد من آل سعود في الحروب فهم معه ولا يأمن احداً مثل ما يأمنهم ، ولهم شجاعة معروفة في نجد . ولهذه الفرقة من سبيع عطايا كثيرة ، ومساكنهم ايام الربيع العرض والدهنا ؛ ومجموع السبيع يبلغ اثني عشر الفاً غير توابعهم وخدامهم. [١٤٩] وسبيع ترجع نسباً الى ربيعة .

واما **السُّهول** فهم طائفة برأسها وقيل انهم يرجعون نسباً الى السبيع ، وقيل غير ذلك لكن الحق الذي نقله لنا بعض المخبرين أنهم أصلٌ على حدة ، يرجعون الى ربيعة أيضاً ، ولهم إبل وغنم عديدة ، واكثر السمن الذي يجلب الى الدرعية منهم . ولهم مناهل مياه على ثلاثة أيام من الدرعية مع يسار السائر من الدرعية الى مكة عظمها الله تعالى . وبلدهم جبل يسمى العرض كثير المياه والأودية، وأراضيهم قريبة من الشعرى والدوادي .[١٥٠] وهم يقيظون في بلدة يقال لها القويعيّة ، كثيرة النخيل . وأهل تلك البلدة اسمهم بني(٢) زيد ، وعدد السُّهول يبلغ عشرة آلاف .

وطائفة كبيرة ، **قحطان** وهي باقية على هذا الاسم ، لأنها من قحطان القدماء . وهم خلق كثير يبلغ عددهم خمسين الفاً ، بل أزيد ولهم قوة عظيمة . وكانوا قبل ظهور محمد بن عبد الوهاب ، لا يمكن أحد الحرب معهم ، ولهم أرض واسعة ، من حدود السراة ، وهو جبل عالي ، بين بيشة ونجران . ولهم واد يسمى التثليث ، يهبط سيله الى وادي دواسر [١٥١] ، الآتي ذكره . ومنهم ،

---

(١) في الاصل : يقيضون .
(٢) اقرأ : بنو .

أعني قحطان هؤلاء ، من ينزل المضب[1] الذي هو شرقاً عن رَنْيَة . فأكثر قحطان ، أهل الخيل والابل ، يسكن نجداً باطراف العارض . ولهم نصح عظيم في هذا الدين الذي أخرجه محمد بن عبد الوهاب . ولهم مبالغة تامة فيه ، وهم لما اتبعوا آل سعود ، قالوا لهم : نحن علينا تطويع تهامة اليمن ، وأطراف حضرموت ، والشّحر ، وما ناسبنا من أرض الحجاز . وكان الأمر كذلك لأنهم ما فتروا عن الغزو منذ دخلوا في الدين . وكان اذاً شيخهم وكبيرهم هادي بن قرملة ، واليوم [١٥٢] ابنه محمد بن هادي بن قرملة بن قحطان ، يتصرفون أينما شاءوا من بلاد نجد وتوابعها كالإحساء .

واما العجمان ، فهم في الاصل من طوائف اليمن ، ولكنهم منذ مائة سنة حلوا نجداً يمشون في اي مواضع شاءوا منها، لقوتهم وشجاعتهم ؛ وعددهم خمسة آلاف رجل . وهم يرجعون نسباً من يام بداة نجران ويرجع نسبهم أصلاً ، ينتهي ، إلى قحطان أيضاً .

وطايفة أخرى من يام ، يقال لهم آل مِرّة[2] ، تارةً يسكنون اليمن ، وأخرى نجداً بحسب ما يصلح أحوالهم لمواشيهم ، وهم أهل إبل فقط ، [١٥٣] وشجعان . ولشجاعتهم لا ينازلون أحداً من [..][3] ولا يخالفونهم ، وإن كانوا قليلين ، وربما نزلوا أرض الاحقاف من مشارق اليمن ، مما يلي عمان . وهم يبلغون ألفي رجل او اكثر . وتلك الديار التي يسكنها هؤلاء أرض فيافي وقفار ، شديدة الحر جداً . وأما الماء ففيها عزيز الوجود ، وربما وجد فيها ماء أملح من البحر ، لكن يشربونه هؤلاء . وغالب قوتهم من لبن الابل ، وبينهم وبين الدّرعية مسافة اثنين وثلاثين يوماً للراكب المجدّ السير ، وهم في طاعة آل سعود [١٥٤] .

وأمّا بنو خالد ، فهم قوم كرامٌ ، أهل شيمة ومجد ، وصيانة عرض ،

---

(١) في الأصل : المطب

(٢) كذا ضبطها في الأصل

(٣) كذا وليس في الأصل بياض .

وحكامهم منهم ، وهي طائفة تسمّى آل حميد. وهم ولاة أراضين كثيرة معروفة ، مما يلي نجداً الى القبلة ، حتى تمضي شرقاً الى البحر وشمالاً الى الجهـــرة[1] ، وجنوباً الى أرض الصير من عمان . وعدد بني خالد هم مع توابعهم ثلاثون الفاً او يزيدون . وسيأتي ذكرهم بكيفية حكومتهم مع عدّ شعوبهم في الباب الخامس ان شاء الله تعالى ؛ ونسب بني خالد فيما حدثنـــا النسابون يرجع الى ربيعة ، والله اعلم .

---

(١) قرية بالكويت بها ماء وبساتين وتقع على طريق الكويت ـ البصرة .

فصل في ذكر تسخير آل سعود ملك بني خالد

[١٥٥] اعلم انـــه لما اراد الله ذهاب دولة الخوالد وضع النفاق [١] بينهم . فصار كلّ من آل حميد يجر شعباً من القبيلة لنفسه، ليقوى أمره، فينال الرياسة . وليسوا كذلك قبل ذلك ، بـل كانوا جميعاً . وأوّل هذا التفرق أن عرعر بن دُجين المذكور سابقاً ، لما مات [٢] ، ولي بعد ابنه بُطين بن عرعر [٣] . فاختلفوا عليه إخوانه ومشايخ قبائل بني خالد ، وقد قتلوه غيلة [٤] لأمور نقموا بها [٥] عليه . فتولى بعده أخوه [١٥٦] سعدون آل عرعر ، وحكم في بني خالد اثنتي عشرة [٦] سنة. وحينئذ قويت شوكة آل سعود في جميع بلدان نجد ، من حضر وبدو ، وصارت قوتهم أول نقص دخل على بني خالد . وهمّ سعدون بن عرعر بحرب آل سعود . وقد جعل عبد العزيز يكتب الى بعض مشايخ بني خـــالد ،

---

(١) يريد : الشقاق .

(٢) توفي عريعر في بلدة الخابية سنة ١١٨٨ هـ / ١٧٧٤ م . قارن ابن غنام ٢ : ١٠١ .

(٣) حكم بطين مدة وجيزة إذ قتل عام ١١٨٨ هـ / ١٧٧٤ ومات مخنوقاً على يد أخويــه دُجين وسعدون . وما لبث سعدون أن دسّ السمّ لأخيه دجين وانفرد بالحكم في نفس العام . انظر حوادث ١١٨٨ هـ في ابن بشر .

(٤) في الأصل : علية

(٥) صوابه : نقموها

(٦) في الأصل : اثني عشر

ويدس إليهم الرشوة ، ويوعدهم [1] بأنّ الأمر كذا و كذا ، إنْ تفرقتم عن آل حميد ، وآل الامر الينا ، أجعل كلّ طائفةٍ منكم برأسها ورأسُها منها ، وأملكها أرضاً [١٥٧] وبلدان [2] تكون ذخيرة لها .

ثم إنّ عبد العزيز أرسل خفية بعض الناس الى إخوان سعدون ، وكتب لهم كتباً يقول لهم فيها: ليس سعدون بأولى منكم في الحكومة بل كونوا انتم حكاماً باجمعكم ، فإن أبى عن ذلك ، فاصنعوا فيه ما يزيل بأسه ، فإن عاندكم أحد من بني خالد ، ولم تظفروا به ، هذا أنا امدكم بالمال والرجال ، ولا أتوقف حين يبلغني منكم علمٌ على حسب ما تريدون . فلما بلغ إخوان سعدون العلم الذي أسرّه إليهم عبدالعزيز ، أظهروا الخلاف [١٥٨] مع أخيهم ، فلم يتمكنوا منه ، فغلب عليهم أمره ، فالتجأوا إلى خالهم عبد المحسن آل سرداح [3] ، من فخذ من الحميد ، يقال لهم آل عبدالله ، فجلوا إلى المنتفق . فلما وصلوا هناك أيّدهم الشيخ ثويني [4] بن عبدالله آل شبيب ، وساروا الى أخيهم سعدون ، فانهزم سعدون. ثم إنهما دخلا في سلف بني خالد، فحكم منهما داحس [5]، لأنه الاكبر ، ولكنْ يشاورُ اخاه محمداً . كان خالهم عبد المحسن كاتماً لها العداوة، يريد الرياسة لنفسه ، وأن تنقل الحكومة من آل عرعر [6] الى [١٥٩] آل عبد الله .

وأما سعدون ، فلما انهزم التجأ الى عبدالعزيز ، فأكرمه وأوعده بأن يسير معه الى بني خالد . فأخذ سعدون هو وبعض الخوالد الذين معه، يغزون أطراف بلاد الخوالد ، ويأسرون منهم أناس [7] ويأتون بهم إلى الدّرعية وعبد العزيز يمن

---

(١) صوابه : ويعدهم

(٢) اقرأ : وبلداناً

(٣) انظر الملحق رقم (١) الخاص بحكام بني خالد .

(٤) في الأصل: ثوني .

(٥) حكم داحس مع أخيه محمد من ١٧٨٦ - ١٧٨٩ .

(٦) في الأصل : عزير .

(٧) اقرأ : أناسا .

عليهم فيفكتهم ، ويردّ أموالهم عليهم ، ويبذل لسعدون بدل ذلك .

ثم إنّ عبدالعزيز أخذ يكاتب بني خالد،ويأمرهم بطاعة سعدون آل عرعر، بعد ما كان يرغبهم بخدمة أخويه داحس ومحمد ، وما هذا [١٦٠] الا لفطانة ، يقلّب الافكار ليدمّر دولتهم . فانحازت بعض طوائف بني خالد إلى جانب نجد ، فأقرّهم عبد العزيز وأعطاهم جزيل العطاء . ولم يزل الاختلاف في بني خالد هكذا ، إلى مـــدة خمسة (١) سنين : فأمر عبـــد العزيز ابنه سعود مع جيش عرَمْرَم يبلغ اربعين الفاً ، وقال له : سرْ الى بلاد بني خالد ، ولا تتعرض شيئاً من أموالهم ، فإنْ عارضوك تعرّضْ لهم . فلما سمع سعدون بتجهيز العسكر ، عرض نفسه للخروج معهم ، فقال : انت ابقَ عندنا ، لا تخرج؛ ومرادُ [١٦١] عبد العزيز أن لا يحضر سعدون في هذه السّيرة ، لأنه أسرّ بعضَ القول الى ابنه سعود ، بأنك اذا وردت حول أرض بني خالد ، ارسل إلى داحس ، وقل له : هذا أخوك سعدون عندنا، ويجب حمايته علينا،وهذا أنا قد أتيتك (٢) بعسكري هذا ، فإنْ سلّمتَ لنا بلدك الإحساء، وفوضتها إلينا ، كفانا ذلك منك،وجعلنا سعدون في حوزتنا ، لا يصل اليك ، وأعطيناه خرجاً كليّاً بحيث يكتفي عن مجادلتك ، والا فنحن نحاربك ونسلّطُ سعدون عليك [١٦٢] يقيناً .

فلما سمع داحس ذلك ، غضب وطلب كبارَ بني خالد وخاله عبد المحسن ، وشاورهم في ذلك فقالوا : ألا ترد عليه جواباً، ولا تكتب له كتاباً ، بل رتّب عسكرك ، واحبس رسوله ، وامش عليه . فلما تراءى العسكران ، زحف كل منهما إلى الآخر،فوقع القتال حينئذ ، من أول طلوع الشمس الى بعد الزوال.وقد قتل من الجانبين خلق كثير ، لكن غالب القتلى من عسكر سعود ، فوقف كلٌ من الفريقين إلى مكانه ، وقد ظهر العجز من سعود . فلما جنّ الليل ولّى سارياً ، [١٦٣] فلم يصبح في تلك الديار ، فعرف الخوالد أنه رجع الى أرضه ، فلم يتبعوه

---

(١) اقرأ : خمس .
(٢) في الأصل : أتيك .

لأنهم ايضاً قد كلّثوا . فأقام داحس آل عرعر في تلك الأرض اربعين يوماً ، يظن ان سعود يرجع . وبعد هذه المدة سار الى الإحساء ، فأقام هناك أربعة أشهر .

ثم إن عبد العزيز قال لسعدون بن عرعر هذا : أسيّر معك بعضَ القوم ، وأعطيك ذخائر كثيرة ، فسرْ أنت وأهلك الى الاحساء وإن لم تأمن الدخولَ فيها ، وأنا أنزل قريباً منها ، فكاتبْ أهلها وانظرْ [١٦٤] مـاذا هم فيه من المودة لك أم البغض . واغزُ أطراف بني خالد ولا تبقي[1] أحداً تظفر به إلا قطعت رأسه ، لأن القتل الشنيع ، هو الذي ذلّل لنا رقاب قبائل نجد ، كما علّمنا بذلك شيخنا محمد بن عبد الوهاب .

فمشى سعدون حتى صار عن الدرعية بيومين ، ثم استدعاه عبد العزيز لأمر بدا له ، فأقام هناك عشرة أيام فقضى الله عليه بالموت .

ولما سمع عبد العزيز [١٦٥] بموته ، أرسل ابنه سعود وجهزه بأربعين الفاً من عرب نجد خاصة ، وأمره بالمسير الى أطراف بني خالد . فلما وصل إلى تلك البقاع خرج له عبد المحسن، وكان اذاً هو الشيخ في بني خالد، لأنه عزل أولاد[2] أخته داحس ومحمد ، وصار بنفسه حاكماً بالاستقلال في جميع بني خالد . وحين تصادف العسكران ، وقع بينهما قتال عظيم ، فانكسر عبد المحسن . وقد قتل من بني خالد خلق كثير، فاتّبعهم سعود ليسبي منهم ، ويغزو[3] أسلافهم حتى أتى الاحساء [١٦٦] فحاصرها مدة أربعة أشهر ففتح منها مدينتين كبيرتين احدهما المبرّز ، والأخرى الهفوف . لكن الهفوف طاعت له خيانة ، على بني خالد . واما المبرّز ، فقد اخذها بالحمل على القلعة[4] .

---

(١) صوابه : ولا تبق .
(٢) اقرأ : ولدي .
(٣) في الأصل : ويغزي .
(٤) في الأصل : العلقة .

وبقي شرق الاحساء لم يطيع[1] . وهذا الشرق بلادين كثيرة ، يبلغ عددها أربعين قرية ، وأهل ذلك شيعة المذهب ، وكبيرهم قاطبة عليّ بن احمد ، وكان شجاعاً فأرسل له سعود بن عبد العزيز ان يطيع ، ولا يكاتب آل حميد ، فأبى عن ذلك وأظهر العداوة لسعود . [١٦٧] فسار سعود بنفسه الى بلادين الشرق وجعل يحاربه عليّ ابن احمد ، ستة أشهر ، فلم يدرك سعود من حرب علي بن أحمد شيئاً .

وأما داحس ، فقد ذهب الى المنتفق ، فصيّروا معه عسكراً الى خاله عبد المحسن ، فحاربوا في البادية ، وانهزم عبد المحسن والتجأ الى آل سعود ، فأمدّوه بعسكر على بني خالد . وفي هذه المرة مالت اكثر طوائف بني خالد عن متابعة مشايخهم آل حميد ؛ وقالوا لعبد العزيز : نحن نطيعك ولا نقبل أحداً من حكامنا أن يحكم علينا بل الأمر [١٦٨] لله ثم لك ، فقبل منهم ما قالوا ، وكان هذا مراده الأصلي ؛ ففرق بني خالد ، وأقام على كل قبيلة منهم حاكماً منها ، من قبله ، فجعلوا ينصرونه بالانفس .

وأما داحس وأخوه محمد ابنا عرعر فقد جليا ثانياً الى المنتفق ولم يحصل لهما عندهم وجه ، فسارا الى سليمان باشه إلى بغداد ، فهما هناك إلى ان مات سليمان باشه[2] ، فمات أحدهما وهو محمد ، وأما داحس ، فإنه خرج حينئذ من بغداد والتجأ [الى] شمّر العراق ، فقيل انه هناك الى اليوم[3] ، وقد مات [١٦٩] عبد المحسن بن سرداح بعد ما تولى عبدالعزيز على طوائف بني خالد بسنة ، وحدوث هذه الواقعة سنة ختم المائتين بعد الألف .

ثم إنّ الأمر استقلّ لآل سعود في أرض بني خالد أتمّ الاستقلال ، ما عدا بلادين الشرقية من تبعة الإحساء والقطيف كذلك . فسار سعود ثانياً على حرب

---

(١) اقرأ : لم يطع .
(٢) سليمان باشا هو متسلم البصرة أولاً ، وباشا بغداد ثانياً منذ عام ١٧٨٠ م حتى عام ١٨٠٢ .
(٣) أي سنة ١٢٣٣ .

عليّ بن أحمد صاحب بلاد الشرق فافتتح جملة قرى من قراه ، وقد انحصر علي ابن احمد في قلعة صغيرة كانت محفظاً له هو وأبناء عمه ومائة رجل . فحاصرهم سعود ورماهم بالمدفع [١٧٠] حتى هدم طرفاً من البنيان، وكلما صنع ذلك بهم ، وحمل عليهم : ردّوه . ولما أراد الله ذهاب علي بن احمد وتمكن آل سعود في الإحساء زيّن له ان يطلب منهم ذمةً وأماناً ، فعاهدوه على ما طلب . ولما سلم لهم الامر حبسوه سبعة أيام ، ثم بدا لهم أن يضربوا عنقه ، فأمر سعود باحضاره . واحتج عليه بحجج فاسدة ، وضرب رقبته بيده ، فانظر الى قلة وفائهم بالعهد (١) .

ولما تولى عبد العزيز على جميع بلاد بني خالد حضراً وبدواً ، أرسل عسكراً الى القطيف ، [١٧١] وهي من أقوى ممالك بني خالد وفيها حينئذ عبد الله بن سليمان المهشوري الخالدي ، وفيها أيضاً كبير على الرعايا أحمد بن غانم القطيفي . فسار ابراهيم بن عفيصان مع ذلك العسكر أميراً عليه . وكان عدده ثمانية آلاف فنزل سيهات ، قرية جنوبية عن القطيف، وهي من توابعها ، بينها وبين القطيف ثلاثة فراسخ . فلما سمع عبد الله بن سليمان ، أرسل العسكر الذي معه في القلعة إلى مقاتلتهم (٢) مع ابنه علي . فوقع الحرب هناك وانكسر ابن عفيصان فذهب بعسكره الى ناحية (١٧٢) شمال القطيف موضع يقال له ظهران ، لا سكنى فيه بل كان قديماً مسكوناً ، وبقي هناك عشرة أيام ، وبعد ذلك المكان عن القطيف مسافة يوم ، فجعل يغزو أطراف القطيف وينهب ويقتل حتى الأطفال في المهد ، وأطاعه اكثر قرى القطيف

فاستشار عبدُ الله بن سليمان أحمدَ بن غانم القطيفي بأن ماذا ترى الصّلاح ؟

---

(١) هذا من المواطن القليلة في الكتاب حيث ينساق المؤلف مع التعليقات العاطفية دون أن يوضح الامر من الناحية التاريخية ، أو يكتفي بسرد الأخبار .

(٢) في الأصل : مقاتلهم .

هذه بني [1] خالد قد تلفت ، وأنا اليوم ليس عندي من قومي الا قليل ، فإن طلعتُ لحرب هذا ، أخشى أن القلعة لم تضبط ، وإنْ بقيتُ فيها ، أخاف أن يضيّق (١٧٣) علينا ، ونحصر فيها ، ولا يحصل لنا مدداً [2] من خارج ، وكل محصور عن قريب [3] . فقال له ابن غانم : اخرج وقاتله ، ولا تخش على القلعة . فخرج عبدالله بن سليمان وحارب حرباً شديداً في مكان يقال له الجارودية ، عن مدينة القطيف ثلاث ساعات ، فأقام هناك اثني عشر يوماً ، يدافع ابن عفيصان . وعاقبة الأمر انكسر راجعاً إلى القطيف ، فحال عسكر ابن سعود بينه وبينها . وضاق عليه المجال فخرج الى البرّية ، فلم يتبعوه.

ثم انه لما صار بناحية بعيدة [١٧٤] عنهم ، نظر ثانياً ان لا ملجأ لـه الا البقاء في أرض القطيف . ولكنّ المدينة لم يدركها ، وبقية القرى لا تصلح للحفظ ، حيث [لا] قلاع فيها ، ذهب إلى تاروت ، وهي بلدة من ملحقات القطيف ، بينها وبين القطيف مسافة يوم من طريق البر ، لكنها ذات مقطع ، أي حائط بها البحر من ثلاث جهات ، ومن جانب واحد يمدّ ماء البحر ، فإذا كان مدّاً ، صار الماءُ فيه باعين أو اكثر ، واذا جزَر البحر ، صار الماء الى صدر الرجل وربما صار بعضَ الايام الى الفخذ بحيث تمر به [١٧٥] القوافل والدوابّ . فدخل عبدالله بن سليمان إلى تاروت ، وهي محكمٌ بنيانُ قلعتها ، ولها خندق أيضاً . فبلغ خبره أحمد بن غانم . فأخذ يحصن نفسه وجماعته في القلعة ، ويهم بحرب آل سعود . ولكن لا قدرة له ولا جرأة لأن اهل القطيف أناس كأهل البحرين لم يجعل الله لهم شيمة ولا غيرة .

فأما ابراهيم بن عفيصان فإنّه أتى لقلعة القطيف وقد أخبر بقضية عبد الله ابن سليمان الخالدي ، وأنّه انحاز الى تاروت . فأقام هناك يكاتب [١٧٦] أحمد

---

(١) اقرأ: بنو

(٢) اقرأ : مدد

(٣) أوجز العبارة ، ومراده : وكل محصور (قد يستسلم) عن قريب .

ابن غانم على تسليم القلعة بغير حرب ، فكأن أحمد بن غانم رضي بذلك ، لكن يخاف بابداء الأمر من عبد كان لعبد الله بن سليمان هناك ، اسمه عمير ، قد جعله سيده والياً على قصور القلعة ، مع مائتي رجل من المهاشير من بني خالد لأنّه ما كان يستبق بحرب أهل القطيف خاصة . فلما آيس ابن عفيصان من ابن غانم احمد عبّأ جيشه ، واتخذ السلّمات ، وأمر بحفر النقب ، فحفر وحمل على قلعة القطيف اول الليل فلم يزل البارود يثور ، والصاعد [١٧٧] يصعد ، حتى مضى نصف الليلة ، دخلوا القطيف ، فأمر بالقتل الذريع إلى طلوع الشمس ، لكل أحد [١] إلاّ أحمد بن غانم وجماعته ، وهم بيت في القطيف يقال لهم آل غانم يبلغون أربعمائة رجل ، فإن ابراهيم بن عفيصان صاح في عسكره ألا لا يمسّ أحدٌ منكم آل غانم ، فإنّهم في الذمة . فانحاز آل غانم في بيوتهم ، ومن شاءوا أدخلوه معهم من اهل القطيف . ثم ان الذين قتلوا من اهل القطيف عددُهم ، كباراً وصغاراً ، ألفُ نفس .

فأقام هناك إبراهيم [١٧٨] بن عفيصان ، وأرسل اخاه فهرد [٢] بن عفيصان بألفي رجل الى تاروت لحرب عبد الله بن سليمان الخالدي . وجعل فهرد يغزو اطراف تاروت مثل رساتيق ونحوها ، وأما القلعة فلم يصلها بعد . ثم انه استمد مزيد عسكرٍ من أخيه ابراهيم فأمدّه بألف مقاتل أيضاً ، فزحف الى القلعة وعمِل عليها ، وقد قُتل منه جمع كثير ، فتأخر على نصف فرسخ . ثم إنه رجع إلى موضعه الأول . فاستشار عبد الله بن سليمان أصحابه الخروج الى حربه بغتة ، [١٧٩] فأجابوه في ليلة من الليالي ، وقد أمن ان لا قوة لعبد الله على القتال خارجاً .

فانكسر فهرد مع عسكره ، وظفر بخيامه ومتاعه عبد الله بن سليمان ، وصحّ الذي قتل من قوم آل سعود في تلك الواقعة المعهودة مقدار مائتين [٣] رجل .

---

(١) في الاصل : لاحد
(٢) كذا في الأصل .
(٣) الصواب : مائتي

ثم إنّ ابراهيم بن عفيصان استحصن وهو وعسكره في القطيف ، ولم يتمكن من المسير الى تاروت. فخرج عبد الله الخالدي يغزو قرى القطيف وانتصر عليهم . وقد رفع هذا الخبر ابراهيم بن عفيصان الى عبد العزيز . [١٨٠] فكتب له عبد العزيز : أحسنت بما دبّرت . لا يغرك للخروج إليه ، فإنّ أهلَ القطيف قد امتزج دمهم بدم الخوالد . هذا يأتيك من قبلنا صالح [بن] راشد الدوسري بعسكر قويّ ، ففوض اليه البلد ، واخرج انت بنفسك مع العسكر وادفع شر هذا الكلب ، عدو الله ورسوله ، ولا تقبل منه صرفاً ولا عدلاً .

فعمل ابراهيم بن عفيصان بموجب الحكم الصادر اليه من عبد العزيز ، فسار الى تاروت .

ولما سمع بخبره عبدالله بن سليمان تحصّن في قلعة [١٨١] تاروت ، وعرف انه لا يقدر على حرب هذا العسكر ، لأنه أضعاف العسكر الأول . فحاصره ابراهيم عشرين يوماً ورماه بالمدفع ، فهدم صفحةً من قلعة تاروت يوم الواحد والعشرين عند الزوال ، فحمل هو وعسكره ، فوقفت الخوالد الذين كانوا هناك ، وعددهم اذاً ثمانمائة رجل ، عند ذلك السلتم ليدفعوا العدو بالحرب ، والأكوات قد سلموها بين أناسٍ من أهل تاورت ، فخانوا أهلُ تاروتَ بهم ، ونزلوا من الأكوات فصعدها [١٨٢] أهل نجد . فأعلموا الخوالد بهذا الأمر ، فاختاروا الفرار قبل التسلط ، لا سيما عبدالله بن سليمان وابنه . فانهزم عبد الله على فرس له سليماً ولم يُدْرَك ، ولم يُعرف بين القوم . فخرج وأتى رجل[1] من أهل القطيف اسمه علي بن سعود ، وكان رجلاً تاجراً ، فأعطاه مالاً وزوده متاعاً وجعل معه عبدين من عبيده ، فسار الى المنتفق .

ثم دخل ابراهيم بن عفيصان ، وكل من ظفر به من الخوالد هنا ضرب عنقه ، ثم استقلّ الأمر لآل سعود في أرض القطيف. [١٨٣] وكتب ابراهيم بن عفيصان الى عبدالعزيز بالفتح. فبعث إليه عبد العزيز ،بأن أقبِل إلى الدّرعية ، ووكّل في

---

(١) الصواب : رجلاً .

القطيف ، على جملة الرعايا ، أحمد بن غانم ، وعلى القلاع والعسكر زيد بن نبهان التميمي . ففعل كما أمره به ، وسار الى الدّرعيّة ، فأقام شهراً ، وقد أخذ من القطيف أموالاً كثيرة ، أكثرها رشوة ، قد أعطوه اهل القطيف خوفاً من احتجاج آل سعود عليهم . فلما جعل ابن عفيصان يدفعُ المال الى بيت المال ، ولم يُخفِ منه شيئاً ، أعجب عبد العزيز ذلك ، [١٨٤] فنادى بلسانه في المجلس العام : هذا ابراهيم بن عفيصان ولدي ، وهو العمدة في الدين ، لا يكون بعد سعودٍ أحدٌ أحبَّ إليّ منه . قم يا ابراهيم سر على بركاتِ الله تعالى الى الإحساء وكنْ اميرها ، وأمير القطيف من توابعك ، وكلّ ما تراه صلاحاً للدين ومقوّياً لأحوال المسلمين افعله . واستمد من اخوانك المسلمين ما شئت من العسكر فأنت عيننا في ذلك القطر وأميننا في كل عصر ما دمنا ودمت .

فنهض ابراهيم بن عفيصان ، وركب من ساعته [١٨٥] مع مائة رجل من قومه فأتى الاحساء وعزل من فيها من الامراء ، وكانوا اذاً ثمانية رجال ، لم يذكر الناقل أسماءهم . فصار فيها بعين الاستقلال والطاعة . ثم انه رأى ان يتعرض (١) بني عتبة ، النازلين الزبارة ، وهي مدينة في قطر من اعظم المهمات . فكتب لعبد العزيز يخبر بذلك سراً ، فأجابه عبد العزيز : نعم هذا هو الصلاح . ثم انّ ابراهيم بن عفيصان بعث بعض الغزاة حول الزبارة يغزون المترددين اليها من طريق البر [من] حطابة وسقاة ، [١٨٦] المترددين دائماً ، وزبارةُ بغير تردد هؤلاء يضيق المعاشُ بها ، لأنْ لا ماءَ فيها وحطب يحصل بقربها ، فماؤها وحطبها على فرسخ ونصف فرسخ ، وعند اكثرهم مواشٍ من إبل وغنم وبقر ، ولا مرعى لها الا البرية . فلما استعمل لهم ابراهيم بن عفيصان الغزو وانقص اكثر اموالهم ، وضيق عليهم العيشة ، وكان حينئذ في الزبارة تجاراً معرفين (٢) من العتوب وغيرهم ، اهل دولة عظمى ، كابن رزق احمد والشيخ ابراهيم بن

---

(١) في الاصل : أرى أن اتعرض

(٢) اقرأ : تجار معروفون .

عبد الرزاق وبكر [١٨٧] لؤلؤ وأمثالهم من آل خليفة الذين هم حكام هناك ، كانوا اهل حكومة وتجارة والدولة وافرةٌ لديهم ، بحيث كانت الزبارة مقصداً لجميع اهل فارس وعمان والبصرة . ولو استمرت الحالة كذلك لصار لها صيت كبير فاستصلح احمد بن خليفة ، وكان الحاكم على الكل والبحرين له ، التجار وقال لهم : هذا الامر كما ترون . اريد ان أبنيَ قلعة على الماء ، الذي هو نافع لجميع اهل البلد ، وأجعل اكواتاً مستطيلة يخلف بعضها بعضاً الى قرب سورنا هذا ، [١٨٨] وأرتب على كل كوت كذا رجلا على الدوام ، وأجعل في كلّ كوت أربعة مدافع ، حتى يمشي الساقي للمــاء والحاطب [للحطب] ؛ وإلاّ فلنرتحل من الزبارة الى البحرين [١] .

[١٩٩] فقالو بأجمعهم : ابن ما تريده من الصور [٢] . نحـن نعطيك كذا وكذا ، ولا نرضى ان تخرج من عندك شيئاً ؛ فأتم بنيانها ، اي القلعة . وتوفي ذلك العام [٣] احمد بن خليفة .

ثم إنّ اهل الزبارة كما ذكرنا ولوا ابنه سليمان [٤] بن أحمد عليهم ، واستقام حالهم بسبب دفع شر ابن عفيصان عن حول الزبارة . فاستمرت هذه الحالة . [و] طاعت بقية قطر مثل فريحة والحويلة واليوسفيّة والرويضة وغيرها وجعل اهل هذه [٢٠٠] البلادين يتعرضون امتوب الزبارة ، ويغزون منهم براً وبحراً ؛ وأهل الزبارة لما شاهدوا هذه الحالة مشوا على اهل هذه البلادين براً وبحـــراً ، وقتلوا كثيراً منهم . وأسروا وأخذوا أموالهم ، وسفنهم حرقوها. فشكوا الى عبد العزيز ذلك ، وعضّد أمرهم ابراهيم بن عفيصان بالمسير الى الزبارة ، ومحاربة

---

(١) عند هذا الموضع حدث في النسخة اضطراب ، وأكملنا بقية النصّ من ص ١٩٩ من الأصل ، وتدل أرقام الصفحات الاصلية على هذا الاضطراب .

(٢) يعني السور

(٣) توفي أحمد بن خليفة حوالي عام ١٧٩٦

(٤) الصواب : سلمان بن أحمد ، وقد حكم من ١٧٩٦ حتى ١٨٢٥ .

أهلها محاربة بليغة ، فركب ابن عفيصان بموكبه ، فلما أتى الى موضع القلعة التي بناها أحمد بن خليفة على الماء [٢٠١] ، أقام هناك أربعة أيام يرميها بالمدفع وهي ترميه ، فلم يعمل مدفعه شيئاً فيها . فحمل عليها نهاراً بالسيف ولم يبال بقتل عسكره لشدة حقده على أهل الزبارة ، فأخذ القلعة ، ولكنه ما تمكن من أخذ بقية الاكوات الممتدة من الجانبين إلى بلد الزبارة . فضاق الحال على اهل الزبارة، فأرسلوا الى عسكرهم الذي في الأكوات بأن يخربوا الاكوات ، ويجيئون[١] الى الزبارة شيئاً فشيئاً ، وهذا خوفاً منهم أن لو بقيت الاكوات على حالها لصارت [٢٠٢] مداراً لعسكر ابن عفيصان فيضرهم ذلك . ففعلوا كما قلنا ، وخرّبوا الاكوات . والعتوب لما شاهدوا محاصرة ابراهيم بن عفيصان لهم ، وانه لايندفع الا بقوة تامة ، وهم ليسوا بالمقاتلين له خارج السور ، اتفق رأيهم بالحمل من الزبارة بالكلية ، وترك الزبارة على حالها، ظناً منهم أن دولة بني سعود ما تدوم، وأنهم سيعودون اليها . فركبوا بأجمعهم وساروا إلى البحرين ، ولم ينزلوا منها الا بلد الجو ، وهو جبل في البحرين، على طرف الجنوب [٢٠٣] منها، ذو أرض واسعة ، فيافي ورمال ومنبت عشب كثير، ولا سكنى فيه . فاستحبوا النزول فيه لأنه أعفى أرض البحرين مسكناً . فبنوا هناك قلعة كبيرة ، واتخذ كلّ واحد بالبنيان لنفسه بيتاً . فصار ذلك الموضع بعد سنة بأتمّ العمار . وأما ابراهيم بن عفيصان فإنه لما أحسّ بخروج بني عتبة من الزبارة، قدم اليها فدخلها ، ولم يجد فيها شيئاً قط ، تأسف بعد ذلك على فعله .

ولما مضت بعد ذلك سنتان، أمر عبد العزيز مطلق المطيري[١] [٢٠٤] بغزو عمان الصير . فغزاها بألفين[٢] رجل وأخذ من بني ياس مالاً كثيراً ثم عاد الى نجد . وغزاهم بعد ذلك ابراهيم بن عفيصان فنهب منهم إبلاً كثيرة، وحين رأوا

---

(١) صوابه : ويجيئوا .

(١) قائد وهابي شهير من قبيلة مُطير .

(٢) الاصوب: بألفي .

بني[1] ياس قوة آل سعود، أرسلوا رُسلاً الى الدرعية ليعاهدوا عنهم على تبعية هذا الدين، وان يسوقوا[2] الزكاة كل عام. فعاهدوا، وأرسل معهم عبدالعزيز عالماً يعلمهم أمور دينهم. فسمع نُعيم، أهل البريمي، بذلك فبعثوا أناساً منهم الى عبد العزيز، يلتمسون البيعة والطاعة [٢٠٥] فقبل منهم وأرسل معهم من يعلمهم أمر الدين، ثم إنه قال لهم: يا نُعيم انتم المجاهدون الموحدون، أريد منكم ان تكتبوا لصقر بن راشد القاسمي[3] بالطاعة، وتبذلوا له النصيحة[4] بأن يتبع ديننا ويؤدي[5] الطاعة، وإلا فاحربوه[6] بقدر ما يمكن، وإذا اعياكم قهره هذا أنا أمدّكم بعسكر من الدّرعية، ففعلوا كما أمرهم.

ولم يقبل صقر بن راشد ذلك منهم في اول الامر، بل حاربهم، ولما عجزوا عن تسخيره كتبوا في ذلك لعبد العزيز، فأرسل [٢٠٦] راشد بن سنان المطيري بألف رجل اليهم ليسيروا على القواسم. فجلس راشد في قلعة البريمي، وأرسل سعدون آل علي مع مائتين فارس، وبعثوا النعيم منهم خمسمائة رجل منهم. فغزوا حتى وصلوا وجه رأس الخيمة، فبقوا هناك عشرة أيام يتمرّضون كل متردد، وحالوا بين رأس الخيمة وبين نخيلها، وكان أيام الصيف، ولا يمكن أهل رأس الخيمة ترك المسير الى النخيل، وغالب عيالهم فيها. فطلب صقر بن راشد الصلح. قالوا نكتب في ذلك[٢٠٧] الى مطلق[7]، فما يجيبنا به نفعل. فشاور صقر أقوامه بأنّ هؤلاء جماعة قليلة، فلنخرج اليهم فتشتت جمعهم، فخرجوا بمقدر ألف رجل والتقوا معهم، فوقع الحرب هناك، فانكسر عسكر آل سعود ولكن لم تستعقبهم القواسم بل ظلوا هناك في مكانهم إلى أربعة أيّام،

---

(١) اقرأ: بنو.
(٢) في الاصل: يسقوا.
(٣) هو شيخ القواسم وحاكم رأس الخيمة على الخليج العربي.
(٤) زاد «له» بعد لفظة «النصيحة».
(٥) في الاصل: يدي.
(٦) يريد، فحاربوه.
(٧) لاحظ انه سماه «راشد بن سنان» قبل قليل
(٨) في الاصل: هناك في هناك

فبينا هم عازمون على الرجوع ، إذ قد تبيّن عسكر كبير من صفحة الجبل فأرسلوا جواسيسهم ليعرفوا ما هذا ، فأخبروهم بأنه عسكر آل سعود لكن يبلغ أربعة آلاف رجل ، ففي الحال [٢٠٨] رجع القواسم إلى رأس الخيمة ، وكان وقت المغرب ، فتبعهم بعض الخيل ، ولم يدركوا منهم شيئاً . فلما أصبح الصباح ، نزل عسكر مطلق المطيري على جميع القرى النخيلية ، وضبط الطرق والمياه عن أهل راس الخيمة . فبقوا على ذلك سبعة عشر يوماً، أرسلوا له بالصلح فقبل ذلك منهم وقال: أريد مواجهة شيخكم صقر بن راشد ، وله الامان عندي فخرج صقر بن راشد اليه ، فأكرمه ، وعاهده على هذا الدين ، وعاهدوا كبار القواسم كلهم [٢٠٩] ذلك اليوم — أو اكثرهم .

وكان[١] بقرب رأس الخيمة مقام معروف بسيد حسن ، جميع أهل الصير يعظمونه غاية التعظيم[٢]، وهو مرشد الشيخ راشد بن مطر، أبي صقر . وكان راشد موجوداً ، الا أنه ترك الحكومة لصقر بن راشد ، وبنفسه سلكَ سِلكَ الصوفية . فقال المطيري ، لا أقبل صحة [١٨٩] إيمان القواسم إلا بتهديمهم قبة السيد حسن بأيديهم ، لأكون شاهداً على فعلهم هذا عند إمام المسلمين عبد العزيز . فلما سمعوا منه هذا الشرط ، قالوا بأجمعهم : نحن أناسٌ قد بايعناك ولا نرجع عما تأمرنا به الا هذا القول فإنا لا نجرؤ عليه . وحين سمع المطيري منهم ذلك استنكرهم ، وقال مصراً : لا بدّ من تهديم هذه القبة بأيديكم . فقام صقر بن راشد وبعض جماعته ، فأومى كل واحد منهم الى قلع حجر . [١٩٠] فأخذ اكثر الناس بالتفليش ، وأصبح المقام مهدوماً من أصله . قيل إنّ بعض الناس من قوم آل سعود ، قدر عشرة أنفس ، أصبحوا موتى فجأة .

ومن ذلك نكث كثير من أهل رأس الخيمة عن عهد آل سعود ، فقاتلهم

---

(١) هنا بقية ص ١٨٨ من الاصل، وقد أسقط قوله « لان ذلك اليوم » قبل كلمة «وكان».

(٢) أهم المبادىء التي طبقتها الوهابية تهديم الأضرحة ومقامات الاولياء ، لان الشيخ محمد كان يرى فيها ضرباً من الشرك بالله وعبادة للأوثان .

المطيري وأجلاهم الى فارس. ومن جملة من جلا إلى فارس الشيخ راشد بن مطر، سكنوا عند بني أعمامهم في اللنجة (١) .

وأما أطراف قواسم رأس الخيمة مثل زعاب أهل الجزيرة الحمراء ، فلم يؤدوا الطاعة لمطلق . وكذا طينج [١٩١] أهل الرمس فإنهم حاربوا آل سعود بعد إطاعة القواسم بأربع سنين ، ثم إنهم أطاعوا بعد ذلك. ولما أطاعت زعاب لدين محمد بن عبد الوهاب اختل القواسم ، وتسلط عبد العزيز عليهم أتم تسلط لان زعاب وطينج كانوا تحت القواسم مظلومين ، والآن تأمر فيهم أمير منهم . فقالوا لمطلق : نحن ننهب في البحر ونجاهد المشركين ونؤدي الخمس من الغنايم للإمام ، ونريد أن نأخذ لنا من القواسم دوات (٢) وبغال (٣) ، لأننا لا نملك إلا خشب صغار ٤ [١٩٢] مثل بتاتيل وبقاقير. فقال مطلق لأهل رأس الخيمة: اقتضى الوقت ان نسير في البحر ونقتل كل من لا يقبل ديننا . فان أبيتم ذلك ، فادفعوا قدر عشرين داوًا وبغلة إلى إخوانكم في الدين زعاب وطينج ، وهم يقومون بالأمر ، وسفنكم تبقى عندهم عارية ، ولها سهم من الغنايم . فلما سمع القواسم هذا الكلام ، عرفوا ان زعاب وطينج هم الذين قوموه على هذا الامر وأنه لا علاج من السير في البحر والجهاد ، حسب ما يقول المطيري . [١٩٣] فخرج القواسم في البحر لنهب أموال الناس ، وقتلهم من أجل ذلك ، وزعاب وطينج كذلك خرجوا في سفنهم للجهاد ، وكانوا ينهبون أشد من القواسم ، لأن القواسم كانوا من ابتداء الأمر يتعففون عن التعرض لأموال الناس ودمائهم ، واذا شاهدوا كذا

---

(١) اللنجة واقعة على الشاطىء الايراني للخليج في مواجهة رأس الخيمة تقريبا .

(٢) جمع دَوْ ، وهو مركب بحري كبير كان بمقدورة السفر بين الخليج والهند . وقد ورد وصف لذلك النوع من المراكب في :

Low, History of the Indian Navy, vol. I, p. 169

حيث يقول لُو Low أن حمولة الدَوْ كانت تتراوح ما بين ١٠٠ إلى ٢٥٠ طناً، والدَوْ غير البغلة ، والدَوْ قد اختفت من مياه الخليج حوالي عام ١٨٧٦ .

(٣) في الاصل : ويقال ، وانظر التعليق السابق ، حيث البغلة نوع آخر من المراكب .

(٤) اقرأ : خشبا صغاراً .

زعاب منهم او طينج كتبوا لعبد العزيز يخبرونه بذلك [فيرسل] إلى أميره الذي هو في الصير، فيؤنبهم ويتعرض لهم بالقول كذا وكذا، حتى مضت ثلاثة[1] سنين على هذه الحالة وتوفي صقر [٩٤] بن راشد فولي الأمر بعده، بحكم آل سعود، ابنه سلطان بن صقر، وقد رضيت[2] به القواسم، فغير ما كان يصنع أبوه من المداهنة لآل سعود، وأخذ ينهب في البحر ويركب بنفسه، ويعتقد أن هذا [حق] فنهب ذلك العام الذي تولى فيه، سبعة[3] وثلاثين سفينة من داو وبغلة. خرج هو في ثلاثين مركبة من رأس الخيمة، فالتقى عند رؤوس الجبال مع سنجار أهل الصور، رعية أهل مسقط[4]، وكان اذ ذاك الحاكم هو بدر بن هلال [١٩٥] ابن أخي سلطان بن سعيد. وكان ذلك السنجار فيه قبائل ثلاث منهم قواسم صور وجينه وبنو بو علي. فلما قرب بعضهم من بعض أرسلوا قواسم رأس الخيمة إلى قواسم صور، فقالوا لهم: هذا نحن بنو أعمامكم، وعزنا عزكم. واليوم انتم تحت هذا الخارجي، وقد فقدتم العز في أرض صور، ونخيلكم وأراضيكم يؤخذ عليها الخراج حتى سفنكم بأمره لا يمكنكم الجواب. والآن الحمد لله الذي قوى بأسنا في أرض الصير، بسبب [١٩٦] متابعة آل سعود، فنحن نجري في البر والبحر أياً ما شئنا، ونخاصم الخوارج كما ترون. فالرأي عندنا أن هذه مراكبكم، فيها جمال كثير من البصرة. وعندكم نقود كثير وذخائر عديدة، مال أهل البصرة والعتوب، ومال الهند –واهل مسقط، وهم قد سمعوا بهذا كله [من] قبل، قد كتب لهم جاسوس يتجسس لهم في البلادين–. وهذه جينه معكم أيضاً، عندهم أجمال ومال كثير، وكذا بنو بو علي؛ فأنتم وافقونا بأن تسيروا معنا إلى رأس الخيمة [...] بنو [١٩٧] بو علي على المسير، وجينه كذلك نردهم رأس الخيمة قهراً؛ وحين يصل إلى البلد فكل ما هو في مراكبكم لكم، لا تتوقع منه

(١) اقرأ: ثلاث
(٢) في الاصل: رضت
(٣) اقرأ: سبعا
(٤) كتبت «مسقت» حيثما وردت.

بشيء ، والذي عند بني بو علي كذلك لهم إن وافقونا . نعم جينه نجعل ما لهم كله مع خشبهم لبيت المال [1] لأنـهم أناس في جميع الاحوال تبعة اهل مسقط ، وليس لهم طائفة ولا قبيلة عندنا في الصير – وإنما استثنوا بنو بو علي لأن بني بو علي ، اهل الصور ، هم من بني بو علي أهل الصير الذي هم سكنة ام القيوين [١٩٨] وهم تبعة القواسم ، قبل تسلط آل سعود.

المراد : اتفق الحال بين قواسم صور وقواسم رأس الخيمة ، فأرسلوا إلى بني بو علي بهذا الامر فقبلوا منهم ، لكن في الحقيقة إنما قبلوا عن كُره وخوف ، فرجع السنجار بكليته من رؤوس الجبال الى رأس الخيمة ، وجينة ردوهم خبراً . فلما بلغوا رأس الخيمة ابتدأوا بتنزيل جميع ما في خشب جينه من المال ، وكان فيها نقود كثيرة ، يصار بها الى اليمن لأجل القهوة . وكانوا جينه [١٩٩] معتبرين عند التجار مشهورين بحسن الأمانة . قيل إنّ النقود التي اخذوها منهم تبلغ سمّاية ألف ريال او اكثر .

[٢٠٩] ثم إن القواسم ظهر لهم صيت كبير ، ومن أجل ذلك أكرمهم عبد العزيز وسماهم الموحّدة .

ثم كتب عبد العزيز لاهل راس الخيمة وبقية توابعها بأن حاربوا بني عتبة ، أهل البحرين ، فهذا أنا أمدكم بعسكر فأجابوه بأنا لا ندّ العتوب ، وهم اكثرُ منا دولة ورجالا بل وخشباً [2] . فالصلاح ان تؤمنهم فنحن نساعرهم ولا نظهر [3] لهم خصومة قط . فكتب لهم عبدالعزيز : الراي [4] ما ترونه . فجعل القواسم ، [٢١٠] وبقية أهل الصير ، يـترددون إلى البحرين حتى إنّ العتوب رغبوا في طاعة آل سعود حسب ما ظهر لديهم من تديّن القواسم ، وما ينقلونه من المباحث

---

(١) في الاصل : لبيت مال

(٢) يعني مراكب بحرية .

(٣) في الاصل: يظهر .

(٤) في الاصل: راي .

مع الفرق الاسلامية . الحاصل ، مالت قلوب بني عتبة لمتابعة دين محمد بن عبد الوهاب ، وهم أيضاً خائفون من العجم ، لمـــا كانوا في البحرين ، وقد قطعت علاقتهم من البر الاصلي . فرجعوا الى الزبارة بأمان من آل سعود ، فعـاهدوا على هذا الدين ،وسكنوا الزبارة كما كانوا أولاً [٢٠١] فأخذ أمر آل سعود يجري فيهم شيئاً شيئاً ، حتى توفي عبد العزيز ، وولي الأمر بعـــده ولده سعود بن عبد العزيز فسعى في النفاق [١] بين بني عتبة فأفتنهم ، وجعل على كل قبيلة اميراً من قبله ، فجعل الكل يخدمه وينصح في أمره . فقال لمشايخ آله خليفـــة : أريد أن أرسل بعض العلماء الى جزيرة البحرين ، يعلمون الناس الدين ، ويفهمونهم كيفية السلوك فيه ، ولا بد من ذلك . قالوا : نحن نعلمهم إذ عندنا من هو ماهر في هذا الدين . قال : لا بد من ارسال علماء من نجد [٢١٢] فانهم اثبت منكم في معالم التوحيد . فرضوا بذلك ، وكان غرضه الاطلاع على ملك البحرين وسعة أرضها ، وضباطتها ، ومحصولها ، وما أهلهـــا به مع العتوب ، لأنه بلغه أنهم يظلمونهم أتم ظلم .

فلما بلغت علماء آل سعود البحرين ، جلس كل واحد منهم في بلاد كبيرة ، وكانوا عشرين رجلا . فداخلوا أهل البحرين وكشفوا عن حالتهم ، وأعلموهم بجميع مـدخول العتوب من البحرين ، وأنهم لا يؤدوا [٢] عشر ما يأخذونه من الرعايا لآل سعود . [٢١٣] فقالوا العلماء لأكابر أهل البحرين : أنتم كونوا ممنا حيث نأمركم . هذا يركب فلانا وفلانا [٣] مثلا ويرفعون أمركم الى سعود حتى يرحكم [٤] من هذه الشدة . فقبلوا أهل البحرين بالشكوى على بني عتبة ، وذلك لأنهم يرضون بحكومة كل أحد غير بني عتبة .

---

(١) يريد : في الشقاق.

(٢) الصواب : يؤدون .

(٣) اقرأ : فلان وفلان .

(٤) اقرأ : يريحكم .

فسارت رسل أهل البحرين الى الدّرعية من طريق العجير[1] خفية من بني عتبة، وأبدوا الأمور كلها لدى سعود، فجعل يرسل قليلا قليلا، شيئاً من عسكره الى داخل الزبارة ويأمرهم ان يقولوا [٢١٤] نحن أتينا مدداً لأجلكم، ومرادنا الجهاد في البحر معكم. وكتب سعود أيضاً هذا القول لآل خليفة وكتب أيضاً بأن كل من يجيئكم منا، توجهوا له وأرسلوه الى البحرين. وهم لم يظنوا أن احداً من رعايا البحرين سار الى الدّرعية شاكياً. الغرض: لما أراد الله سبحانه، تسلط آل سعود في أرض البحرين، أعمى أبصار العتوب، فجرى حكم آل سعود في البحرين، ونزع الأمر من ايدي آل خليفة بالكلية.

ثم ان آل سعود أرسلوا الغزاة الى باطنة عُمان، فغزوا قرى صُحار[2] [٢١٥]. وقد خرج لهم قيس أخو سلطان، فانتصروا عليه ورجع منكسراً الى صُحار. ثم إنهم غزوا أطراف بركة، وسار بعض منهم الى سمائل فعاهده محمد بن ناصر الجبري، أحد أخوال[3] سلطان، فولاهم قلعة سمائل وكان مراده المخاصمة مع آل سعيد وأن يصير هو بنفسه من قبل سعود وال[4] على عمان. فلما سمع بدر بذلك، وكان اذاً هو الحاكم في مسقط وأطرافها، أرسل رسلاً الى سعود من طريق القطيف، وأرسل معهم تحف[5] وهدايا كثيرة، وكتب له كتاباً: إني أعاهدك على هذا [٢١٦] الدين ومطيعاً له، هذا كل ما تأمرني به من الأوامر والجهاد أفعل لا محالة. لكن أريد ان تقبّضني محمد بن ناصر، واكون على عُمان كلها رئيساً؛ وأما القلعة فأمُرْ ان يخرج منها عسكرك لأن هذه القلعة بلد آبائنا القدماء، ونحن نحترمها غاية التحريم[6]، فلا أود ان يسلط عليها من

---

(١) ميناء العقير، وقلب القاف جيماً شيء مألوف في شرقي الجزيرة العربية.

(٢) تكتب في مصادرنا التاريخية القديمة «صحار».

(٣) في الاصل: خوال.

(٤) اقرأ: والياً.

(٥) اقرأ: تحفاً.

(٦) يريد: الاحترام.

غيرنا احد. فلما بلغ الخبر كله الى سعود وعرف معاهدة بدر له ، قال في نفسه : هذا هو الصلاح ، أن اتخذ بدراً والياً من قبلي على عُمان وأفرق بين آل سعيد الذين هم يدّعون [٢٠٧] بمنصب الإمامة ، فإذا اعطيت بدراً كل ما طلب مني ورغب في خدمتي . فكتب لبدر الجواب قائلاً : لا بأس ، قبلنا منك التوبة ، وعفونا عنك مما سلف من حربك لاطرافنا — ويعني بذلك القواسم ، فان بدراً حاربهم كثيراً ، وربما مشى عليهم من طريق البر حتى بلغ الى خصب والجادي ، وأخذ منهم بعض الاموال ، وقتل منهم بعض الرجال لأنّ بدر (١) كان شجاعاً.

وكتب أيضاً سعود لبدر : أن لأجلي اترك محمد بن ناصر الجبري ، ولا تتعرضه بسوء وإن أساء معك . [٢٠٨] وهذه السمائل قد أمرنا اميرنا يقبضك إياها . فلما وصل الكتاب الى بدر فرح بذلك ، وكانت طاعته لسعود تلقاً وخدعة ، لكن هذا في أول الامر ، ثم أخلص النية معه بعد . ولذلك أنكره الإباضية (٢) من الخوارج ، فقتله سعيد بن سلطان ، ابن عمه ، بمصلحة القضاة غيلة . وكان جميع آل سعيد وغيرهم من الإباضية راضين بقتله ، حيث أنه في آخر أمره اعتقد بدين محمد بن عبد الوهاب أتمّ اعتقاد ، وهذا من العجب الذي لم ير من غيره من الخوارج متابعة دين غير دين [٢٠٩] آبائهم باعتقاد صدق.

ثم ان بدر تولى سمائل وانهزم محمد بن ناصر الجبري إلى نخل ، فكتب الى بدر يريد منه الأمان . فكتب له : إليك أقبل ولا ضرر عليك ، فجاءه محمد بن ناصر الى سمائل ، وعاهده فأكرمه (٣) بدر وولاّه على نخل . فصار محمد بن ناصر متنصحاً لخدمة بدر لما رأى ترك المؤاخذة وعرف أنه عفو ، فحين سمع قيس بإطاعة بدر ابن اخيه لسعود ، وأنه أدخل قضاة نجد في مسقط ، وأجرى حكمهم على أهل عمان ، اخذته الغيرة وهمّ بمداقمة بدر [٢٢٠] كتب لحامد بن

---

(١) اقرأ : بدراً .

(٢) في الاصل الباضة ؛ والاباضية فرقة من فرق الخوارج ، سميت بهذا نسبة الى عبد الله بن اباض التميمي .

(٣) في الاصل : فارمه

ناصر الجبري : بأن حالفنا على قتال بدر ، وحرب آل سعود ، وأنا اعطيك كذا كذا كل سنة . فلما وصل الكتاب لمحمد بن ناصر أخذه فأرسل به الى بدر وأخبر بأن هذا اعني [قيساً] ، يبغى اخراجه من تلك الباطنة ،وبدر كان قبل ذلك قادراً على مناقشة عمه قيس ، لكن يراعيه[1] لأنه عمه ، فحين عرف بدر خدعة عمه قيس معه ، كتب لمطلق المطيري ، وكان حينئذ هو في البُريمي ، من بلاد الظاهرة . وكتب ايضاً للقواسم بأن [٢٢١] امشوا على قيس ، وهذا أنا أركب عليه براً وبحراً فتهيأ القواسم والمطيري لذلك، وكان بدر يومئذ في نخل ، فجمع قبائل الهناوية وكان معه اولاد سلطان وسعيد فقتله سعيد بن سلطان ، وولي الأمر بعده .

ثم ان آل سعيد لما قتل بدر وصار الحكم لسعيد استقوى امره على سعود . فتعوه بعض التصرفات التي أدخلها عليهم ، مثلاً منعوا قضاته ، وحاربوا مطلق ومشوا على البريمي ؛ ووافق حينئذ محمد بن ناصر [٢٢٢] الجبري سعيد بن سلطان .

ثم إن قيس حالف ابن اخيه سعيد بن سلطان واتفق رأيهم ان يمشوا على القواسم الى خور فكان[2] . وكان خور فكان يومئذ في أيدي القواسم . فلما مشى عسكر سعيد بن سلطان براً وبحراً ، وركب هو بنفسه وعمه قيس من طريق البحر حتى أتوا خور فكان ، اتفق هناك عسكر القواسم بجملتهم ، وعسكر من قبل مطلق المطيري معهم . فلما تلاقى العسكران ووقع بينهما حرب شديد من أول الصبح الى بعد العصر [٢٢٣] فصارت الغلبة لعسكر القواسم والمطيري . وانكسر عسكر قيس وقتل هو وكم رجل من كبار آل سعيد ، ورجع سعيد بن سلطان الى خشبه ، وقيل إن ذلك اليوم قد قتل من قوم سعيد وقيس قدر ألف رجل بل اكثر . فمشت القواسم إلى قرب سُحار وبقوا هناك أياماً ولم يدركوا شيئاً من سُحار نفسها لأنها محصنة بحصن قوي

---

(١) في الاصل : يراغبه .

(٢) بُعمان

بنيان الفرتكيش [١] ،على ما حكي في تاريخ أهل عمان في حربهم مع الفرتكيش وكان الوالي على [٢٢٤] سُحَار بعد قيس ابنه عزّان بن قيس .

وأما محمد بن ناصر الجبري ، فلما رأى الغلبـــة للقواسم ، ولمطلق ، كاتب مطلق وعاهده ، لأنّ محمد بن ناصر لم يطع سعيد بن سلطان إلاّ خوفاً منـــه . وحين رأى له قوة من جانب سعود والقواسم تبع سعود .

وأخذ غزو المطيري الى مطرح [٢] ، فدخلوا مطرح ونهبوها وقتلوا من فيها وكان ذلك بسبب دلالة [٣] محمد بن ناصر لهم ثم مشوا الى مسقط كلها ، وحرقوا البيوت التي خارج السور . وصار محمد بن [٢٢٥] ناصر الى طرف جعلان غازيا لسعود ، وحالف كثير من اهل بلاد الظاهرة ، وأطاع آل سعود مثـــل يهلى ونزوى . واستمرت حكومة سعود بتلك الاطراف مستقلة تزيد يومـــاً فيوماً حتى طاعت بعض بلاد الحجر الواقع بين الباطنة والظاهرة مثل الحضري وغيرها .

ثم إنّ سعيد أدى ذلك الزمان شيئاً من الدراهم طاعـــة لسعود ، قيل انه دفع له كل سنة مائة الف ريال ، لكن ذلك سنة خاصة .

فلما رأى [٢٢٦] سعود شأنه بالقوة ، أخذ بعـــد ذلك يغزو نواحي الشام وحلب ، وقطع السبل على المترددين ، ولكنه لم يفتح مدينة ولا قرية . نعم كان يأخذ على الرساتيق البعيدة وجه [٤] من المال . ثم بعد بدا له ان يمنـــع الزراع واهل الرّساتيق والبساتين النائية عن البلاد الذي يصل غزوه اليه ظناً منه أنه اذا فعل كذا ، ضاق المعاش على أهل الشام وحلب ، بسبب تعطيل بعض الزروع

---

(١) أغلب الظنّ أن المقصود هو البورتوجيز Portuguese أي البرتغاليون .

(٢) من موانيء عُمان الهامّة .

(٣) أي إرشاد .

(٤) اقرأ : وجها

والفواكه . وقطع أيضاً [٢٢٧] تردد قوافل (١) أهل بغداد الى الشام والى حلب بالكلية . وكان يصل غزوه الى أرض القادسية من العراق . وهكذا استمر أمره بتضييق (٢) السبل في اطراف الروم ، الى وفاة سعود (٣) وولى امره بعده ولده عبدالله بن سعود وقامت عليه الدولة العثمانية ، بامارة محمد علي باشا. فأخذ أمر آل سعود يبدو نقصه شيئاً فشيئاً .

وقد وقع لسعود غزوات كثيرة في أيام دولتهم بأطراف العراق . ومن جملة غزواته أنه غزا بنفسه [٢٢٨] أطراف السماوة ، وسوق الشيوخ ، وقتل في هذين الموضعين خلقاً كثيراً .

ثم انه بعد ذلك بسنة كاملة ركب بغزو عظيم يبلغ عدده عشرين ألفا وغزا مشهد الحسين رضي الله عنه فدخل كربلاء (٤) ، ولم يكن لها إذاً سور فقتل هناك قتلا ذريعاً وهدم طرفاً من قبة الحسين رضي الله عنه وأخذ خزائن كثيرة كانت هناك من الذهب والجواهر النفيسة قيل انه أخذ مقدار ستة آلاف ماية ألف ريال وقتل مقدار ثلاثة آلاف نفس من ذكر وانثى وكبير وصغير . وبقي هناك يوماً واحداً لا غير وهو متخوف من خروج الروم عليه من بغداد . وكان اذاً الباشة سليمان باشه أبو أسعد باشه. فرجع الى نجد ثم جاءت الأروام وعمروا كربلاء ببعض البنيان من بيوتها ، وبنوا سورها ، ثم امدوهم العجم بشيء من آلات الحرب كالمدافع. وقد أرسل من بعض ملوك الهند الإسلامية كثير من المدافع والقنابر (٥) . وتحصنت كربلا بعد ذلك تحصيناً كاملا . [٢٣٠] ومن أجل ذلك

---

(١) كانت قوافل الصحراء المنتظمة بين الكويت والبصرة وبغداد ومدن سوريا ولا سيما حلب من أهم الوسائل لنقل بضائع الهند الى الشام .

(٢) اقرأ : بتضييق

(٣) كان ذلك عام ١٨١٤ م

(٤) انظر وصفاً مفصلا لهذا الهجوم ونتائجه لكاتب معاصر هو هارفورد جونز برديجز (Brydges) في كتابه The Wahauby .

(٥) القنابل .

لم يرومها[1] سعود بعد . وإلا فكان مراده بكربلاء صنعاً شنيعاً حيث أراد قلع قبة الحسين رضي الله عنه وتهديم بقية القبب التي هناك لآل الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، وأيضاً كثير من الذخائر وخزائن لم يطلع عليها ثم أغفير بها .

ثم إنه بعد ذلك باربع سنوات غزا البصرة باربعين الفا بنفسه[2] . ثم انه خرج من الدرعية ولا يدرى أين يريد حتى أتى الجهرة بقرب الكويت يوماً وليلة . سمع اهل [٢٣١] الكويت بأنه مريد البصرة ، فارسلوا الى المتسلم وأعيان أهل البصرة كسيد رجب النقيب الرفاعي والسيد محمود الرديني والشيخ قاسم الكواري وبقيتهم يحذرونهم عن سطوة سعود بغتة . فما وصلت الخشب التي ارسلها اهل الكويت إلا وقد نزل سعود حول الزبير ، وتبين الحال لاهل البصرة خاصاً وعاماً . فلما جاء عسكره أولاً إلى الدرهمية وهي موضع ماء على رأس نصف فرسخ من الزبير ، وقد بنى فيه اهل الزبير كوت واحد[3] ، قبل ذلك [٢٣٢] باربع سنين حماية للماء لئلا ينزل عليه العدو فيستسقي بسببه إذ لا ماء بعد ذلك بهذا القرب للزبير الا في نفس سور القلعة . وقد جعلوا في ذلك الكوت أربعة مدافع وأربعين مقاتل بوازدية فحال سعود بعسكره بين الزبير وهو قد ألقى هناك وقت الظهر ، ولم يكن في عسكره ماء [....][4] ثم تبين بأن الماء هو في الموضع ، وليس بعد ذلك ماء ، الا في الزبير أو البصرة ، وهما ليسا لك ، ومن ناحية الشمال [٢٣٣] في الكويبدة على ثمانية فراسخ عن هذا الموضع فاختار[5] أيها الأمير والرأي[6] لك . فقال : ليس لنا الا قبض هذا الموضع . فأرسل أولاً إليهم أعني الى اهل الكوت ، وقال : هـذا لكم كل

---

(١) اقرأ : لم يرمها .

(٢) انظر تفصيل ذلك في ابن بشر .

(٣) اقرأ : كوتاً واحداً .

(٤) نقص وليس في النسخة بياض ، وتقديره : فقال مشيروه وأدلاؤه : ...

(٥) اقرأ : فاختر .

(٦) في الاصل : ورأت .

واحد خمسين محبوباً [1] ، وانزلوا سالمين حتى تبلغوا الزبير ، فأجـــابوه بأن لو ملكتنا الدنيا ، محال أن نسلم لـك الكوت ، الا بعد ذهاب نفوسنا . ثم لمـــا صار العصر أرسل لهم اميراً من امرائه ، اسمه حجيلان ، وهو الذي اليوم والي وحاكم من قبل عبدالله بن سعود [٢٣٤] على بريدة من بلاد القصيم ، وأمره أن يبذل لهم قدر ما يرضون به من المال . فجاءهم حجيلان على فرس له حتى وقف قريباً من الكوت ، فقال لهم : أيها الجماعة المغرورين [2] ، اهبطوا من هـــذا الكوت ، ودعوا إمام المسلمين وجيشه أن يردوا الماء ، فانّ العطش قد ضرهم . وهذا لكل واحد منكم مائتا ذهب ، وانزلوا فان شئتم المسير الى نجد — وكانوا هم من أهل نجد في الأصل — فهذا نعيّن لكم ارضاً ونخيلاً تستعيشون بها نسلا [٢٣٥] بعد نسل ، أو تريدون المسير الى الزبير ُتبلغكم ذلك ، وانتم معذورون عند قومكم ، حيث لا طاقة لكم بمحاربة هذا العسكر . فقال له رجـل اسمه راشد بن سعدان : يا حجيلان أنت رجل عزيز ومكرم ، ونعرفك أنك من بيت شريف — كان كذلك — فلا تتوسط في هذا الأمر ، ُتلجئنا الى ان نرميك فنصيبك؛ ليس لنا جواب لهذا الرجل ، يعني سعود ، سوى القتال معه . فلما آيس حجيلان منهم رجع الى العسكر فقال : أيها الامـام [٢٣٦] لا يرضون هؤلاء بالنصح ، فما لك من رأي فأفعل . فأمر حينئذ بالحمل على الكوت ، فحملت عشرة آلاف من عسكره عليه . فلم يزالوا أهل الكوت يرمونهم بالمدفع والبندق ، وهم كذلك ، حتى قتل من قوم سعود أربعماية رجل ، وفي قول ستمائة رجـل . فرجعوا عن الكوت فاشتد عليهم العطش غاية الشدة ، فصاح الناس : إنّ اليوم يوم بـــذل النفس ، قوموا على هؤلاء اللئام بأجمعكم ، فحمل العسكر وهو أربعون الفـــاً بجمعه فأخـذ الحافر [٢٣٧] يحفر ، والذي يضع السلم يضع ، إلى أن ركبوا في الكوت ، وكان لذلك الكوت ، بنيان في طرفـــه معتلٍ مسلط على باقيه وقد

---

(١) زر محبوب هو عملة ذهبية تركية . زر : ذهب ، محبوب ـ الكلمة العربية نفسها .

(٢) اقرأ : المغرورون .

ركب فيه رجل واحد وكان أملسا[1] ملصقاً بالحصن . وكان ضارباً بالبندق ضابطاً في ذلك ، وأخذ معه قدراً من البارود والرصاص فجعل يرمي كل من كان في الكوت وتحته ، وباقي القوم الذين كانوا في الكوت قطعوهم بالسيوف جميعاً . فلما اصبح الصباح رأى قوم سعود أنّ هذا الرجل الصاعد [٢٣٨] في هذه الصهوة قد ضرّرهم ضرراً كلياً . وقد قتل منهم بسيفه قدر مائة رجل ، وأنه يمانعهم عن أبيار الماء كما كان قبل أخذ الكوت ، همّوا بنقب أصل الكوت فوجدوه مملوءاً من التراب فأتعبهم ذلك . جاء سعود بنفسه وقال : أيها الرجل أنا إمام المسلمين ، وكبير القوم ، هذا قد أعطيتك أمان الله وعهده ، أن لا أضرك بشيء ، ولا أترك أحداً يضرك بسوء ابداً ، وأنت اليوم قد أدّيت ما عليك ، وهذه شيمة الكرام ، ولكن الساعة بقيت وحدك [٢٣٩] في هذه الصهوة[2] بأعلى رأس الكوت ، ولا بد من قلع هذا الكوت من أصله ، ولو قتلت منا ألف رجل ، فإن عاقبة أمرك المصير الى القتل ، وإنّما الرأي أن تسلّم فتَسْلَم ، وهذا أيضاً أنا أكرمك وانعم عليك لأجل شجاعتك . فنزل الرجل وأتى إلى سعود ، فأعطاه فرس[3] كانت تحته تبلغ قيمتها الف ذهب ، وأعطاه أيضاً ألف ذهب نقد[4] ، ثم قال له : الآن ان شئت فأقم عندي ، والاّ فسر في الأمان إلى أين شئت ؛ فاختار الذهاب الى الزبير . [٢٤٠] قيل لما وصل الى الزبير قال له أهل الزبير لمَ لمْ تبق الى ان تقتل ، فقد فعلت فعلاً قبيحاً لأنك قبلت الامان والعطاء وطمعت في المال والحياة وأصحابك قد قتلوا . الحق ان نأخذ منك هذا المال ، الذي أعطاك سعود . فأخذوا يلومونه ، حتى قام بعضهم بنصرته ، وقال : هذا الرجل ما فعل الا كمال الشجاعة والغيرة ، ولا أحد له كلام معه .

---

(١) اقرأ : أملس .

(٢) في الاصل : صيهوه .

(٣) اقرأ : فرساً .

(٤) اقرأ : نقداً .

وأما سعود فلما استسقى عسكره من الماء انتقل يوم [1] الثاني الى نحو الزبير . فحين بلغ هناك ، [٢٤١] رأى أنه لم يدرك من بلد الزبير شيئاً ، سار بوجه الى طرف البصرة لكنه لم [يقارب] سور المدينة وانما نحا نحو القرى الجنوبية ، وكان لجميع قرى البصرة سور مستطيل من طرف آخر النخيل من جهة القبلة واصل من أبي الفلوس من جنوب القرى وهو نهر يخرج من سيحان حتى يقع على البحر في خور عبدالله ، وكان في زمن [2] السابق ، أيام الجاهلية تسير فيه السفن ، لكنه انعدم بعد ذلك وبقي اسمه — وانما سمي بأبي الفلوس [٢٤٢] لانه فيما ينقل كان عليه عشرين [3] قصر لاخذ العُشر من مال التجارة . فكثرت الفلوس بسببه — ثم ان ذلك السور يصل الى سور مدينة البصرة شمالاً ، وهذا السور لم يعهد في كل الازمان ، وانما احدثه عبدالله أقا لما كان مُتسلماً بالبصرة قبل ان يعزل بسنة وبنى فيه بروجاً أيضاً على الترتيب وبحث [4] خلفه خندقاً ، وذلك لانه لما قوي أمر سعود في البر خاف عبدالله أقا أن يغزو قوم سعود أطراف البصرة بتوسط المتفق ، ففعل [٢٤٣] ذلك ، وأمر أنّ كلّ اهل بلد يحرسون في هذا السور من قبلهم على دوام الايام وكان طول هذا السور مسافة يومين من طريق البر .

ثم إن ذلك العام الذي مشى فيه سعود على البصرة ، أيام نجم بيك ، ولم يكن رجلا ذا سياسة شديدة . ولهذا كان السور الذي بناه عبدالله أقا قد انهدم طرفا [5] منه في مقابلة ميقران ولم يبنى [6] بل بقي كما هو مهدوماً . وهدمه بسبيع [7] ثلاثمائة ذراع . فاقام سعود يومين يدمر السور المذكور [٢٤٤] بالبندق ، ويحمل على بعض مواضع ولا يدرك شيئاً ، ولم يخرج لحربه أحد من

---

(١) اقرأ : اليوم .

(٢) اقرأ : الزمن .

(٣) الصواب : عشرون قصراً .

(٤) يريد « وبحش » المستعملة في بعض اللهجات الدارجة .

(٥) اقرأ : طرف .

(٦) اقرأ : يبن .

(٧) يريد سعته .

مدينة البصرة ، وعربها ، أعني المنتفق ، لم يحضروا تلك الايام فيها لأنه أول أيام الصيف ، وشيخهم حمود لم يجب مقابلة سعود، والا كان يمكنه ذلك ، لكن أراد أن يُهين أهل البصرة حتى يعرفوا له قدراً . فأراد سعود أن يرجع بعد اليومين أو يذهب الى ناحية الشمال من أرض العراق من حيثية قلة المال عنده ، وبُعد الماء عليه من الدرهمية أو [٢٤٥] الكويبدة . قيل انه أتاه رجل ذلك اليوم فأخبره بان هناك ثلم[1] لو شئت الدخول فيه بغير ضرر . فدلّه عليه ، فأمر سعود عسكره ، قدر عشرة آلاف او أكثر ، فحملوا ودخلوا الى باطن البلادين ، الصباح ، فلما أحس بالدخول كل من في القرى أخذ يسعى الى الجهة المقابلة لهم من السور ، وقوم سعود انتشروا في القرى لكن لم يجرؤوا أن يتفرقوا أقل من ألفين[2] رجل في مكان واحد ، فعبر اكثر أهل القرى الى جانب [٢٤٦] بر كعب . هذا بالنسبة الى بعض البلادين واما بعض القرى لم يدخلها عسكر سعود قط . وذلك من بلد اليهودية الى الدوامر . فبقوا هناك ثلاثة أيام ثم خرجوا ، فسار سعود بعسكره الى الدّرعية . وبعد ذلك بست سنين غزا البصرة مرة ثانية بعشرين ألف ، وليس ذلك مقصده بالذات، فأنه غزا طرف العراق وهي بلدة السماوة فلم يظفر بشيء[3] ، فمر بالبصرة عند رجوعه ، وفي هذه المرة خرجوا له أهل البصرة ، وعرب [٢٤٧] المنتفق ، وغيرهم من أهل الجزائر والخلط . وكان في البصرة حينئذ مسلّماً ابراهيم أغا ، فحاربوه فمنعوه دخول القرى وقد قتل من عسكره جمع كثير ، فولى نحو نجد ولم يعهد عوده غازياً الي البصرة بعد ذلك أصلاً . هذا ما صح عندنا به في هذا والله أعلم بالصواب .

---

(١) يريد : ثلم اي ثغرة .

(٢) اقرأ : ألفي .

(٣) كان ذلك في ربيع سنة ١٨٠٦ . قارن في حملات الوهابيين على العراق .
Longrigg, Four Centuries of Modern Iraq (Oxford, 1925)
في صفحات ١٩٨ وما يليها ، ٢٠٦ ، ٢١١ - ٢١٧ - ٢٣١ ثم ص ٣٠١ وما يليها .

الباب الخامس

[في بيان تملكهم بعض الحجاز وتهامة وبلاد اليمن وبيان حدود بلاد نجد والحجاز وتهامة واليمن وأرض بني خالد وقطر وعمان وأسماء شعوب بني خالد وما كانوا فيه من الرياسة قبل ظهور محمد بن سعود[1]]

— ١ —

فصل في تسخير بعض الحجاز وكيفية ذلك

حدثنا بعض أهل الخبرة بأحوال آل سعود، بما جرى لهم في تسخير بعض الحجاز وكيفية ذلك فقال:

أصل السبب في ذلك ان سعود غزا قوماً من العرب [٢٤٨] من مطير، قد أظهروا المخالفة بعدما عاهدوا عبد العزيز، والتجأوا الى الشريف غالب[2]

---

(١) لم يلتزم المؤلف بقسمة الابواب التي ذكرها في المقدمة فهذا هو هنا يؤرخ لتملك الوهابيين للحجاز ثم يعود الى الحديث عن أمور اخرى كان حقها أن تقع في الباب الرابع.

(٢) حكم الشريف غالب في مكة منذ ١٧٨٨ حتى ١٨١٣

وهذا سنة الخمس من قرن [١] الثالث عشر وكان يومئذ سنة [٢] الرابعة من ولاية الشريف غالب على الحرمين وبقية الحجاز التي هي ممالك الاشـراف بني حسن رضي الله عنه. ولما رأى الشريف غالب أنّ نجداً كلها دانت لآل سعـود، بدواً وحضراً، ورأى أنّ عبدالعزيز ادخل يده في ملك بني خالد، خشي أن يدخل النقص عليه في ملكه، وكان الشريف [٢٤٩] مهيوبا [٣]، وله جـاه كلّيّ في جزيرة العرب وغيرها من الأقطار الاسلامية. فبدأ الشريف غالب بتهيئة الحرب وأسبابها. وقد استمال الشريف كثيراً من بداة نجد كمطير وعتيبة والبقوم أهل تربة وسبيع وغيرهم من القبائــــل: وكذا كثيراً من قحطان وبعض الدواسر فأطاعوا الشريف غالب، واختلفوا على عبدالعزيز. وهذا في مدة شهر وشهرين من تلك السنة التي وقع فيها ابتـــداء الحرب بين الشريف وبين آل سعود.

[٢٥٠]

ثم ان الشريف غالب قد سمع ان بعض بني خالد لم يدخل في طاعة عبدالعزيز، وكان كذلك هو أن عبدالمحسن آل سرداح [٤] الحميدي الخالدي لم يبرح معانداً لعبدالعزيز، هو وكثير [٥] من عرب الخوالد معه. وقد نزل البادية واستولى على أرض بني خالد التي هي غير المدن والقرى. وكان يتعرض أطراف نجـد بالغزو لكنه لا يمكنه المقابلة بالعسكر. وعبدالعزيز يحسب ان عاقبـة أمر عبد المحسن وبقية بني خالد هيّنة [٦] عليه وأن ما في أيديهـم من الاراضي [٢٥١] والديار ستؤخذ منهم عن قريب، وكان الأمر كذلك.

---

(١) اقرأ: القرن
(٢) اقرأ: السنة
(٣) الصواب: مهيبا
(٤) كان حكمه في بني خـــالد من ١٧٨٦ - ١٧٩١ ونسبه هو عبد المحسن بن سرداح ابن عبدالله بن عرير آل حميد. (انظر الجدول)
(٥) في الاصل: كثير
(٦) في الاصل: هنيئة

ولما علم الشريف غالب بهذه الحال ، كتب لعبد المحسن يرغبه في حرب آل سعود ، وقد بذل له شيئاً من المال نقداً وأعطاه بيده خمسين عبداً من عبادلة السند والاوغان[١] لأنه لا يمكنه توصيله الى عبد المحسن بغير ذلك ، لإحاطة ملك آل سعود بجميع أرض بني خالد براً وبحراً ، وجعل معهم اثني[٢] من خدامه لأجل التوصيل ، وقال : استعن بهذا على حرب عبد العزيز واغزوه[٣]
[٢٥٢] من تلك الاطراف التي تليكم ، لئلا تقوى شوكته فيميل عليكم ميلة واحدة . وهذا أنا امشي عليه من جهة الحجاز ؛ فأجابه عبد المحسن لما قال .

فبرز الشريف غالب عسكره وأمّر عليه اخاه الشريف عبد العزيز بن الشريف مساعد ، وأمره ان يقيم في تربة حتى هو بنفسه يصل اليهم بعسكر آخر . فلما وصل الشريف عبد العزيز الى موضع فيه قصر مبني بالطين خاصة يسمى قصر البرود ، وهو على يومين من كورة الوشم قِبْلة[٤] . وكان سعودٌ اذاً
[٢٥٣] خارج الدرعية في موضع يسمى أُشيقر ، بينه وبين البرود يومان . وسبب خروجه مدافعة عسكر الشريف عن حوزة بلاده . ولكن لم يقدم على عسكر الشريف ، حيث أنه الى ذلك الزمن ما جرّب حرب الشرفاء ، وكان لهم صيت عظيم في الكرّ ، خشي أن يقابل الدولة بالدولة ، لبث مكانه حتى يرى عاقبة الأمر .

فأقام[٥] الشريف عبد العزيز أخو الشريف غالب على محاربة ذلك القصر وليس فيه الا خمسة وعشرين[٦] بواردي . فاستقام بذلك شهراً وبالغ في تسخير
[٢٥٤] ذلك القصر بأن رماه بالمدافع ، وحمل عليه مرارا عديدة ولم يفد ذلك

---

(١) لعله يعني : والأفغان.

(٢) كذا في الأصل .

(٣) اقرأ : واغزُه .

(٤) أي في اتجاه الكعبة بمكة ، وهذا معروف في الكويت حيث يعرف حي قبلة بذلك لا لوقوعه في جنوب المدينة .

(٥) اعتبر « فأقام » خبر « لما » في الفقرة السابقة .

(٦) اقرأ : وعشرون بواردياً.

كله شيئاً ، بل ربما صار اكثر التلف والقتل في عسكره برمي البندق من القصر . فوقع على عسكر الشريف وهنٌ وتعبٌ كثير ، وسقط اعتبار الشريف وهيبته ابتداء من ذلك اليوم ، حيث لم يتمكن من أخذ قصرٍ صغيرٍ فيه عدد قليل .

ثم إن الشريف عبد العزيز بلغه خروج أخيه الشريف غالب بعساكر كثيرة ومدافع عظيمة ، يريد تتميم الأمر لما كان يطلبه . فنزل على الشعرى ، قبلةً [٢٥٥] عن الدرعية بخمسة أيام ، وقد لحق به أخوه الشريف عبد العزيز . فعاد الى ذلك القصر ، أعني قصر برود ، وذلك لعشر ليالٍ بقين من شعبان من السنة الخامسة من هذا القرن . وبالغ الشريف في حرب ذلك القصر بالمدافع والحملات فعجز عن تسخيره رأساً ، وقد قتل وتلف من جيشه خلق كثير .

وفي شهر شوال من هذه السنة علم الشريف غالب انه لا يتمكن من أخذ هذا الكوت ، وأنه كلما بقي ولم يدرك مراده منه يكثر سقوطه في أعين [٢٥٦] الناس ، ويقوى عدوه ، وكان اذاً حديث سنٍّ لم يعطى (١) تدبير الحروب ، فانصرف الى مكة ، عظمها الله تعالى ، وكان أيام موسم الحج ، وقد قل عنده الميرة والمتاع في عسكره غاية القلة . وخاف أيضاً أن يدخل أحد (٢) أمراء الروم مكة برسم الحج ، فيتصرف فيها لأن الشريف عند سلطان الروم (٣) غير مقبول لكثرة تعدّيه على الخلق [من] الحجاج ، ولكن لا يحب ان يرسل عليه عسكر (٤) حسب الظاهر يستعد لقتالهم ، وينحصر بمكة ، شرفها الله تعالى ، وقتال [٢٥٧] المسلمين في الحرم لا يجوز ، إلا عند الحاجة العظمى أعني التي لو تركت (٥) لأدّت الى فساد في الدين . والشريف لم يقع منه هذا القدر ، لكن يودّ السلطان أن يقبض مكة من يد هذا الشريف سراً ، وتمليكها أحد أبناء عمه

---

(١) اقرأ : يعط .
(٢) في الأصل : أحداً .
(٣) يعني : الخليفة في الاستانة .
(٤) اقرأ : عسكراً ،
(٥) في الأصل : تركب .

من الشرفاء . وهذا هو الذي ظهر سبباً لرجوع الشريف غالب عن حرب نجد . لكن الحق الصحيح أنه عجز عن الحرب ، وكان في مـــدة عمره متأسفاً على ما وقع في صغر سنه من قلة التدبير . لكنه [٢٥٨] حصل له بعد هذا قوة من الرأي والفكر المصيب ، ما بلغ الغاية والنهاية .

ثم إن عرب الشريف ، الذين كانوا ملتجئين به من بداة نجـد ، تفرقوا عنه راجعين الى أطراف نجد . فقحطان احتازوا (١) الى تثليث ، وعيبة الى بريـــة مكة ، كركبة وما يليهـا . وأما مطير فاحتازوا الى أرض شمّر ، واتفقوا مع مطلق الجربي ، وبادية شمّر جميعها ، التي في الجبل . وصار بينهم وبـــين أهل القرى التي في الجبل حرب . فأرسل أهل الجبل الى عبد العزيز [٢٥٩] بن سعود أن هذا مطلق الجربي نكث والتجأت مطير اليه ، فهذا اليوم نحاربه . وكان اذاً شيخ مطير حسين بن وطبان ، رجل شجاع . فلما سمع عبد العزيز بهـذا الخبر ، بعث ولده سعود بجيش اليهم ، ومعه بعض من عنزة وكانوا اضداداً لمطير ومعـه أيضاً بـدو العارض : سبيع والعجمان وكذا هادي بن قرملة (٢) ، في جماعة من قحطان . وهذه السيرة أوّل (٣) معاضدته لآل سعود وشهور (٤) شانه في جزيرة العرب ثم صار له [٢٦٠] صيت كبير . وهذا الجيش يبلغ خمسة آلاف رجل بواردي وثمانمائة فارس . فصبح عرباً يقال لهم البراعصة مـن مطير [وزعيمهم] اسمه سعود ، يكنى (٥) بحصان الشيطان ، وقيـل : بحصان إبليس ، هو الذي كنى نفسه بهذا (٦) الكنية ، وهو شجاع معدود ، ومعه مائتا فارس من رفقته فحاربوا سعود وقد قتل من فرسانه نفر (٧) . وقد قتل حصان إبليس وأولاده

(١) يعني : احتازوا .
(٢) في الأصل : قوملة .
(٣) في الاصل : أو .
(٤) يريد : واشتهار .
(٥) في الاصل : لكن .
(٦) اقرأ : بهذه .
(٧) في الاصل : عفر ، دون اعجام للفاء .

وأولاد أخيه ، وأخذت بيوتهم وأغنامهم وكانت إبلهم [٢٦١] غائبة في الفلاة.

وبعد هذا اشتد الأمر على مطلق الجربي ، وحسين الدويش ، وضاقت بهم الدنيا ، وكانا (١) على ماء يسمى ياطب ، عن الحائل ثمان ساعات ، فأقبلا صائلين على سعود وعسكره ، يريدون (٢) مناجزة الحرب معه . فوقعت الحروب بينهم وبين سعود فساق أولاً في وجوههم ، حتى دفع جموعهم بهـا . ثم اعقبهم بالخيل والرجال ، فقتل ولد مطلق الجربي ، اسمه سلطان ، وانهزمت تلـك البوادي وعددهم كثيراً فأخذ اموالهم ، [٢٦٢] وقتل من قتل وأسر من أسر وجملة أموالهم لا تحصى عداً ، فجلا مطلق الجربي الى العراق من ذلك اليوم .

وأما مطير وقحطان وعتيبـة وسبيع القبلة كلهم ، وكذا غيرهم من البداة التجأوا بعبد العزيز وطلبوا منه الأمان ، فرد عليهم كل ما أخـذه منهم تكرماً وتأليفاً لقلوبهم . وهذا بالنسبة الى بعض أولئك الاقـوام ، وبعض الآخر قال لهم : اما ان تقبلوا إعطاءنا نصف اموالكم او تقبلوا حلق لحائكم . وهـذا حيث [٢٦٣] كان يعرف الناس بالفراسة علم انهم ليسوا صادقين صدقاً حقيقياً فيـما طلبوا منه ؛ فأجابوا بكليتهم : إنا نقبل انتصاف المال بيننا وبينكم . فأخذ منهم شطره وأقرهم في نجد .

ثم انه بعد ذلك جعلت بداة نجد تغزو الحجاز فأطاعت عتبة الحجاز وحرب كذلك . وقد ضاق الحال على الشريف ، وكاتب أهل الطائف عبد العزيز فبايعوه وأتوا منه بقضاة يعلمونهم التوحيد وما هو مرضيٌ عند [٢٦٤] محمد بن عبـد الوهاب .

ثم إن سعود جعل يدخل الحجاز أميراً للحاج بحكم أبيـه ، فيأتي الى عرفة ، ويريد دخول مكة فيمانعه الشريف ، وهو لا يتمكن من الدخول بغير حرب ، ولكن لا يحترم قتال أهل مكة لأنـه يكفرهم ولا يمنعه حربهم في الحرم لأن

---

(١) في الاصل : وكان .
(٢) اقرأ : يريدان .

ذلك [مكروه] بالنسبة الى أهل الإسلام ، وانما هو عاجز عن حربهم في البلد . فالحاصل جعل مبع سنوات يأتي ، فرجع بغير حج ، ويريد الدخول بمكة برضاء الشريف ، قوة محاربته [٢٦٥] خارج كله [١].

(١) كذا ، ولم اهتد لتصويب هذه الجملة .

- ٣ -

فصل في وفاة الشيخ محمد بن عبد الوهاب
[واغتيال عبد العزيز آل سعود]

أخبرنا بعض أهالي نجد أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب لما بلغ عمره ثمانين سنة اعتزل عن التصرف في الأمور ، واتخذ الخلوات والزهد والورع جداً ، وولى ابنه الشيخ حسين على منصب المشيخة . ثم انه لما بلغ من العمر تسعين سنة توفي وكان موته يوم السبت عام ثاني عشر ، فاهتم على فقده كافة أهل دينه ، لاسيا عبدالعزيز وآله فإنهم قد أصابهم [٢٦٦] حزن شديد لذلك ، ثم ان عبدالعزيز صلى عليه هو وآل سعود أولاً ، وبعد أن أخرجت جنازته الى المسجد الجامع ، فجاء الناس فوجاً فوجاً للصلاة عليه . ودفن في مقبرة كانت معهودة لآل سعود من قبل .

وقد خلّف من الأولاد أربعة ذكور وستة [1] إناث . فالذكور من أولاده هذه أسماؤهم ، حسين وعبدالله وسليمان وعلي وهو الصغير ؛ والإناث من أولاده هذه أسماؤهن : سلمى وصفية وفاطمة [٢٨٧] وسعدى وعايذة وحبيبة ، وهي الصغيرة .

ولم يخلف من المال إلاّ أرضاً قد اشتراها في حياته في بدء الأمر ، ذات نخل

---

(١) اقرأ : وست .

وزرع وأشجار وفاكهة تسوي خمسين ألف ذهب . وترك مائتين كتاب ، وقيل ستمائة كتاب، والأول أصح كما قال به بعض المخبرين . فأما الكتب فإنها - باصطلاح أولاده أجمع - جعلت وقفاً لكل من هو عالم يتسلم مسند القضاء والفتيا . وأما الأرض فقد بقيت غير مقسمة ، كما هي قبل موته ، لكن الحاصل منها كل سنة ، يقسم بين الورثة [٢٦٨] وكان بعد المرجع في مشاورة بجميع ما اشترط اولاً بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب وبين محمد بن سعود وابنه حسين[١] .

ولما مضى بين وفاة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ثمانية[٢] سنين، توفي عبدالعزيز ابن محمد بن سعود وسبب وفاته هو أنّ علي باشه ، الذي ولي وزارة بغداد بعد سليمان باشه كان دائم الحقد على آل سعود ، وعلى كل من هو متمسك بدين محمد بن عبدالوهاب . وكانت له همم علية وقدرة جلية في ارسال العساكر عليهم ، لكن أشغله عنهم مخاصمته مع العجم حيث ألقى حرباً على الشاه زاده محمد علي ميرزا ، والي كرمان شاه . والحاصل أنّ علي باشه مرّ يوماً على جسر بغداد، فقال لبعض ندمائه : لو يحصل عندي من يبذل نفسه ويسير إلى الدرعيّة فيقتل عبد العزيز غيلة ، لأعطيته الآن الف ذهب ، وإذا بلغني فعله بموجب ما أريد منه ، قررت لعياله وعيال عياله وظائف من الديوان لا تنقطع أصلاً وكتبت كتاباً [٢٧٠] تذكر فيه اللعنة على من يخالف ذلك من وزراء بغداد بعدي .

قال الراوي : فلما كان الغداء أتى رجل بيده رقعة ، فوقف مقابل طارمة الباشه على عادة ما يقف أهل الشكوى . فالتفت علي باشه وقال إيتوني بما في يد هذا الرجل . فأتوه بالرقعة ، واذا مكتوب فيها : من الفقير الحقير علي إلى جناب ولي نعمته الوزير المعظم علي باشه : أما بعد ، فقد سمعت أنك تريد من يكفيك شر عبد العزيز النجدي بقتله ، فهذا أنا أفعل ذلك بحول الله تعالى. [٢٧١] فأمر علي باشه باحضار الرجل لديه ، وقال له : أنت علي ؟ قال نعم ؟ فقال : أتوفي بما قلت ؟ قال نعم . فأمر له بألف ذهب ، وقال : هذه توضع بيد من تأتمنه من

---

(١) العبارة مضطربة .

(٢) قرأ : ثماني .

الناس المعروفين في بغداد ، فإذا بلغنا صنعك فهي لك ، تعطى لعيالك . ولهم أيضاً وظيفة جارية ، تكفيهم من جميع الوجوه ، إلى مدّة بقاء دولة العثمانية .

فسار الرجل الى بيته ، وودّع عياله ، وأخذ له بعض المتاع ، فأحقبه على ظهره ، ثم أتى قبيل العصر الى علي باشه ، [٢٧٢] واستأذنه الدخول عليه ، فأذن له ، فدخل وقال : ها أنا سائر على بركات الله تعالى ، وانت اصنع ما هو اللائق الذي اوعدت به . فقال الباشه : هذه طريقك ؟ قال : نعم . فنادى أحد خدمه بأن إيتوه بحصان أم بغل من الاصطبل ، فالتمس : أني لا أريد شيئاً . أمشي مع القوافل برسم الحاج الفقير المضطر ، حتى أصل الدرعية . فأمر علي باشه من ساعته بألف ذهب ، فوضعت بيد من هو ائتمنه . وأمر أيضاً بقدر من الطعام والدراهم [٢٧٣] فسلمت لعياله وبيته ثم سار ، وكان مسيره سنة التاسعة عشر[1] من القرن الثالث عشر يوم الأحد لسبع ليال خلون من صفر .

فانحدر الى البصرة ، ثم منها الى الكويت ، ثم سار مع ركب أهل الدرعية . وأول وصوله ، قدم على عبدالعزيز فقال له : أنا رجل من بغداد . سمعت بدينك من ذا عشر سنوات ، ولكن لم أتمكن من وصول اليك ، ولله الحمد قد بلغت مرادي . فأنا أعاهدك على هذا الدين ، وليس لي بعد ذلك [٢٧٤] رجوع الى أهلي وعيالي ، بل داركم هذه دار هجرة ومقام المؤمنين ، وأنتم أعز عليّ من جميع قومي وعشيرتي . وكان رجلا فصيحاً ، فقبل ذلك منه عبدالعزيز وقرّبه اليه ، حيث أنه رأى منه الملازمة على صلاة الجماعة و التجنب عن بعض الأمور حيث عرض عليه بعد كم يوم الزواج ، فقال : لا . المراد أن عبدالعزيز أحبه أتمّ محبة ، وكان إذا دخل المسجد للصلاة يجعله إلى جنبه ، لانه يقول : هذا من الطائعين المخلصين ، فالصلاة إلى قربه مزيد [٢٧٥] فضل .

ولما صار عام العشرين من قرن الثالث عشر يوم الجمعة وكان يوم الغرة من شهر

---

(١) الصواب : عشرة .

رجب أخفى الحاج علي خنجره تحت ثيابه وصمم على قتل عبدالعزيز ، في وسط الصلاة ، ففعل كذلك في الحال ، فخرّ عبد العزيز ميتاً . وقُطّع هو إرباً إرباً. وبعد شهر كامل بلغ الخبر الى بغداد ، وسمع به علي باشه ، أسّر غاية السرور ، فحقق ذلك الخبر وقد عرف أن قاتله هو الحاج علي البغدادي، أرسل حينئذ خلف أولاده ، وكانوا ثلاثة من الذكور [٢٧٦] وأربعة [١] من الاناث ، فأكرمهم وأمر بدفع الألف الذهب التي عينها أوّلاً لأبيهم ثم أجرى لهم كل شهر كذا من الدراهم وكانت العادة جارية إلى أيام سليمان باشه الذي صار وزيراً على بغداد بعد علي باشه ، ثم ولي الأمر بعده عبدالله باشا فقطعها ولم يعمل بموجب الدفتر المقرر .

---

(١) الصواب : وأربعاً .

- ٣ -

[فصل في محاولات سعود لدخول مكة والمدينة]

ثم ان سعود بن عبدالعزيز جلس في منصب أبيه عبد العزيز ، وطاعت له كل نجد ، وما تملكوه من الحجاز وعُمان . وقد ظهر له صيت كبير في زمان دولته لانه لم يجلس [٢٧٧] في الدرعية كأبيه لما ولي ، بل أخذ يغزو الاطراف والجوانب بنفسه . وفي سنة اثنين والعشرين من القرن الثالث عشر الذي هو زمان مضى سنين من حكومته ، قصد بنفسه الحج مع ركب الحاج الذي من ملكه والمارين بملكه ، وسار قاصداً لمكة ، عظمها الله ، بجيش عرمرم ، يبلغ كُلّه مائة وعشرين الف مقاتل . وأخذ معه بعض المدافع حملها على الجمال وقال في نفسه : أنا أريد الحج ، ولا يتم الا بدخول مكة والطواف بالبيت ؛ فإن [٢٧٨] وافقني شريف مكة على ذلك ، وإلا دخلت مكة قهراً حيث ان الشريف غالب لا يمكنه المقاومة معي اصلاً . والآن يباح الدخول في الحرم بالسيف ، لأن الذين هم فيه كفار فجّار . وكان اعتقاده كذلك وهذا أمر صحيح حَسَبَ [ما] خمن في نفسه ، لأن أهل مكة ضعفوا غاية الضعف ، واكثرهم تفرق في سائر البلاد لأجل مضاف المعاش عليهم ، وسد الطرق ؛ ولم يساعرهم جميع من حواليهم من العرب لأنهم في حُكم آل سعود مِن ذا بخمسة [٢٧٩] سنين .

فلما وصل سعود بعسكر وكوكب الحاج معه بقرب مكة على فرسخين أرسل أولاً عشرين فارساً بكتابين : أحدهما للشريف غالب ، والثاني لمكافة

أهل مكة . وكتب في الأول ، الذي يعلم به الشريف غالب ، أن الجدال معك على دين الحق قد طال ، وانا قد أضعفناك كما ترى ، وانك لست اليوم كفوءا في المحاربة ، فاختر لنفسك أحد الأمرين : إما التسليم لدخولنا مكة بالصلح والرضى ، ولم نضرك بشيء من بلادك ، وإما ان تستعد لقتالنا فان ندخل [٢٨٠] الحرم جزماً بالسيف .

وكتب لسائر الرعية : ان هذا الشريف غالب رجل عصى الله ورسوله ، ومنع المسلمين عن الحج ، وليس هذا أمراً يقبله المسلمون أبداً . وقد نقسنا عليه لعله يرجع ويؤوب الى الحق ، وهو ليس بآيب ، ونحن لا بد لنا من دخول الحرم هذه المرة بلا ترديد . وأنتم : من شاء منكم ان يعاهدنا على ماله ودمه ، فنحن نؤمّنه ولا يضرُّه منا ضار ؛ ومن شاء أن يتعرضنا عند الدخول ، فليتعرض فسنهدر دمه . وأنتم اختاروا [٢٨١] أحد الأمرين .

فأما الشريف غالب ، فحين وصل الكتاب اليه لم يرد الجواب ، بل ركب بموكبه ، وسار الى جدّة من ساعته ، تحصّن فيها ، وجعل مكانه في مكة عبداً له يكاتب سعود . فكتب العبد الى سعود كتاباً قائلاً فيه : هذا الشريف غالب قد سار الى جدّة هو وأهله وعياله ، وما يعز عليه نقله معه ، وجعلني مكانه لمواجهتك وإنبائك ببعض الأقوال . فأجابه سعود ، بأن لا بأس ، ما كان على الشريف [٢٨٢] ضرر منا لو بقي . كيف ونحن ضيوف الله وهو جار بيت الله؟ فنحن غداً ندخل البلد بعد وقوفنا على عرفة .

فلما صار يوم التاسع خرج عبد الشريف ، وخرجت جماعات أهل مكة للوقوف على عرفة ، وبعد انقضاء الوقوف تواجهوا مع سعود ، وقد عاهده كثير منهم . وأتى عبد الشريف فجلس معه في الخلوة ، وما يذكر لنا ، أنه قال له عبد الشريف : ان الشريف غالب ، يعرف أنك منصف ، وأنك لست عازله من مكة ، لكن أراد منك عهود [1] تقرر [٢٨٣] بينكما عند الناس ، ويكون

---

(١) الصواب : عهوداً .

الأمر كما احببت . وكان ذلك خديعة من العبد لسعود . فلما دخل سعود مكة ، لم يتعرض أحداً من أهلها أبداً ، بل أعطى كثيراً من فقرائها دراهم عديدة ، وبقي بمكة ثلاثة أيام ، ثم توجه نحو المدينة ، وترك المسير الى جدّة ، وكتب للشريف كتاباً : ان هذه مكة أنت صاحبها وقد عملنا فيها ما هو الحق . وإن شئت حسب ما أخبرنا به عبدك فلان ، الذي جعلته مكانك بمكة ، فأرسل لنا أحداً من جهتك حتى نعاهده [٢٨٤] ويعاهدنا عنك .

فالشريف لما قرأ الكتاب ، رد الجواب بمكتوبه إليه : أنّ ليس بيني وبينك عهد ولا صداقة ، فإن سلمّت لي جميع البلاد التي أخذتها من ملك الحجاز ، فأنا اذاً أعاهدك والا فلا ، وأنت اصنع ما بدا لك . وهذا الكتاب الذي ارسله الشريف الى سعود لم يبلغ سعوداً الاّ وهو قد وصل المدينة المشرفة ، وهو مريد دخولها هذه السنة لا محالة لأنّ أهلها عاهدوه قبل ذلك بثلاثة سنين ، ومنّوه بالدخول فيها . واذا [٢٨٥] كان هذا مقصده كيف يرجع الى جدة لحرب الشريف فيها ، مع انه يعلم أن ليس له قوة بفتح جدة ، حيث انها مصورة محفوظة ، واقعة على ساحل البحر . فلم يرد جواباً على الشريف ، وأكمن ما يريد في قلبه . فلما قرب الى المدينة ، أرسل إلى أهل المدينة بدخوله ، فأبوا وامتنعوا من ذلك . فحمل عليهم كراراً حتى دخلها بعد وصوله بخمسة وعشرين يوماً ، فقتل منها بعض الناس حيث سمّى اهلها الناكثين ؛ لذلك [٢٨٦] استباح دمهم حتى بعد الحرب فدخل مسجد رسول الله (ص) وزاره ولبث فيها عشرة أيام لم يحرك منها ساكناً .

ويوم الحادي عشر جاء هو وبعض أولاده ومن يعز عليه ، فطلب الخدم السودان الذين يخدمون حرم النبي . فقال : أريد منكم الدلالة على خزائن النبي . فقالوا بأجمعهم : نحن لا نوليك عليها ، ولا نسلطك . فأمر بضربهم وحبسهم ، حتى اضطروا الى الاجابة ، فدلوه على بعض من ذلك فأخذ كل ما فيها وكان فيها [٢٨٧] من النقود ما لا يحصى ، وفيها تاج كسرى أنو شيروان ، الذي

حصل عند المسلمين لما فتحت المدائن ، وفيها سيف هارون الرشيد ، وعقد كان لزبيدة بنت مروان زوجته . وفيها تحف غريبة من جملة ما أرسله سلاطين الهند بحضرته (ص) تزيناً لقبته (ص) . وأخذ قناديل الذهب ، وجواهر عديدة. ثم إنه رتب في المدينة أحداً من آل سعود ، وخرج الى البقيع يريد نجداً ، فأمر بتهديم كل قبة كانت في بقيع ، وتلك القبب قبة [٢٨٨] الزهراء فاطمة بنت الرسول (رضى الله عنها) وقبة الحسن بن علي (رض) ، وقبة علي بن الحسين (رض) وقبة محمد الباقر ، وقبة جعفر الصادق ، وقبة عثمان (رض) أجمعين .

ثم سار الى أحد ، وهو جبل بقرب من المدينة ، على فرسخ من جهة الشرق وهناك قبر الحمزة ، عم رسول الله (ص) وعليه قبة كبيرة . ثم أمر بتهديمها وأقام بأحد أربعة أيام يعد عسكره ويرى من تخلف عنه ومن هو مريض فيهم ، ويريد كيفية احوالهم ، فوجد كلهم اصحاء ولم يتخلف عنه أحد [٢٨٩]. فأمر بمجلس عام ، فحمد الله تعالى وخطب خطبة شجع المسلمين قومه فيها وأوعدهم فتوحات كثيرة وأمر باحضار بعض المال ففرق عليهم كلا بقدر منزلته عنده ، وما يراه صلاحاً .

— ٤ —

[فصل في اعمال سعود ضد بني عتبة وغيرهم]

ثم سار الى جهه القصيم ، يريد الدرعية . فلما وصل قريباً من بريدة سمع بأن بعض بني خالد ، قد غزا أطراف الدرعية ، وهو براك بن عبد المحسن ، وقد أصاب من أهل الرّساتيق والمترددين شيئاً كثيراً. فعزم على حربهم ، وأن يتوجه [٢٩٠] من هـذه الناحية عليهم من دون أن يصل الى الدرعيـة . فاستشار ابراهيم بن عفيصان ، وهادي بن قرملة القحطاني فقـالا له : وجه الصلاح مسيرك الى الدرعية أولاً ، فسار الى الدرعية . فلما استقر فيها أياماً أرسل غزواً مـع ابراهيم بن عفيصان الى عرب بني خالد الذين هم في البرية فطوعهم . وجاء براك ابن عبد المحسن الى الدرعية بنفسه ، وعاهده ، وبعد العهد بسبعة أيام ، مات في الدرعية فجأة .

ثم انه — اعني [٢٩١] سعود — وجه بعض العسكر الى أطراف عُمان يريد مسقط ، وبلاد الساحل . وكان اذاً قد مضى مـن حكومة سعيد بن سلطان أربع سنوات ، وكان الكبير على هذا الجيش أيضاً مطلق المطيري . فدخلوا نخل وكان فيها محمد بن ناصر الجبري ، فوافقهم ، ثم هموا بدخول مسقط ، وكان السيد سعيد يومئذ ببركة ، فعارضهم في الطريق ، ومانعهم فازدادوا عسكراً مـن عرب عُمان ، الذين على دين محمد بن عبد الوهاب المعاهدين لسعود . [٢٩٢]

فلما رأى سعيد بن سلطان أن هؤلاء ازدادوا عسكراً ، خشي على مسقط ، فسار اليها على طريق البحر ، فوصل مسقط قبل أن يصل عسكر مطلق ومحمد ابن ناصر . فلما وصل عسكر آل سعود حملوا على مسقط، ولم يدركوا من داخل البلد شيئاً قط ، نهبوا المنازل الخارجة عن السور ، وقتلوا كل من ظفروا به . وقد جاءت خشب القواسم من طريق البحر ثلاثون سفينة ، ولكن لم يجرؤوا على الدخول في خور مسقط لمنع البروج الفوقية لهم ، وكذا مراكب [٢٩٣] اثنا عشر مال السيد سعيد ومال الرعية طارحة في وجه الخور تمنع من أراد الدخول ، وأيضاً كان حينئذ خشب بني عتبة أهل البحرين هناك بقدر أربعين سفينة منهم من ألفى [١] مسقط من الهند ، ومنهم من ألفاها من البحرين أو البصرة . وكان في هذا الخشب رجال معروفون من مشايخ العتوب فأمدوا سعيد بن سلطان يداً، بأن ضبطوا له الأكوات ، وأظهروا خشبهم أيضاً خارج مسقط لرد القواسم من طريق البحر. المراد: بذلوا حد" الطاقة مع سعيد [٢] ذلك اليوم . وبقي الأمر كذا بالحرب الى ستة أيام ، فرجعت القواسم ، ورجع المطيري أيضاً .

ومن أجل ذلك الذي اوقعه بنو عتبة أهل البحرين من موافقة سعود ، وقع في قلب سعود عليهم الحقد فأرسل ابن طوق وفهد بن عفيصان الى الزبارة ، وكان معهما أربعمائة رجل ، فجاءا باظهار سبب أمر آخر . فلما وصلا الزبارة في الحال لم يعمل شيئاً . وقال ابن طوق : أنا أريد العبور الى البحرين لمواجهة سليمان [٣] بن احمد بن خليفة وكان اذاً يسكن [البحرين] [٢٩٤] ، وهو حاكمها فركب ابن طوق الى البحرين ، وبقي فهد بن عفيصان في الزبارة . ولما وصل ابن طوق الى البحرين وألقى على سليمان بن احمد لزمه في الحال ، فأركبه وأتى به الى الزبارة . وكان بينه وبين فهد بن عفيصان علامة معلومة فنشرها ، وهو

---

(١) ألفى : بمعنى قدم .
(٢) هنا كان حقه أن يضع رقماً ولكن سها عن ترقيم هذه الصفحة .
(٣) الصواب : سلمان .

بقرب البلد ، فقبض فهد بن عفيصان عبد الله بن احمد وعبد الله بن خليفة وعلى محمد . ولم يتحرك احد من بني عتبة ذلك اليوم بشيء ابداً . فأخذ مشايخ العتوب وسار بهم الى الدّرعية . [٢٩٥] فأخذهم سعود وحبسهم حبساً شديداً وآذاهم غاية الايذاء فبقوا في حبسهم مهانين أياماً عديدة . وكان وقوع هذه هذه الامور سنة سادس والعشرين من القرن الثالث عشر .

وحينئذ تفرقت بنو عتبة في البلادين : منهم من حمل عياله وسكن عُمان بأطراف مسقط في مكان يقال حرامل جنوب مسقط على ربع فرسخ أو أقل . وعبد الرحمن بن راشد ، هو من آل خليفة ، التجأ بسيد سعيد بن سلطان ، وأراد منه المدد له [٢٩٦] منه ليستخلص بني عتبة من تحت آل سعود ، ففعل سعيد بن سلطان همة عظيمة ، وأعطاه عشرة آلاف ريال نقداً وجهّزه من المتاع بعشرين الف جونية رزاً . وجعل معه أيضاً ثلاثة مراكب من خشبه نفسه . فسار الى البحرين ، وجعلت بنو عتبة تأوي اليه ، بعضها بمودّة وبعض يتمرضه لهم بنهب وشبهه . فرجع كثير من بني عتبة الى عبد الرحمن ، فضاق الحال على القوم الذين هم تبعة سعود ظاهراً وباطناً . وبقي [٢٩٧] ذلك الحرب سنة كاملة . فهرب كثير من بني عتبة وغيرهم من أهل قطر من الزبارة الى البحرين ، ودخل عبد الرحمن البحرين برضاه بني عتبة له ، وانهزم من كان من أهل الخديعة لآل خليفة ، فساروا الى الإحساء أو القطيف ، حيث لا مسكن لهم . وهذا سعيد ابن سلطان يمد عبد الرحمن بن راشد بالدراهم والرز على الدوام . وقد تم أمره وتسلط بالبحرين استقلالاً ، وجعل ينهب أطراف قطر ممن تبع سعود ، حتى كتب الرعية [٢٩٨] لسعود يشكون الحال اليه ، وان سعيهم قد انقطع من البحر بسبب مخالفة بني عتبة له . فلما رأى ان هذا الأمر لا يتم له باليسر ، أمر بإخراج من عنده من مشايخ العتوب وقال لهم : أنا أرخصكم بشرط ان تعاهدوني أن لا تخونوا بهذا الدين أبداً ، فعاهدوه . ولما وصلوا الى البحرين ، رجعوا عن ذلك . وهذه الوقائع صدرت في عام سابع والعشرين من قرن الثالث عشر .

وفي ذلك العام حج سعود بنفسه أيضـــا وكاتبه الشريف بالمصالحة [٢٩٩] حيث انقطع طريق البرّ على أهل جدة بسبب مخالفة الشريف غالب لسعود ، فقبل سعود بالصلح مع الشريف فتواجها في حرم مكة وتحالفا ، وصار الشرط بأن مكة تكون بيد الشريف ، فهو الوالي بهـــا وان يجعل سعود أحد القضاة لتعليم الدين في مكة ، وأن المسلمين يسارعون جدّة ويمنعون عنهـــا ، فقبل الشريف كل ذلـــك . قيل إنه دفع مالاً كثيراً لسعود خفية وكسا سعود ذلك الموسم الكعبة بالكيلاني الأسود [٣٠٠] وهو ما يصنع من غزل الصوف مثل هذه العباة التي تجلب من الاحساء .

– ٥ –

[أعمال جيوش محمد علي ضد الوهابيين]

وفي آخر ذلك العام تحركت الروم على أرض الحرمين ، وسيّر محمد علي باشه والي مصر عسكراً بمقدار أربعة آلاف رجل من الترك مع بعض المدافع والقنابر فوصلوا من طريق البحر إلى ينبع ، ففتحوها ، وكان لها قلعة متحصنة وفيها أناس من عرب جهينة وهم حكامها وملاكها . وقد تبعوا سعوداً وأطاعوا أمره لكنّ الروم غلبوا عليهم ، فأخذوا ينبع . وكان كبير [٣٠١] هذا العسكر تسم (١) باشه ابن محمد علي باشه الارنوصلي .

فلما استقر تسم باشه في ينبع أمر أن يبنى لها قلعة مضبوطة ، وخندق ، وجعل من الذخاير شيئاً كثيراً . وكتب لوالده يخبره بذلك ، فأرسل محمد علي باشه الى ابنه تسم باشه ، بأن هذه عساكرنا تأتيك من جهة البر ستة آلاف ، وتأتيك من جهة البحر مع آلات حرب وذخاير أربعة آلاف ، وهذه خزائن قد أرسلنا لك بها ، فما تراه صلاحاً من الحرب أو التأليف فافعل؛ لكنك [٣٠٢] اخرج الى المدينة فتولـّها قبل أن يحدث أمرٌ من جهة صاحب نجد . وكان تسم باشه — فيما ينقل — رجلا عاقلا مدبراً ، خرج الى المدينة المنوّرة لما استكمل عسكره كلّه ورتب في ينبع عسكراً ووالياً . حين وصل ديار جهينة البداة حارب بعضهم فخذلهم وبعض عاهدوه فألـّف قلوبهم . ثم أخذ منهم بعض

---

(١) طوسون باشا .

الناس للدليل ، فسار بقرب المدينة وعلى رأس فرسخين أقام هناك سبعة أيام ، لم يتعرض شيئاً ، حتى المترددين بالقوافـــل لم يمنعهم . [٣٠٣] وكان سعود قبل ذلك بأربعة أشهر قد بلغه مجيء الروم فحج بعجلة وأهدى إلى الشريف مـــالاً كثيراً ، وتواجه معـــه في مكة ، وجددوا العهود . وكان غرض سعود بهذه الهدايا والعهد الجديد مع الشريف غالب ، توطئة نفس الشريف على متابعتـه ، وأن لا يفتر بموافقة الروم . فالشريف قبل منه ذلك وكان محتالاً من الجانبين ، يريد انفراد نفسه عن الروم وعن متابعة سعود . ولكن ما أمكنه ذلـك فسار سعود إلى نحو المدينة [٣٠٤] وتسم باشه حينئذ في ينبع فرتب فيها ابراهيم بن عفيصان مع ثمانية آلاف مقاتل فسار بنفسه نحو نجد وبعد ذلك بشهرين مشى تسم باشه الى المدينة ؛ وهذه الوقايع أول سنة الثانية والعشرين من هذا القرن .

ثم ان تسم باشه حصر المدينة فضيق عليها اربعة ايام فقـال : لا أضيق على أهل بلدة الرسول ، بل أحمل على المخالفين فيها . فأمر بحفر النقم ، ولـما تم حمل على القلعة وقد هدم النقم جانباً منها فدخل عسكر [٣٠٥] الروم ، وكان بعد مضي نصف الليلة .

ثم ان ابن عفيصان تحصن مـــع ألفِ رَجُل من قومه في القلعة الصغيرة ، وحـين قَرُبَ الصباح ، ورأى ان المدافع تجر اليه ، استغنم الفرصة فخرج من المدينة هو واربعمائة فارس خاصة . وتشتت كل عسكره وقد قُتل منهم بقول النـــاقل الفا رجل . وأما أهل المدينة فلم يقتل منهم الا قدر أربعين او خمسين رجل التبسوا في عسكر سعود . فأقام تسم باشه في داخل المدينة و [٣٠٦] امر بخروج عسكره إلى خارجها على رأس ربع فرسخ مثلاً . ثم أمر بتعمير كل قبة خرّبها سعود ، فبنيت .

وكان في آخر سنة الثامنة والعشرين من هـذا القرن مصالحة بعض الطوائف [من] حرب مع تسم باشه ، حيث جاءوا كبارهم اليه بالهدايا ، من الخيل النجاب والابل فأعطـاهم مالاً كثيراً وكساهم بافخر كسوةٍ . وقد تعهدوا له ان يسيروا

كل غزوة من غزواته ، إلى أيّ موضع شاء من اطراف الحجـــاز ، التي تحت طــاعة سعود . فجعل يرسل بعض الترك [٣٠٧] مقدار الف رجل او الفين على بعض القوم المخالفين، فيغزوهم ويكون الظفر معه ؛ ولكنــه يأمر قومه بالحروب مع أهـــل المدن والقرى ، ولم يأمرهم بغزو البدو بعد ، لأنّ نظره التسلـّط في الملك أولاً . واذا فتح بلداً ، بنى فيها قلعة وحفر لها خندقاً ، وجعل فيها متاعاً كثيراً ، ورتـّب فيها عسكرا ، وجعل فيها مدافع .

ثم إنّ أهل الحجاز ، غير الشريف ، كتبوا لسعود يخبرونه أن الروم لم يكتفوا بأخذ المدينـــة ، وهذه حرب طاعة [٣٠٨] لهم ، وأنّ أكثر القرى أخذت من الحجاز . والظـّاهر أنّ الشريف غالب يكاتبهم سراً وقد ألـْفت بعض المراكب من السويس [إلى] جدة بمتاع كثير وآلة حرب . ولولا أن الشريف متابعهم لما فعلوا ذلك . وكان الشريف ، فيما ينقل ، أنه خائف من الروم، ولكنه لا يُحِبّ نصرة سعود عليهم . فإذا ضاق الفكر عليه ، أخذ يعامل هذا وهــذا كما قدمناه .

ولما وصل كتاب بعض رعايا الحجاز إلى سعود ، وعرف مضمونه خرج أول عام التاسع [٣٠٩] والعشرين من قرن الثالث عشر مريداً مواجهة عسكر الروم، والحج ، ومواجهة الشريف غالب ، ليحصل له غاية امر منه . فحشد عسكراً عظيماً ، واتفق معه حاج كثير من العرب والعجم وغيرهم . فسار أولاً إلى مكة حتى وصل مكاناً يقال له المناسل ، وفي الاصل اسمه وادي عقيق ، على مرحلتين من مكة ، شرّفها الله تعالى . سمع هناك بوصول تسم باشه بعسكره مكـّة وأن الشريف غالب وافق الروم . فتوقف هناك سبعة أيام وقد بعث أحد من قومــه مع كتاب [٣١٠] الى الشريف غالب يستأذنه بدخول الحرم، وأنه كيف خالف عهد امام المسلمين، يعني نفسه . فأجابه الشريف بأن دولة الروم قد غلبت علينا، وأن جدة استولوا عليها قهراً ، وأنا اليوم في أيديهم حتى أرى ما يصنع الله تعالى بعد ذلك . وأما أنت فإن شئت الحج ودخول الحرم ، فاقدم إليه ، فإن تمكنت أنا من المساعدة لك أساعدك وأمدك . فسار الى جبل عرفة للوقوف يوم التاسع .

فلما قرب منه على ميلين ، حقق [٣١١] ان عسكر الروم في الموقف ، فحينئذ أشعر تسم باشه أن سعود قد وصل بقرب منهم ، استعدّ لحربه غاية الإستعداد . وأرسل مقدمة من جيشه فالتقى عسكره مع تلك المقدمة . فوقع حرب عظيم وقد قتل خلق كثير من تلك المقدمة . وكان عددها ألفي رجل . فبلغ تسم باشه : إن مقدمة جيشك قد تلفت ، فالحق بهم قبل ان لا يبقى منهم احد . وكان ذلك الجيش الذي ارسله تسم باشه كبيرهم رستم أقا ، رجل من الأرنؤوط ، [٣٠٢] وكان محارباً ذا رأي . فلما غُلب اتخذ له مداراً في الجبل ، وأخذ يمنع نفوذ عسكر سعود من ذلك الطريق ، يرمي المدافع والقنبر حتى اشتدّ الحال على سعود .

ولما سمع سعود بمجيء عسكر الروم ، وأن الشريف معهم أيضاً بعسكره ، رجع من حيث أتى ، وكانت الحالة كذا بأن لم يحج احد ذلك العام لا من قوم سعود ولا من جماعة الروم ، حتى أهل مكة لم يحجوا لوقوع الخلاف ، واختباط الطرق .

وحين وصل سعود الى الدرعية مرض مرضاً شديداً [٣١٣] فبقي ستة أشهر ، قيل إنه استسقا ، وقيل إنه وجع المفاصل ، فطلبوا له الأطباء من العجم ومن العرب ، ممّن يعرف الطبابة فعالجوه ولم يفد شيئاً . وقد مات يوم الثلاثا لعشرة ايام مضت من شهر ربيع الأول سنة الثلاثين من هذا القرن . وقد دفن عند أبيه عبد العزيز .

وكان ولده الكبير عبدالله ، ولي عهده ، لم يكن حاضراً في الدرعية ، بل كان مع جيش قد أرسله أبوه الى ناحية المدينة المشرفة لحرب الروم ، الذين كانوا [٣١٤] هناك . ولم يبلغه الخبر إلا وقد رجع منكسراً فسمع بموت سعود في القصيم ، فألفى الدرعية بعجلة وقد استمر امره في الحكومة من غير مخالفة أحد له من أهل مملكته .

وحين سمعوا الروم بهذه القضية أي بموت سعود أرسل تسم باشه الى أبيه محمد علي باشا بفتوحه مكة ، وبعض حروب وقعت له مع سعود . وبموت سعود وتولية ابنه عبدالله بعده وان الشريف غالب ليس بصديق حقيقة . فركب محمد

علي باشه بثمانية [٣١٥] آلاف في مراكبـه من طريق البحر ، حتى أتى ينبع فنزل ودخل المدينة وزار النبي ﷺ ثم توجه الى مكة ، عظمها الله عز وجل ، وذلك في عام الثلاثين . ثم إن الشريف واجه محمد علي باشه ، ولم يزل محمد علي باشا يظهر المحبة له حتى مضت عشرة أيام .

أمر محمد علي باشه بقبض الشريف غالب واولاده بنين وبنات . فسيّره مع أهله الى مصر ، وولّى على مكة الشريف عبدالله ابن الشريف سرور . ولكن العمل والتسلط التام هو بيد محمد علي باشه مـا دام [٣١٦] هنـاك . وولّى على جدة رجلاً من الروم اسمه حسن باشه ، وهو الذي كان والياً فيهـا قبل ذلك بعشرين سنة ، أيام اطاعة الشرفا لدولة آل عثمان .

ثم إن محمد علي باشه ، بعـد الحج وترتيب بعض الأمور ، التي أراد ضبطها مع بعض القبائل ، خرج من أرض الحجاز يريد مصر بعجلة ، حيث أنه سمع بخروج المماليك في مصر وتغلبهم عليها ، وأن مصر مضطربة ، سار من ساعته مع ثمانية آلاف عسكري . ولما وصل مصر دبّر أمراً هلك به كثير [٣١٧] من المخالفين . وكان هذا أول شهر من شهور السنة واحـدة والثـلاثين من القرن الثالث عشر . ثم إنه خلّف ابنـــه تسم باشه في أرض العرب ، وأكد عليه بحرب آل سعود .

وحين سمع عبد الله بن سعود بمسير محمد علي باشه الى مصر وعرف انه انمـا رجع خوفاً على ذهاب ملكه حرّض أهل نجد على حرب تسم باشه . وفي شهر صفر بعد مضي شهر من سنة الواحدة والثلاثين من هذا القرن ركب عبدالله بن سعود [٣١٨] بعسكر عظيم يبلغ مماية وأربعين الفاً ، حشد فيه جميع الطوايف والاعراب والحضر وسار قاصد عسكر الروم ومراده الحملة عليهم إما أن يَغلب أو يُغلب . وكان عسكر الروم قدر عدده من الترك خاصة ، أربعة عشر الفاً ومن العرب عشرين الفاً من حرب خاصة ، لأنهم هم الذين وافقوا الروم من أول الأمر ، وبذلوا جهداً معهم . فالتقى العسكران بقرب تربة وكان يومئذ تربة

بيد عبدالله بن سعود وقد[٣١٩] همّوا الترك بتسخيرها فزحف عبدالله بعسكره على الأروام، ولم يهابوا الروم من زحفته هذه ، بل هم ثبتوا في مكانهم وتحصنوا بالمدارات ، وجعلوا المدفمة [1] في وجه عسكره ، وقــد رموا حينئذ بالمدافع العظيمة حتى امتنع من الهجوم وردّ ناكصاً ، فدخل القصيم .

ثم ان الروم اخذوا يغزون اطراف بعض البلاد التي لآل سعود من ملك الحجاز ، حتى اعجزوا خلقاً كثيراً وقد أطاعهم بعض عتيبة ، وفي سنةالواحدة والثلاثين[٣٢٠] بعد مضي ستة أشهر منها سار عبد الله بن سعود بعسكر جليل وقــد عقب مدينة الرسول ﷺ فأحاط من خلفها من جهة الشمال . ونزل على أطراف ينبع وكان هناك عسكر للروم ، قدر ثلاثة آلاف رجل ، وقد وقع له حرب فظفر بهم ، وأسّر منهم بعض الناس قدر مائتين رجل . وقد قتل من عسكره في تلك الواقعة أربعمائة رجل ، أهلكهم المدفع . ولما انقضى حربه مع هذا المسكر لم يرجع الى نجد بل [٣٢١] سار داخلا الحجاز ، حتى وصل أرض حرب فاتفق هناك عسكرٌ للروم مع رستم أقا ، وكان عدده سبعة آلاف رجل من الـترك ، وثمانية آلاف رجل من العرب . فاتفقا في وادي الصفرا فوقعت الغلبة على الروم . وكان يومئذ تسم باشه قد سار الى مصر بحكم أبيه ، حيث ان السلطان محمود خان طلبه من أبيه .

ولمـــا اشتهر أمر عبد الله بن سعود بهذين الفتحين ، مالت قلوب كثير من الأعراب من متابعــة الروم خوفاً [٣٢٢] بان الامر يرجع الى عبد الله بن سعود فيهلكهم .

وأما رستم أقا الأرنؤوطي ، فانه بعد ذلك دخل مكة ، عظمها الله تعالى ، وهم بتحصين بعض القلاع ، الـتي للروم في ملك الحجاز ، مثل المدينة ، وجدة ، والطائف ، وبعض الأماكن التي لم يُصرح باسمها. ولم يسيّر عسكراً بعد هـــذه

---

(١) يريد : المدفمية .

الواقعة الى اطراف آل سعود ، لأنه لم يكن مأموراً بالحرب إلا اذا ابتلي بالميلة عليه

لكنه كتب الى محمد علي باشه يخبره بذلك . فأرسل محمد علي باشه إبراهيم باشه ، [٣٢٣] ابنه الصغير ، أخا تسم باشه ، وهو رجل عاقل ذو تدبير وكمال. وأرسل معه ستة آلاف عسكرياً من الترك ، مزيداً على عسكره الذي في ارض العرب ، وفوض إليه دستوراً من العمل . فجاء ابراهيم باشه من مصر الى أرض العرب بطريق البر حتى وصل الى المدينة المنورة . فزار النبي ﷺ وسار الى مكة ، وكان ذلك في شهر ذي قعدة ، قبل تمام السنة الواحدة والثلاثين بشهرين.

واعلم أن عبد الله بن سعود ، لما غلب في تلك الوقايع الروم ، [٣٢٤] كان تسم باشه حاضراً لم يخرج بالعسكر ، بل كان في المدينة المنورة فأحب الصلح عبد الله بن سعود معه ، لأنه يعلم أن هذه الدولة ، أعني دولة الروم قوية ، وإن غلبهم في موضع أو موضعين . أرسل الى تسم باشه في مادة الصلح ، وأنه يعطي كذا كل سنة للدولة ، فقبل تسم باشه وكتبا العهد بينهما . ثم سار تسم باشه كما ذكرنا .

ولما وصل ابراهيم باشه الحجاز هيأ عسكراً قوياً واستعداداً تاماً . وكان بعض المترددين من التجار وغيرهم ، كالحجاج [٣٢٥] من أهل الدرعية ، وسائر نجد ، في مكة والمدينة ، لأنهم كانوا في الامان من الروم ؛ وراوي هذه الحكايات كان أميراً على الحاج حينئذ من طرف عبد الله بن سعود . فأرسل ابراهيم باشه الى جميع البلاد التي تحت تصرف الروم في ملك الحجاز بان اخرجوا كل من كان من أهل نجد ولا تتعرضوهم بسوء ، حتى يبلغوا مأمَنَهم ، يعني ملكهم وديارهم عملاً بالشرط الذي اشترطه تسم باشه .

قال الراوي : فخرجنا من مكة بعد الحج ، ولم نتمكن من الوصول [٣٢٦] الى المدينة ، خوفاً من الروم ، حيث نبّهوا على الحرب فجئنا قادمين الى نجد . ولما بلغ خبر ورود ابراهيم باشه ، الى ارض الحجاز ، وأن معه مزيد عسكر ،

أرهب عبد الله بن سعود ذلك ، فأرسل رسولاً اليه ، وبعض الهدايا والتحف . وكتب له : ان الحمد لله على قدومك بعد سير اخيك تسم باشه ، وانا قد فرحنا بذلك حيث لا نرضى إلاّ بمجاورة أمثالكم لنا . وهذا ان شاء الله الصلح ثابت والصداقة مؤكدة ، فالمرجو [٣٢٧] منك ان تسلك معنا سلك أخيك تسم باشه . ونحن الواجب علينا المراعاة والمحبة لك . فأجابه ابراهيم باشه قائلاً : ليس بيني وبينك إلا الحرب والعداوة الصريحة ، ولا أرجع عما أقول إلاّ بتسليم الملك الذي بيدك بالكلية وإرجاع جميع ما أخذه أبوك سعود من الخزانة النبوية ، وأن ارفعك الى حضرة مولانا السلطان محمود خان. هكذا أمرت ، فانظر ماذا تراه.

ثم إنّ رسول عبد الله [٣٢٨] بن سعود لما رجع اليه ، وقد عرّفه بالمضامين كلها ، وأخبره باستعداد ابراهيم باشه ، وبالقوم الذي معه ، وأنّ همة هذا الرجل غير همة أخيه تسم باشه ، وأنه شديد العداوة لهذا المذهب وأهله جداً ، فكثّر عبد الله في أمره وأخذ يجمع عسكراً ، ويكتب البلدان من نجد وغيرها أن هذا أمر آخر قد عرض للمسلمين ، بسبب مجيء ابراهيم باشه ، وأنه ليس كأخيه أو أبيه ، بل له عزم القتال بلا تأمل ، [٣٢٩] وأن الرأي أن نمشي عليه ، قبل أن يتوسط بنجد .

فجمع عسكراً كثيراً ، وسار على طريق القصيم ، حتى بلغ أرضاً يقال لها الخابورة ، في آخر القصيم بقرب الحناكية ، ثلاثة أيام ، من جهة الشرق ، شمالاً قليلاً ، وهناك صحراء ، وفيها مـــاء مجتمع من سيول الأمطار ، يكون طول نصف فرسخ تقريباً ، وكذا عرضه أنقص من ذلك ، وعمقه : مكاناً يبلغ باعين ، ومحلا اربعة أبوع . هكذا نقل لنا . فاتفق أن عسكر ابراهيم باشه ، كان هناك حول الماء ، وكانت [٣٣٠] هـــذه الواقعة في يوم الرابع عشر من شهر ربيع الثاني ، بعد مضي ثلاثة أشهر من السنة الثانية والثلاثين بعد المائتين والألف .

ولما وصل عبدالله بن سعود ذلك الموضع المذكور ، وكان هناك تلول رمـل عالية جداً ، وحينئذ أول فصل الصيف ، وقد اشتد العطش عليه وعلى قومه ، وضعفت خيلهم وركابهم بشدة السير والحرّ . وقـد وجد عسكر الروم بقرب

الماء ، ولم يكن ابراهيم باشه يومئذ حاضراً هناك ، بل غازياً [٣٣١] نحو بعض عُتَيبة الذين هم بديار القصيم تبعاً لعبد الله بن سعود . ولكن عبدالله لم يعلم بذلك . همّ عبدالله أولا بأن ينزل على طرف الماء ، فمانعته خيل الترك والعرب الذين معهم ، فعزم على الحرب في تلك الساعة ، حيث لا ملجأ له الا ذلك . فوقع الحرب بين العسكرين واشتد اللحام في البين من أول النهار الى قريب الزوال ، بحيث قتل من الطرفين خلق كثير . فانزاحت الروم عن طرف من الماء ، حيلةً منهم لا عجزاً . والسر في ذلك [٣٣٢] أن ابراهيم باشه قد سمع بمجيء عبدالله بن سعود الى هذه الناحية ، وأنه لا صدد له عن حرب الروم . فاستعجل ببعض المآرب ، واستلحق بعسكره ، خوفاً عليه . ولما قرب من تلك المواضع أرسل لكبير العسكر ، بأن هذا قد أتيتك ، فلا تخش . ولكن الرأي أن تأخذ طرفاً من الماء ، وتجعل للعدوّ طرفه . ثم إذا تبين عسكري ، احملْ عليهم من جانب ، وأنا أحمل من جانب آخر . ففعل كذلك ، وقد وقعت الغلبة على عبدالله ، فانهزم عسكره [٣٣٣] فبعض من معه أخذوا الطريق ونجوا ، وكثير منهم وجّه ناحية الرمل ، فهلك منهم كثير بسبب الحر لا سيا المشاة . وبعض من شدة العطش ألقوا أنفسهم بالماء ركباناً ومشاة ، خوفاً من أخذ طريق غيره ، وظنهم أن الروم لا تتبعهم في هذا الماء . فوقع كثير منهم بالغرق في الماء ، وبعض خرج منه الى الشاطىء الآخر واتبعهم الروم فأهلكوهم .

وحاصل الكلام أنه قد تلف من عسكر عبدالله بن سعود خلق كثير ، قيل مقدار [٣٣٤] سبعة آلاف رجل أو أكثر . وسار عبدالله الى بريده ولم تتبعه الروم ، بل لبثوا في مأمنهم شهراً كاملا . وأما عبدالله فإنه قال : الآن لا يمكنني الوصول الى الدرعية ، وقد شاع خبري بانكسار عسكري بهذه الواقعة . بل قال له حجيلان أيضاً : أيها الأمير اقم عندنا في القصيم ، فأنا خائف ان تنقلب عنا بعض العربان ، إذا سمعوا برجوعك الى الدرعية ، وان العدو قد ضايقنا ، وهو الآن قد دخل أرض نجد . فقال عبدالله : نعم [٣٣٥] الحال كذلك . فجمع حجيلان عسكراً من بلدته ، وقد اجتمع عنده عسكر كثير ، من أهل نجد .

فسار في اثنين وعشرين جمادى الأخرى الى أطراف القصيم من جانب القبـلة ، فوجد بعضاً من الروم ، قدر ألفي رجل ، قد بُني لهم هناك قلعة . فهمّ بقتالهم فتهيأوا لقتاله ، وكان بين هذه الأروام ، وبـين ابراهيم باشه ، مسافة يومين . فأرسل كبيرهم بأن هذا عبدالله بن سعود ، قد جمع عسكراً ، وأنه اليوم نزل علينا وبحول الله وقوته نقاتله [٣٣٦] يقيناً ولا نملكه القلعة ، وإن كنا أقـل عدداً. فلمّا سمع ابراهيم باشه بذلك، ركب بجموع عسكره فالتقى مع عبدالله ، في يوم الثاني من شهر رجب سنة الثانية والثلاثين من قرن الثالث عشر . فانكسر عبدالله بن سعود ، وقد قتل من قومه خلق كثير قيل إنها قتلة تذكر .

فانهزم عبدالله ودخل بريدة فأمر ابراهيم باشه بدخول نجد . فسار عسكره من هذا الموضع الذي وقع الحرب فيه الى [٣٣٧] بلد بريدة في ستة أيام ، وكان مسافة تسعة أيام . ثم إنـه أخبر بأن عبدالله بن سعود في بريدة ، ولم يقصد محاصرة عبدالله في بريدة لأمر بدا له ، لأنه أراد أن يتقدم على بريدة يخرج من كورة القصيم حتى يحول بينه وبين بقية نجد . ولم يخشَ جبل شمّر لأن أكثر أهله مع الروم ، بل قيل إن عسكراً منهم مع ابراهيم باشه . وجعـل ابراهيم باشه يسخّر بعض البلاد من القصيم ، حتى أخذ كثيراً من بلدانه . وكثير من [٣٣٨] أهل القصيم قاتله أشد قتال .

وعاقبة الأمر ، قد نقل آخرون ، يُعتَقَدُ بصحة خبرهم ، أن ابراهيم باشه ، بعد ما تحقق له أن عبد الله بن سعود دخل بريدة من بلاد القصيم ، لم يتوجه الى بريدة ، ولم يقصد دخول آخر القصيم من جانب الجنوب لأن هناك عساكر مرتبة لعبد الله في جميع تلك البلاد . لهذا يسير داخلاً الأول فالأول ، حتى بلغ الرّسّ وهي بلدة كبيرة كثيرة القرى والبساتين ، وفيها هناك أمير لعبد الله لم يذكر لنا [٣٣٩] اسمه ، وفيها قلاع محصنة . ففتحها ابراهيم باشه قهراً . وقد قتل من قوم عبد الله آل سعود حينئذ قدر ثلاثمائة رجل ، والرسّ واقعة عن بريدة قبلةً شمالاً بمسافة ثلاثة أيام . وقـد أرسل أهل الرسّ الى عبد الله يستمدونه بمزيد عسكر فأرسل لهم قدر أربعة آلاف رجل ، بين راكب وماشٍ فلم يصلوا إلاّ

وقد دخلت الروم الرسّ ، فرجع العسكر ، فأُخبر بهم ابراهيم باشه ، فأرسل أميراً من قبله بألفي مقاتل [٣٤٠] فنفذ منهم ، ولم يعلموا به ، فالتقيا واحتربا فانهزم عسكر عبد الله بن سعود .

ولما علم ابراهيم باشه بأن الفتح معه ، وجّه عسكراً آخر نحو بلاد من القصيم ، مما يلي بريدة من جهة الجنوب . ففتحوا بعض القرى ، وكانت هذه الوقايع في آخر شهر رمضان وهو شهر التاسع من سنة الثانية والثلاثين بعد المائتين وألف .

ثم تواترت الأخبار بأن عسكر ابراهيم باشه الى ذلك التاريخ في الرسّ وله عسكر آخر في جهة الجنوب من [٣٤١] القصيم على ثلاثة أيام من بريدة . هذا ما صحّ لنا من أخبار الروم وحربهم في أيام سلطة عبد الله وما انتهى حربهم هذا السنة الثانية والثلاثين من هذه القرن به ، وانتهينا كيفية حكومة عبد الله قدر ما تيسر لنا من الأخبار الصحيحة ، والله اعلم .

- ٦ -

استـــدراك

قـد ذكرنا فيما تقدم بيان حكومـــة محمد بن سعود وعبد العزيز بن محمد وسعود بن عبد العزيز، لكن قد وقع لنا اشتباه في بعض السير التي وقعت في أيام عبد العزيز [٣٤٢] وكذا في أيام دولة ابنه سعود . ولما زال الاشتباه عن بعض تلك المقدمـات بالجزم واليقين أردفنا كل قضية قضية بعد تمام فصول سلطنة آل سعود مطلقاً ، ثم نبهنا على تلك القضايا بعد ، وترجمنا عنها بالفصل الفلاني بكذا مثلاً ، وبالسنة الفلانية من حكومة فلان ، حتى يقف عليها المستمع ، وإن تأخرت عن محلها ، فهذا أقول :

- ٧ -

[حملة علي باشا الكخيا على الاحساء]

اعلم انه قد وقع حرب لباشة بغداد مع أطراف عبد العزيز(١) وهي الاحساء وكان ذلك في سنة الثانية عشر (٢) من قرن الثـــالث عشر ، والباشه على بغداد يومئذ سليمان باشه أبو أسعد باشه . فإنه جهّز عسكراً كثيراً من الترك والكرد وعرب الخزاعل وغـــيرهم ، قدر أربعين الفاً ، وجعَل مع العسكر مدفعة (٣) عظيمة ، وأمّرَ على ذلك الجيش علي باشه الكرجي (٤) . وكان اذاً أعز الناس عنده ، وقد زوّجه ابنته ، وجعله كخيا .

ففي الشهر السادس من تلك السنة ، خرج العسكر مريـــداً [٣٤٣] ناحية أطراف نجد ، لكن برجل ثقيلة ، وأسباب كثيرة ، وأمتعة عديدة لا تحصى . وكانوا حينئذ عرب المنتفق ليسوا محبّين لهذه السيرة ، وأرادوا الفرار عن طاعة علي باشه ، ولكن عزّ عليهم مفارقة العراق ؛ فأصحبه الشيخ حمود باثنتي عشر رجلاً من قومه . ولما وصل العسكر المذكور الى نهر عنتر(٥) ، سمع بذلك عبدالله

---

(١) هنا يجب ان يضع رقم صفحة ولكن الذي رقم الكتاب سها عنها .

(٢) .قرأ : السنة الثانية عشرة .

(٣) يريد : مدفعية .

(٣) نسبة الى بلاد الكرج أو جورجيا ، وكانت مصدراً من مصادر المماليك .

(٥) قرب البصرة .

أقا ، وكان إذ ذاك متسلم البصرة فانهزم منها، وركب بأحد خشب عتوب الكويت، خوفاً من علي باشه ، حيث أنّ [٣٤٤] بينهما عداوة في السابق من أيام ما كان صغيران [١] يخدمان في سراي الباشه . فأحجس عبد الله اقا في نفسه ، ولم يحب ملاقاته خوفاً منه .

وحين قرب علي باشه من البصرة ، على أربعة فراسخ ، أُنْبِيءَ بخبر عبد الله أقا ، فأرسل له أماناً وعهداً . فلما بلغ المهد عبد الله أقا ، رجع من وجه البحر المالح ، فجاءَ الى مخيم علي باشه بتحف كثيرة وهدايا عديدة ، وتضرع لديه ، فأُكرم غايةَ الإكرام . وكان عسكر علي باشه نازلاً بقرب الزبير ، [٣٤٥] لم يدخل البصرة منه أحد قط ، إلاّ أمَرَ علي باشه بضربه وإهانته ، لأنه يقول : الناس رعية في البصرة ، ودخول عسكرنا يشوّش عليهم فلا يُتقى [٢] ، وهو لا يحسن .

ثم إن علي باشه ، سار بعسكر من البصرة في شهر رجب وهو شهر السابع من سنة الثانية عشر [٣] من القرن الثالث عشر . ثم إنه لما وصل مكاناً يقال له بَلْبُول ، وهو جزيرة بقرب الكويت ، من جانب الجنوب ، على ثلاثة ايام من طريق البر أو أربعة أيام ، ولكن هي [٣٤٦] لها مقطع في الجزر ، يمكن ذهاب الدواب اليها والناس مُشاة وركباناً ، وفيها ماء معهود كثيرٌ جداً . وهي مما يلي القطيف من جانب الشمال على ستة أيام او سبعة أيام .

قال الراوي : ثم إنه كان أمرُ الروم هكذا ينقل لهم الطعام والمتاع من البصرة شيئاً لا يعدّ ولا يحصى ، وهو صحيح شاهدناه . ولقد استأجر عبدالله أقا متسلم البصرة ، مائتي سفينة من عتوب الكويت ، ومائتي سفينة من أهل أبي شهر وكنكون [٤] ، [٣٤٧] وكذا أهل البصرة ، وأهل ديلم . وجعل

---

(١) الصواب : كانا صغيرين .

(٢) غير معجمة في الأصل .

(٣) اقرأ : السنة الثانية عشرة .

(٤) على الساحل الإيراني من الخليج العربي .

ثمانيـــة مراكب من مراكب الدولة تسافر بالبندق والمدافع والبارود والرجال الذي مشاة [1]، إذ أراد ذلك كله عـــلي باشه . وكانت المراكب المذكورة تَسْرح [2] قبل ما يعسكر علي باشه ، هكذا شأنهم . وأمـــا الذين ينقلون الأجناس من الخشب المعهودة ، فإنهم مأمورين [3] أن يذهبوا به الى بلبول ، والى البحرين ، والى العجير [وهم] يومئذ محبين [4] للروم كأنهم من بني خالد .

فأقـــام في بلبول عشرة أيام أو اكثر [٣٤٨] قليلا . ثم سار بوجهه نحو الاحساء لأن رأيه أن يقبض الاحساء أولاً من يد عبد العزيز ، وهو ملك كثير الخير كالبصرة في كثرة الطعام والأشجار والأنهار . وفيه من الرُّنْز [5] شيء يكفي كل جزيرة العرب قاطبة ، ومن التمر كذلك . وكذا لم ينْبَسِط الملك لآل سعود حتى أخذوا الاحساء ، وهذا كل طائفة هلكت بالقحط من أطراف مملكة آل سعود يأمرهم بالذهاب الى الاحساء فترد حالهم في أقل الأيام . وليس ذلك إلا [٣٤٩] من بركة فيها ، وحاصل كثير ، وهو الذي دعا علي باشه أن لا يقصد الدرعية أولاً بل يسير الى الاحساء ، وكان أيضـــاً أهل الاحساء أعداء في الباطن مع آل سعود ، وهم رعايا الروم سابقاً لذلك كاتبوا علي باشه وأوعدوه انه يوصله [6] اليهم يخرجون كل من هو مُودّ [7] لآل سعود .

وكان لعبد العزيز في مداين الاحساء مقدار ستة آلاف مقاتل من أهـــل نجد خاصة ، وألفا مقاتل من أهل الاحساء وبني خالد . لكن هذا الجيش مفرق في اطراف [٣٥٠] بلادين الاحساء ، نعم في كوت الهفوف مقدار ثلاثـــة آلاف

---

(١) اقرأ : الذين هم مشاة أو « الرجال المشاة » .
(٢) في الأصل : تصرح .
(٣) الصواب : مأمورون .
(٤) الصواب : محبون .
(٥) الرنز : الأرز .
(٦) اقرأ : يوصوله .
(٧) يريد : ذو مودة .

رجل لأن المفوف هو المدينة الكبيرة في الاحساء ومثله المبرّز . وبين المُفوف والمبرّز مسافة ثمانيـة فراسخ ، وقيل ستة فراسخ والثاني أصح . وكان كوت المفوف محكماً بنيانه لأنه بنيان الروم ، وكان الرئيس الذي هو حـاكم على كل الإحساء وأميرها على الاطلاق ، ابراهيم بن عفيصان وكان رجلاً مدبراً ، وهو من أعزّ أمراء عبد العزيز .

فلما قرب علي باشه من ملك [٣٥١] الاحساء مـالت نحوه قبائل كثيرة من عرب بني خالد ، وأتاه اكابر اهل الاحساء من حكامهم القدماء وعلمائهم الأجلاء وعاهدوه ، فدخل الاحساء بغاية الجلالة من أهلها والاستبشار به . فدخـل أوّل [١] المبرّز وكان اهلها هم الذين يجاهدون في أمر الروم ، ويودون الظفر لهم بخلاف أهل المفوف ، فانهم معاهدون لآل سعود . وقد دخل دين عبد الوهاب في قلوبهـم فجذبت أنفسهم اليه أتمّ جذبة ــ ومنهم طائفتان [٣٥٢] كبيرتان احدهما [٢] اسمها السياسب والآخر [٣] آل ملحم .

ثم ان علي باشه بعد ما سخّر جميع بـلاد الاحساء ، ولم يبقى [٤] إلا كوت المفوف ، أرسل اليه عسكراً يحاربه ، فلم يدركوا منه شيئاً . فأرسل أخرى [٥] ولم يصنعوا ما أراد ، ركب هو بنفسه بجميع العسكر ، وحاصر المفوف وكان ذلك يوم الرابع والعشرين من شهر ذي الحجة الحرام آخر عـام الثاني عشر من قرن الثالث عشر . ولم يزل يرمي القلعة بالبندق والقنبر حتى أعجز أهلها وهدم [٣٥٣] من سورها جانبـاً . وكان أهلها ذوي بأس شديد ، فلم يمضي [٦] زمان من الليـل إلا وقد بنوا منه قدراً يحمي ، وكانوا يجعلون بعض حصر من خوص

---

(١) الصواب : أولاً .
(٢) الصواب : احداها .
(٣) والأخرى .
(٤) ولم يبقَ .
(٥) آخر .
(٦) صوابه : يمض .

النخل ، فيملونها تراباً ويوضعونها [١] مداراً لهم اذا لم يتمكنوا من البنيان .

فأمر علي باشه بحفر النقم واستعدّ لأخذ القلعة بالحملة الواحدة ، وهذا بعد ما طال الحصار هناك شهراً كاملاً . ولكن لم يبلغ مراده ، بل اختلّ أمره لما تم حفر النقم ؛ وكان سبب ذلك أنــــه [٣٥٤] كان في عسكر علي باشه كم نفر من البيقات[٢] ، مثل عبد العزيز بيق ، ومحمد بيق وصالح بيق ، وهم من أعيان أهل بغداد ، ولهم شأن عظيم وتسلطهم ، ومعهم قوم من أهل بغداد في إطاعتهم وأمرهم ، قيـل إنهم دُسّت اليهم بعض الهدايا من ابراهيم بن عفيصان ، وكذلك جاءتهم بعض الخطوط خفيــة من عبد العزيز ، وقـد بذل لهم مالاً كثيراً ، والشرط : أن توقفوا أمر علي باشه عمّا يريده منا ، وأن ترجعوا به الى بغداد .

كذلك [٣٥٥] دسّ شيئاً الى شيـخ المنتفق حمود أيضاً . فكتبوا اليه بأن الأمر يأتي على وفق خاطرك ، ولم تزل المكاتبات من الجانبين تتواتر ، حتى اطلع على ذلك علي باشه . فطلب عبد العزيز بيق وبقية البيقات ، وقال لهم : كذا وكذا فعلكم . قالوا جميعاً : حاشا لله . لا تتوهم . فقال : أتحلفون لي بالقرآن ؟ فقـــال عبد العزيز بيـق : لا حلف بين الرئيس وتوابعه . ما هذا إلا تحكّم لا ينبغي. هذا أنا مع جمعي أمشي على القلعة الساعة ، الساعة . فقام من [٣٥٦] المجلس ، وقد اضطرب العسكر كله ، حيث لا يدرون ما هذه المشية ، كلّ جمع سار بالانفراد . فحمـل عبد العزيز بيق مع جمعه ، وكانوا قدر عشرة آلاف ، حتى وصل بقرب القلعة ، وكان بينه وبين أهل القلعة علامات ، فعرفوه بهـــا ورُدّ منكسراً ، وهو فعـل ذلك تورية . فصاح الناس كل واحد من جانب ، فجاءت الكرد ، وكانوا هم زبدة عسكر علي باشه ، يبلغ عددهم اثني عشر ألفاً ، فقـــالوا لعلي باشه : مُرنا حتى نقاتل كل هذه الجموع [٣٥٧] المختلفة عليك ، فقال : حتى أرى بعد ذلك .

---

(١) صوابه : ويضعونها .

(٢) جمع بيك ، وهو لقب تركيّ دون الباشا .

وقد وافق حمود المنتفقي البيقات ، وظهرت خيانة هؤلاء ، فخاف علي باشه من احتياط العسكر ، فهمّ بالمسير الى نحو العراق . فلما وصل مقابلة القطيف ، على موضع فيه أبيار ماء لبني خالد ، رأى هناك عسكراً من عساكر عبد العزيز ، على الماء . وذلك العسكر يبلغ عدده خمسة عشر الفاً . وكان كبيرهم اذاً سعود بن عبد العزيز . فجاء الاكراد الى علي باشه وقالوا : ذلك اليوم قلنا لك إن هؤلاء [٣٥٨] البيقات والمنتفق مردة ، أهل خيانة فلنحمل عليهم فمنعتنا عن ذلك . واليوم هذا عسكر عبد العزيز على الماء ، وهم يهمّون بمحاربتنا فلنقاتلهم ؛ وسيبينُ لك صدق حديثنا السابق . فأمرهم بالقتال . فاستعدت الكرد لقتال سعود وتهيأ سعود لقتالهم . وأمر علي باشه المنتفق والبيقات بالقتال مع سعود ، فقاتلوه رياءً وسمعة ، لا عن قلب صادق . وقتل ذلك اليوم ولد حمود ، خالد ، وكان من أحبّ أولاد حمود عنده . ثم في أثناء القتال [٣٥٩] وقعت الرسل تتواتر بين العسكرين ، فانحاز عسكر المنتفق الى جهة ، والبيقات الى جهة أخرى ، ولم يبق إلا الأكراد ، أرسل لهم علي باشه بأن كفّوا عن القتال فاكتفوا . فقال علي باشه لعبد العزيز بيق : ما هذا الصلح الذي وقع بينك وبين سعود ؟ فقال : اسأل شيخ المنتفق به . والله إني لأرى القتال معه اليوم واجباً ؛ لكن لما رأيت أن شيخ المنتفق مائلاً[1] الى الصلح ، مع أنّ ولده الأعزّ [٣٦٠] قد قُتل ، عرفت أن القتال مع هذا الجمع اليوم غير صالح . وكان عبد العزيز بيق كاذباً في حلفه ، فأسرّ الأمرَ علي باشه في نفسه ، ولم يبده أصلاً . فأرسل الى حمود قائلاً : ما هذا النفاق ؟ هل هي خيانة ام أمانة ؟ فأجابه : إنّ هذه مصلحة . ولا شك أني لا أرضى بقتل طائفتي اليوم ، يعني المنتفق ، وإني لأرى النصر من جانب سعود ، وقومنا عطاشا ، ولكن اصنع بعد ذلك ما تريد . فإن [٣٦١] كان ترى الصلح خيراً ، حتى نسعى في تتميمه وإن رأيتَ الحربَ خيراً فأنت وهو ، هذا طريقنا لا نعود له . فلما عرف علي باشه منهم ما عرفه ، قال لحمود : لا بأس بما صنعت ، لكن قرر لنا معهم صلحاً يكون بشروط وعهود

---

(١) الأصوب : مائل .

حتى لا يلحقنا لوم وركاكة . فاشترطْ عليهم أن لا يتعرضوا أطرافنا من العراق والبصرة ، وأن يُرجعوا علينا بعض الخروج التي أصرفناها في هذه المدة. فأرسل حمود واحداً من معتمديه الى سعود [٣٦٢] وقال الرأي كذا و كذا . دع الصلح، يجري هذا اليوم ، ولو كان ببعض دفع المال .

فقبل سعود ذلك لمصلحة ، وصار الضامن بدفع المال الشيخ حمود . وقبل سعود أيضاً أن لا يتعرض أطراف رعايا أهل بغداد ، لكن استثنى [١] علي باشه بأن يعرض هذا الصلح على نظر الوزير سليمان باشه ، فقبلا معاً ، وتنحى عسكر سعود عن بعض ميـاه ، فوردها علي باشه ؛ فجاءت إليه الكرد قائلين : اليوم انقُضْ العهد ، ودعنا نقاتل كل هؤلاء [٣٦٣] فإننا قد روينا من المـاء ، وهو بيدنا . قال : لا يمكن ذلك بعد القول بالمصالحة . فسار الى بلبول ، وأقام هناك أياماً قلائل ، قيل عشرة أيام ، وقيل اربعة أيام ، والثاني أصح رواية .

وقد خلف في الإحساء اجناساً من الحنطة والشعير والرز ، شيئاً لا يحصى . قيل إن ابراهيم بن عفيصان تولـّى عليه بأمر عبد العزيز ، بعد ما انتهب منه كثير . فأخذ يصرفه بالقيمة ؛ فبلغت قيمة مائتي ألف ذهب .

وكان في العجير كذلك ذخاير عديدة ، [٣٦٤] قد بقت [٢] هناك من الخيام والبارود والرصاص والمتاع فتولـّى [٣] عليها أهل السّفرة الذين كانوا هنـاك ، من العتوب وغيرهم ، والبقيّة تولـّى عليها سعود . وكذلك بقي من الذخائر شيء عديد في البحرين ، بحيث ظلّ أهل البحرين يحملون الى بيوتهم منه ، حتى إنهم استغنوا ثلاث سنين ، لم يحتاجوا الى جنس من الخارج . وأما المراكب التي كانت للدولة في العجير ، فحملت كل ما تمكنت من حمله ، مثل مدافع ورصاص [٣٦٥] وبارود ، وكذا عسكراً من الإحساء وبعض رعـايا الإحساء الذين خافوا على

---

(١) غير منقوطة في الأصل .

(٢) اقرأ : بقيت .

(٣) يريد : فاستولى .

أنفسهم ، فراراً من القتل والانتقام بعد ذلك ؛ وأتوا الى جزيرة بلبلول ، فأمرهم علي باشه بالمسير رأساً الى البصرة ، وقد ركب هو من بلبلول في يوم العاشر من شهر ربيع الثاني سنة ألف ومائتين وثلاث عشرة ، فتوجه الى البصرة ، حتى وصل الجهرة . فأقام فيها يومين ، ووجد جماعة من ركبان أهل الدرعية يريدون الكويت ، وقد خرجوا من الدّرعية لما سمعوا [٣٦٦] بالصلح ، فلم يغنمهم ، ولم يتعرضهم بسوء .

ولما وصل البصرة ، لم يدخلها ، بل أقام في الزّبير خارج البلد ، سبعة أيام . وسار من تلك الديار بعجلة ، حين بلغه خبر من سليمان باشه ، بأن عجّل . فانفرد عنه حمود حينئذ ، فقال لحمود : سر معنا الى بغداد لمواجهة الوزير . قال : ما يمكنني ، وتعلل بالمرض خائفاً من أن يدخل بغداد . ولما وصل العرجاء قتل عبد العزيز بيق ، وصالح بيق ، وسليمان بيق ، في خيمته بأمر قد أسرّه الوزير سليمان باشه . [٣٦٧] وأما محمد بيق ، فلم يقتله لأنه لما سمع بقتل هؤلاء ، انهزم الى الشطّ ، فركب سفينة وانحدر الى المنتفق ، وكانوا في نهر عمر قريباً من البصرة من جانب الشمال بثمانية فراسخ .

وفي اليوم السابع عشر من شهر ربيع الثاني من هذه السنة المذكورة دخل بغداد بأمر الوزير . وقد قتل ذلك اليوم سبعة وأربعين رجلاً من كبار البغداديين ، من البيقات ، لأنهم أهل الفتنة . وهم أهل بغداد القدماء الذين يدّعون أن ملك [٣٦٨] بغداد لهم ، وكانت الوزارة فيهم قبل ذلك بثلاثين سنة . والحاصل أن سليمان باشه أمر بقتل كثير من البيقات بعد ذلك ، حتى قتل منهم مقدار ثلاثمائة رجل .

ثم إن الصلح لم يستقر بين عبد العزيز وسليمان باشه ، إلا سنة ، ثم انتقض والله أعلم .

- ٨ -

فصل [في حرب سعود بن عبد العزيز مع أهل تهامة اليمن وغيرهم]

قد وقع في أيام دولة سعود بن عبد العزيز بعض محاربة مع أهل تهامة اليمن من عسير وغيرهم كأبي شمار وهو الشريف حمود ، صاحب أبي عَريش . وكان السبب في ذلك أنه [٣٦٩] في سنة الثانية والعشرين من قرن الثالث عشر ورد وفدٌ من عسير على سعود في الدرعية ، وأتوه ببعض هدايا والتمسوا منه البيعة والعهد فقبلهم ، وعاهدوه على دينه . فأرسل معهم أربعة علماء من أهل الدّرعية يعلمونهم أمور الدين أصولاً وفروعاً . فلما وصلوا الى ديار عسير ، (عسير هذه قبيلة كبيرة تنزل بين تهامة الحجاز وتهامة اليمن ، بل ربما بعضهم ينزل أطراف نجد مما يلي اليمن ، وكان ذلك [٣٧٠] في ما سلف . وأما حين تولى آل سعود على مملكة نجد ، فإن جميع القبائل التي لم تُطِعْ من الحجاز واليمن وتهامة قصّرت أيديهم عن الدخول في أرض نجد ، بل ربما غُزُوا في مساكنهم كما مر لك بيانه ، وهذه عسير طوايف وعشائر ، والكل بداة) فحين وصل الوفد المذكور مع العلماء الى إحدى تلك العشائر ، تقبلوهم بالقبول ، وأخذوا الدين عن يقين . فسمع بقية طوائف عسير بذلك ، فأنكروا عليهم وأخذوا يتقاتلون والظفر يقع من جانب القوم [٣٧١] الذين تابعوا سعود ، فازدادوا اعتقاداً كلما رأوا النصر ، حتى إن البقية من عسير دخلوا في الطاعة لسعود بغير حرب منه .

فقال لهم في سنة الرابعة والعشرين من قرن الثالث عشر : أريد منكم يا

جماعة عسير بعد ما منّ الله عليكم باتباع هذا الدين المبارك ، ان تتعرضوا الشريف حمود ، وأن تؤذوه وأن تدخلوا أرضه قهراً حتى تقودوه إلى الطاعة . وكان هذا الحكم مما يشق على عسير كأن محاربة الشريف حمود لا يرضون بها إلا [٣٧٢] عن كره وجبْر ، حيث أن أكثر كيلهم الطعام من عند الشريف حمود ، وكثيراً ما يسلفهم ويعطيهم . وأيضاً الشريف حمود هو بو مسمار ، سمّوه العرب الذين في دياره ومن حاذاهم ، كأنه مسمار في كبد الأعداء لشجاعته وحزمه . وعنده من أولاد عمه خاصة من الشرفاء الحسيني [١] أربعة آلاف مقاتل ، كل واحد شجاع لا يقاس ، ومدبّر للحروب ذو بأس .

ولكن لما الزم عليهم سعود ذلك قبلوا ما أمرهم به . فكتبوا [٣٧٣] للشريف حمود أولاً إن هذا دين الله الذي منّ علينا به ، فقد قبلناه وأنت أولى بنصيحتنا من غيرك ، فإن قبلته ، فأنت مكرم محبوب عند الله وعندنا ، ولم تزل في سلطانك هذا ، وإنْ لم تقبله فالطاعة لله ولإمام المسلمين . هذا ونقاتلك ونحن موعودون بالنصرة بلا ريب .

فلما بلغ كتاب عسير الى الشريف حمود أحضر كبار جماعته وقال : ما ترون من الرأي في ردّ الجواب ؟ قال بعض : لا جوابَ لهم ، وإنما نغزوهم [٢] في ديارهم . [٣٧٤] وقال الآخر : لا نغزوهم ولا نخرجُ من أرضنا ، بل نمنع القوافل المترددة منا ومنهم ، عن أرضنا اليوم . وقال بعضهم : بل الصلاحُ هو [أن] نمشي عليهم دفعة واحدة ، فنهلكهم ، أو يهلكونا ، لأنهم لما صدقوا في مقالهم مع سعود ولم [. . .] [٣] بالمجاورة ، وليس أقرب منهم أحد لنا ، وهم قوم عديدة [٤] . فقال الشريف حمود : كل هذا ليس بصواب ، بل الصواب أنهم مهما ابتدونا بالحرب نبتديهم بها .

---

(١) يريد : الحسينيين .
(٢) في الأصل : نغزيهم .
(٣) بياض في الأصل .
(٤) عديدون .

فكتب لهم جواباً يقول فيه : لا يخفى على عسير كلها ، أنتم تعرفوننا أنا اناس [٣٧٥] شرف ومُلك ولا نخشى من أحد ، إلا الله . وقولكم لنا بأن نُطيع هذا الدين ، الذي عليه سعود وأنتم كذلك ، فإن هذا دين ليس مرضياً عند الله . والغاية أن كل ما أراد الله لنا معكم ، فهو يقع . فكونوا على حَذَر منا . فجعلت عسير تغزو على ملكه ، وتنهب وتقتل ، كل من ظفرت به ، كذلك جعل هو يغزو عليهم وينهب ويقتل حتى كثر الفساد حتى صارت السنة الخامسة والعشرون فمدّ سعود قوم عسير بشيء من عساكر نجد ، فجعلوا يمشون بعسكر قوي . وضعفت قوة الشريف [٣٧٦] حمود عن مدافعتهم .

وكان يومئذ من جملة تدابير سعود انه كاتب المنصور إمام صنعاء ، وأخذ يرغّبه في حرب الشريف حمود ، ويوعده بالنصرة له . وكان إمام صنعاء يحبّ ذلك إلا أنه خائف أن يتحركَ بحرب الشريف حمود ، فيميل(١) سعود بعسكره على أرض اليمن . لكن ، لما كتب له سعود بذلك ، وحلَف له أنه لا يتعرض ملكه بسوء ، همّ إمامُ صنعاء على حرب الشريف حمود ، لأن الملكَ الذي بيده كله من تهامة اليمن ، وهو يتبع إمام صنعاء . وإنما مُلْكُ [٣٧٧] الشرفا تهامة الحجاز ، لكن تغلّب الشريف حمود على المنصور فأخذ هذا الملك ، وجعله مأوى لبني عمه ، فتسلّط أتمّ تسلط .

ولما مشى الإمام من صنعاء بنفسه ، ونهب بلادين كثيرة من ملك الشريف حمود ، ورجع عن طاعة هذا الشريف خلق كثير من البداة والحضر ، ومالوا لمتابعة إمام صنعاء بعض ، وبعض أطاعوا سعود ، أرسل الشريف حمود حينئذ، أربعة رجال من بني عمه مع بعض الهدايا الى سعود ، وهو يومئذ في مكة ، شرفها الله تعالى ، [٣٧٨] حاجاً ، وكتب معهم كتاب العهد والأمان ، وأظهر

---

(١) في الأصل : فميل .

الطاعة ، قبل ذلك سعود منه وأكرم رُسُلَه وكتب جوابه : بأن الآن قد عفا الله عما مضى ، وقد جعلتك أميراً على تلك النواحي ، فجاهد في سبيل الله ، وخصمك خصمنا ، وصديقك صديقنا . وإنما فعل ذلك ، لأنه يعتقد يقيناً أن الشريف حمود ليس بعاجز عن الحرب ، ولو بقي في أبي عريش وحده ، كما ذكرنا من همته وشجاعته ، فقال في نفسه : إنه اليوم انقاد لنا فلا ينبغي [٣٧٩] إلا عِزّهُ . وإذا عرف منا هذه الحالة أولاً ، رغب في الطاعة ، ودبّر لنا تسخير بعض اليمن . وهذا هو الذي دعا إمام صنعاء على حرب سعود بعد الصلح المعهود .

وكان الشريف حمود مع سعود مُصافياً وجعل يأخذ شيئاً من ملك إمام صنعاء مثل الحديدة وبيت الفقيه وزبيد . وكلما حَصّل من المال من زكوات وغنائم ، أرسل له الخمس من الغنائم ، والزكاة يبعثها بأجمعها . فقال سعود : أريد أن أرسل رسلاً [٣٨٠] مني اليك لتجعلهم ضبّاطاً على الحديدة وبيت الفقيه وزبيد ، حيث أني لا أئتمن أهلها بما يقولون به من الزكاة . وإني قد بلغني أنهم يأخذون العشر على أموال التجار . لا بأس ، هؤلاء التجار ، فيما يبلغنا ، إنهم يترددون من أطراف بلاد المشركين من الهند ونحوها ، فيحل أخذ العشر منهم ، ولكن العشر لإمام المسلمين يجعله بيتَ مالٍ . فالحاصل أن قلبي قد داخله شكٌ من أهل هذه البلادين ، فهذه جماعة منا تصل اليك ، [٣٨١] فلتمشِ كل أربعة من أولئك الى إحدى تلك البلادين الثلاثة .

ولما عرف الشريف حمود أن مرادَ سعود هو التسلط التام في هذا الملك ، والاطلاع على حقيقة الحال منه ، أضمر ذلك في نفسه ، إذ لا يمكنه حينئذ المخالفة ، حتى حان مجيء الروم في الحجاز فجعل الشريف حمود يكاتبهم ، ويحرّضهم على حرب سعود ويوعدهم بالطاعة والنصرة (١) . فأخبرَ سعود

---

(١) في الأصل : ونصرة .

بذلك ، فأرسل اليه يهدده ، فضرب الشريف حمود [٣٨٢] رؤوس الرسل ، الذين أرسلهم سعود اليه ، بالتخويف والتنكيل . وأخّر كلّ من كان لسعود من الضباط والعلماء في زبيد وبيت الفقيه والحديدة ، وصرّح بالعداوة مع سعود . ولم يزل محارباً لآل سعود وحامياً للروم الى سنة الثانية والثلاثين من هذا القرن . هكذا تحقق عندنا ، والله ولي العلم .

— ٩ —

فصل في بيان ما وقع من الفتن من الأنقريز [١] مع أهل رأس الخيمة وتوابعهم أيام دولة سعود بن عبد العزيز

اعلم انه [٣٨٣] في سنة ثالثة والعشرين من القرن الثالث عشر ، قد تعرض القواسم ، أهل رأس الخيمة ، مركباً لرعايا الأنقريز ، يقال له مركبُ اليهودي؛ فحاربهم وحاربوه حتى إنهم ظفروا به ، فقتلوا من قتلوا ، وأسروا البعض الآخر . وكان مجيء هذا المركب من أرض الهند من بلاد بني [٢] . فبلغ الخبر للانقريز في بني . فجهّزوا لحرب القواسم قدر عشرة مراكب ، وفيها ألف وخمساية عسكري وهذا بعد مضي سبعة أشهر من سنة الثلاث والعشرين [٣٨٤] بعد ما أخذ مركب اليهودي بخمسة أشهر ، فجاءت المراكب أولاً الى مسقط . وقد فرح بهم سعيد بن سلطان حاكم مسقط ، فأرسل معهم بعض [٣] من آخشابه وقدر [٣] من جماعته . ولما مضى الشهر التاسع من السنة المذكورة ، وصلوا رأس الخيمة فبيّتوا [٤] عليهم ، وأهل رأس الخيمة أولاً لا يعلمون ما هذه المراكب . لكن بعد قليل تشخص عندهم أنها مراكب الانقريز وأن فيهم عسكراً وأنهم

---

(١) الانجليز .

(٢) بومباي ، حيث أسس الانجليز في تلك المدينة ونواحيها ما كان يعرف آنذاك بحكومة بومباي الانجليزية .

(٣) صوابه : بعضاً ... وقدراً .

(٤) باتوا أو ظهروا بجلاء ووضوح .

مريدون حرب رأس الخيمة وتخريبها ، حيث أنهم عالمون بجنايتهم [٣٨٥] وما صدر منهم مع هؤلاء القوم . فلم يهتموا أهـــل رأس الخيمة بحرب الانقريز في البحر، بل اكتفوا بحفظ أنفسهم في نفس البلد . ولم يفدهم ذلك شيئاً لأن الانقريز نزلوا عليهم ، وكان نزولهم عند الصباح ، من مكان يقال له سدروه بالجانب الشمال قبـــلةً عن رأس الخيمة بقدر مرمى بندقة بندوق . فأوّل وهلةٍ التقى الانقريز بعض الناس مسلّحين ، ولمــا رمى الانقريز بعض البنادق ، لم يبقَ في تلك الساحة أحد من القواسم . فدخل الانقريز [٣٨٦] البلد ، وقد تعرض بعض القواسم للحرب في بيوتهم ، ولــكن لم يفدهم شيء ، وإنما ظفروا بهم الانقريز . الحاصل أن رأس الخيمة سلّمت بقدر حرب ساعةٍ ، أو أقل ، فانهزم أكثر أهليها الى خارج البلد ، وضربوا النخيل . وبعض بقي في البلد ، أخذوا الأمــان من الانقريز ، وبعد الأمان لم يغدروا بهم ، إذ ليس ذلك من عوايدهم قط [1] . ثم إن الانقريز خرّبوا كثيراً من البيوت ، التي حوصر بعض الناس فيها بالمدفع ، وحرقوا كل ما حصّلوه من الخشب ، ونهبوا [٣٨٧] كل ما تناولوه من النقود ، أو غيرها . ولم يكن لهم حكم مقرّر من حاكمهم على تخريب البلد رأساً وقلعهـا من محلّـها ، ولا على السّكنى فيها وضبطها وتعميرها بل أنبأ وأعلمَ كلّ أحدٍ الرئيسُ الذي كان في ذلك العسكر ، بأن قصدنا معكم أيها القواسم كليةً حرق أخشابكم أجمع .

أما رأس الخيمـــة ، فأحرق الانقريز بأيديهم كلّ ما كان فيها من الخشب والحطب [2] ؛ ثم ساروا الى بلد الشارجة [3] وهي من تبعة رأس الخيمة ؛ وحين

---

(١) هذا تقريظ عجيب واطراء لسلوك الانجليز آنذاك مع عرب الخليج ، ولعلّ السبب أنه حتى ذلك الحين كانت التجـــارة هي أهم ما يشغل بال الانجليز في الخليـــج ، علماً بأن بونابرت (نابليون) كان قد احتل مصر في آخر القرن الثامن عشر وبذلك الاحتلال بدأت سياسة بريطانيا في الخليج تتغير .

(٢) الخشب هي السفن كما مرّ بنا ، وأما الحطب فالأخشاب اللازمة لصناعة تلك السفن .

(٣) هي الشارقة وقد مرّ بنا قلب القاف جيماً في لهجة أهل شرقي الجزيرة .

سمع أهل الشارجة بأمرهم [٣٨٨] مع أهل رأس الخيمة ، أرسلوا لرئيس الانقريز حين بيّنت المراكب عليهم أن كلّ ما تريد منا نفعل . فأمرهم بحرق أخشابهم ، فحرقوها كلها ، وهم يرون ، لا شك بذلك . نعم أهل جزيرة الحمراء أخفوا بعضاً من زواريقهم ، وهي سفن صغار جداً ، ذهبوا بها الى أطراف خيران بني ياس ، والانقريز لم يعلموا بذلك . ولما جاءت مراكب الانقريز الى جزيرة الحمراء ، فقالوا أهل الجزيرة : هذا نحن أيضاً نحرق خشبنا بالكلية ، وأنتم تشاهدون . فأحرقوا [٣٨٩] خشبهم بأيديهم حسب حكم الانقريز .

ثم إنّ الانقريز عبروا من أرض الصير الى جهة برّ فارس حيث أنهم علموا أن هناك بلدين للقواسم ، طائفة ورعيّة ، أحدهما اللنجة والأخرى مقوه . ولما وصلوا اللنجة ، وكان فيها اذاً قدرُ عشرين بغلة وداواً ، وقدر ستين بتيلاً [١] ، فكلّها خربوها بالمدفع والحرق بالبارود . ثم ذهبوا الى مقوه وحرقوا كل أخشابهم جملةً . وبعد هذا كله أنبئوا أن بلداً للقواسم ، وهي لم يصلوها ، اسمها شناس ، وهي في ملك عمان ، قريباً من خور فكان . [٣٩٠] فسار الانقريز إليها ، وكانت القلعة هناك بعيدة عن البحر ، ولكن لها خوراً صغيراً يصل من البحر الكبير الى البلد ، وعند أهل شناس خشب صغار جداً ، فأدخلوها في ذلك الخور ، حتى أوصلوها الى جنب القلعة . فأرسل لهم رئيس الانقريز بأنْ أحرقوا هذه الاخشاب التي عندكم ، أو تنزحوا عنها نحرقها بأيدينا . فأجابوا بالمنع من الأمرين . فاشتدت الحربُ عليهم ، وقد نزت [٢] الانقريز للحملة على البلد ، فرموها بالقنبر والمدفع ، وحملوا عليها [٣٩١] فدخلوها لكنّهم لم يقتلوا أحداً من أهلها بعد الفتح ، لأنهم ليسوا مأمورين بغير الحرق .

هذا وقد تمّ بحمد الله تعالى ما أردنا ذكره في هذه الرسالة من أخبار آل سعود حسب القصص ، ولنشرع في تحديد ملك نجد على قدر ما تيسر لنا والله المستعان .

---

(١) الداو والبغلة والبتيل أنواع من السفن .
(٢) كذا في الاصل .

- ١٠ -

فصل في بيان حدود ملك نجد وذكر أسماء بعض البلاد المشهورة فيه

أخبرنا رجل ثقة من أهل الدرعية قد رأى تلك البلادين عياناً فقال : اعلم ان أول نجد وحدّها من جانب الشمال [٣٩٢] جبلا طيّ وهما المسمّيان سَلْمَى وأجا ، وهما يشتملان على بقعة واسعة مسافة خمس مراحل من سير العرب ، وهي ممشى يوم كامل بسير الذّلول والمطيّة . وقد حُدّ تقريباً من الراوي باثني عشر فرسخاً . وهذه الأرض مستوية طولاً وعرضاً .

وشمال هذه الارض وقع رمل عالج متصلاً بالدهناء ، وهي رمل يقع شرقي اليمامة ، على ثلاث مراحل ، لكنها تمد من نجد أيضاً .

وباقي بلادين طيّ من المشاهير حائل ، وفيها سكن قبيلة شمّر الحضر والبدو وفيها [٣٩٣] مدينة أخرى تسمى القفار ، وهي عن الحايل بمرحلتين من جهة شمال شرقاً قليلاً . وفيها بلد موقق وهي عن قفار بيوم من جهة القبلة ، وأخرى بلد المستجدّة ، وهي على ثلاثة مراحل عن الحايل من جهة الجنوب قليلاً مائلاً الى القبلة ؛ وغير ذلك من القرى التي لم يشتهر اسمها .

وأرض طيّ هذه كثيرة الخير من المزارع ، والفواكه . لذلك تسمى عند أهل نجد قاطبة شام نجد . وبين هذه الأرض وبين طريق الحاج الوارد على المدينة المشرفة ، خمسة أيام ، [٣٩٤] تقع عنه شرقاً ، قليلاً الى جهة الشمال . وهذه المسافة مفازة لا غير .

ثم اعلم انه يلي أرض طيّ من جانب الشمال على خمسة أيام ، بـلدة تسمى دومة الجندل ، وهي بلد أكيدر الجاهلي . ويقال لها اليوم جوف آل عمرو ، وليست هي من نجد . وبين أرض طي وبين بغداد ثلاث عشرة مرحلة ، وبينها أيضاً وبين دمشق الشام خمس عشرة مرحلة . وعرض رمـل عالج أربعة أيام لم يوجد فيه ماء قط . والأرض التي بين بغـداد ، وبين أرض طيّ تسمى الحجر وهي أرض صمّاء [٣٩٥] ليس فيها ماء سوى المصانع والغداير التي عملتها زبيدة امرأة الرشيد العباسي .

وأما بلدة تيماء [١] المعروفة ، واقعـة بقرب الأرض التي بين أرض طيّ ، وطريق الحاج الشامي الوارد على المدينة . فهي عن بلد حايل من طيّ بأربعـة أيام ، وعن الطريق المذكور بيوم . خاصة وتيماء هذه بلد السموأل ، صاحب القصيدة الغراء . كان قبل بعثة النبي ﷺ بستيّنات قليلة .

وغرب أرض طيّ أرض خيبر وفدك ، وهما عن أرض طيّ بستة أيام مغرباً . واعـلم أن في [٣٩٦] حدود أرض طيّ مما يلي جهة الجنوب ، كورة ثانية من نجد تسمى القصيم . وهي تحتوي على بلدان كثيرة منها مدينتان كبيرتان جداً : عنيزة وبريدة . وكذا من مشاهيرها بلد الرسّ والخبرا ، وهي عن الرسّ غربـاً مسافة يومين ، والتّنومة ، والقصيبة ، والشماسية والهلالية ، والبكيريّة والمذنب وغير تلك ، من القرى .

والقصيم كورة كبيرة كثيرة الخير من حواصل التمر والحبوب ومياه عذبـة لا تحصى كثرة . ومقـدار كورة القصيم سكنى وفيافي [٣٩٧] أربع مراحل طولا وعرضاً . وفيها من القطن شيء كثير ، وفيها تلول رمل اكثر من بقية نجد .

وفي حدود القصيم من الجنوب كورتان إحدهما الوَشْم والأخرى سُدَيْر ، وهو شمالاً عن الوشم بيوم الى جهة الشرق . والمعروف من كورة الوشم بـلد

---

(١) كتبها في الأصل : تيمة .

شَقْرا وهي دار الأمارة وكذا أشَيْقر[1] وأيضا بلد من الوشم تسمى الفَرْعه قريبة من أشيقر على اربعة فراسخ من جانب الشرق. وبلدان يسميان القرائن[2] لتقارنها ، أحدهما يسمى الوقف والاخرى غُسلة . وبلد أخرى [٣٩٨] تسمى ثَرْمدا وقريب منها يقال لها مراة على ثلاثة فراسخ من جانب القبلة ، وفي حدود بلد مِراة بلد تسمى قصبا وهي عنها جنوباً بثمانية فراسخ . وكل الوشم بأجمعه مسافة أربعة أيام طولاً وثلاثة أيام عرضا .

وأما كورة سدير فهو واد بين جبلين عاليين ليسا بطويلين . وطول أرض سدير قريب من مسافة يومين ، وهو يشتمل على بلدان كبار وقرى كثيرة ، من مشاهيرها بلد جلاجل وهي بلد الإمارة ، والمجمعة [٣٩٩] وحرمة وهما قريتان بينهما مسافة ثلاثة فراسخ ثم الزّلفي وأهلها مشهورون بالشجاعة والكرم بين جميع أهل نجد . وما عدا ما ذكر من بلدان سدير في حدود الجنوب من جلاجل فهي بلدة الرّويضة وكذا الحوطة وداخلة والعطار وأيضاً بلد العودة . ووادي سدير أحياناً لم يمطر فجدب قحطاً عظيماً بحيث تجلو أهله كافة ، وهي تعرف بريف نجد لأجل ما تحتوي عليه من الزروع [٤٠٠] والفواكه الطيبة وطيب الفلاة والعشب . وأيضاً بلد كبيرة تسمى رغبة تقع منفردة عن سُدير في جنوب الوشم وليست بقريبة من الوشم لكنها تعد من توابع الوشم وبعدها عنه بسير نصف نهار . وفي حدود سدير من جانب الجنوب مدينة يقال لها حُرَعلى وهي بلدة طيبة الماء والهوا جداً وفي اسفل واديها الى جهة الشرق قدر سير ساعتين بلد خراب ، اليوم تسمى ملهم وفي القديم تسمى القريّة [٤٠١] وهي بلد هوذة بن علي الحنفي الذي ولاه كسرى انو شيروان العادل على قومه بني حنيفة ، وهو قد أسلم وصحب النبي ﷺ . لها عدة قرى اتباعاً غير مشهورة وفي حدودها من الشمال قرية كبيرة تسمى ثادق وهي ملحقة بسدير أيضاً .

ثم يلي ما ذكر من جهة الجنوب كورة العارض ، ومتوسطة في بلاد نجد

---

(١) في الاصل : وشيقر .

(٢) في الاصل : القرائن .

وهي مقر امارة ابن سعود اليوم . واكثر بلدانها معروفة مشهورة لأن رجالهـــا [٤٠٢] خير رجال نجد وأدراهم وأغناهم . وفي حدود العارض من الشمال مما يلي حُرَيملى قرية حسنة كثيرة الفواكه والزروع تسمى السّدوس نسبةً الى قبيلة من بني حنيفة القدماء كان يقال لهم بني سدوس ، فيليها من جهة جنوب سدوس : العُيَيْنَة ، وهي بلد معروفة قديمة في آنف ، الى ان تولى عليها آل سعود فخربت .

ثم يليها جنوباً شرقاً بيوم الدّرعية ، وهي منشأ آل سعود ومقر إماراتهم [٤٠٣] حتى اليوم . فهي بلدةٌ كبيرة كثيرة النخيل والفواكه عذبة المـــاء ، وفيهـــا خلق عظيم ، وكلهم متموّلون ، ودار تجارة تقصدها الناس من أنحاء جزيرة العرب وغير تلك النواحي أيضاً . وفي وادي الدّرعية هذه عـــدة من القرى والزروع والرساتيق بشيء كثير . وفي غربها سيرَ يوم بلدة كبيرة في واد متسع طولاً وعرضاً يهبط اليه من جبل العارض مع طريق طويل وهي تسمى ضرما، فهي كثيرة الحنطة والشعير، وفي وادي ضرما [٤٠٤] المذكور كثرة قرى ورساتيق وهذه واقعة بين الجبل المذكور وبين تلول رمل. ومما يلي الدّرعية من جانب قرية كبيرة يقال لها عرْقَة والمسافة بينها وبين الدرعية مسير ساعة ، ولها وادٍ وهو يشتمل على زروع كثيرة من البطيخ الذي لا يحصى وذلك أحلى ما يكون .

ثم يلي الدرعية من الجنوب قليلاً الى الشرق مدينةٌ تسمى اليوم بالرياض وهي أكبر بلدان نجد كلها . وفيها سلف يقال لها حجر اليمامة . ويلي الرياض [٤٠٥] من الجنوب بلاد كبيرة لها تبع قرىً ورساتيق، تسمى تلك البلاد مَنْفوحة . ثم يلي منفوحة من جهة الجنوب الى الشرق قليلاً بسير نصف نهار كورة وادي الخرْج، وهو يحتوي على بلادين كبيرة . ومشاهير بلادها مدينة الدلم والسلمية ، وبـــلد تختص باسم اليامة وغير ذلك ؛ وفيها عيون جارية وزروعهـــا وخصبها كثير . وفيها فلاة وفيها قيعان ورمل، وسيل وادي العارض يهبط اليها .

وأيضاً مما يلي الدرّعية إلى جانب [٤٠٦] الجنوب غرباً عن الخرج المذكور واديا بُريك وتَمام وفيهما عدة رساتيق ومزارع وفيهما مدينتان كبيرتان إحداهما الحريق وبقربها مسافة ساعة بلد تسمى نعام . وفي هذين الواديين المذكورين مدينة كبيرة تسمى الحوطة ، وهي كثيرة النخيل، وقريب من هذه بلد تسمى الحِلوة ، جنوباً عنها بأربعة فراسخ . ومجموع هذه البلدان المسماة بالحريق والحوطة ونعام والحلوة تسمى بالفرُع وهي من أطول أرض نجد آباراً [٤٠٧] وأكثرها بركة . وهي كورة وقصبة من نجد عند بعض ممن يعنى به .

ومما يلي الفرع من جانب الجنوب بمقدار ثلاثة ايام كورة تسمى الأفلاج ويليها ايضاً في الجبل المتصل اليها من العارض قبلةً عن الفرع عدة قرى في ذلك الجبل من مشهورها الفيل والخَرْ والهدّار وغيره من تلك القرى .

وأما كورة الأفلاج فهي أرض فيحاء [1] واسعة كثيرة الآبار وفيها عدة عيون غزيرة عميقة غير جارية بل معطلة ولم يجر [٤٠٨] منها اليوم إلا البعض لأن الخراب مستول عليها . وقد صاب أهلها القلةُ من مال ورجال . ومن جملة مشاهير مُدُنها الكبار التي استولى الخراب عليها لَيْلى والبديع وهما [في] القرن العاشر والحادي عشر في غاية من القوة ، وفي زمن قوة الأفلاج المذكورة ما جرت العيون المشار اليها . بل غالب قوتهم وحرثهم بماء الآبار وكانت هذه تسقي المزارع في الأيام السابقة من ملوك حِمْيَر . وقد تعطلت بعد دولتهم . وفي زماننا هذا قد وجد أحياناً في بعض الخرابات بعض الدنانير ملقاة على وجه الأرض ، فيها مكتوب « لا إله إلا الله موسى كليم الله » وخط هذه الدنانير بالقلم الحميري .

ومما يليها من نجد من جانب الجنوب وادي الدواسر وهو كورة تشتمل على مدينة تسمى اللدام ، وعلى قرى كثيرة وفيها من النخل شيء كثير وأما الزرع فقليل فيها ، والقطن موجود فيها بكثرة ؛ ومن مشاهير بلدانها [٤٠٩] قرية كبيرة تسمى السليل فيها مقدار الف رجل او أزيد تقع جنوب اللدام شرقاً مسافة يوم [2] .

---

(١) في الأصل : فيحة .

(٢) الأصح انها إلى الشرق من اللدام بانحراف يسير جداً الى الجنوب .

ووادي الدواسر هذا آخر كورات نجد وقصباته من جهة الجنوب .

وجميع نجـــد بكليتها طولاً ستة وعشرون مرحلة بالسير المذكور فيا مر وعرضاً من أرض حضن التي هي أول الحجــاز من جانب الشرق الى الدرعية مسافة أربع عشرة مرحلة بما ذكرناه من السير ،وحضن اربع مراحل شرقاً عن مكة عظمها الله [٤١٠] .

ثم نرجع الى بيان ما هو شرقاً عن الدرعية وهي من نجد ايضاً : وهذا برّية طيبة العشب ـالكلاـتسمى العرمة ،وهي عن الدرعية شرقاً بنصف نهار وعرض العَرْمَة يومان وطولها خمسة أيام من الجنوب الى الشمال .

وحدود نجد مما يلي المدينة النبوية ، سلام الله على ساكنها ،من طريق الدرعية موضع يسمى الحناكية وفيا سلف كانت تدعى ببطن نخل ، وعن الدرعية بخمس عشرة مرحلة وفي حدود الحناكية من الشمال [٤١١] على أربعة فراسخ موضع يسمى بالربذة وهو الموضع الذي توفي فيـــه أبو ذر الغفاري صاحب رسول الله صلى الله عليه ، وقبره هناك مشهور معروف لكنه غير ظاهر برأي العين .

هذا منتهى ما صح عندنا من حدود نجد وكيفيتها على مـــا أخبرنا به بعد التحقيق والتفتيش بالاجتهاد ، والله ولي السداد .

- ١١ -

فصل في بيان بعض بلاد الحجاز المشهورة وتحديد ذلك الملك

اوله من الشمال وادي القرى وهو من وراء خيبر الى جهة المغرب بيومين : [٤١٣] خيبر وهي بلد اليهود في الزمن السابق وقد ظفر بها مسلمون في عصره ﷺ وهي بلد كثيرة القرى والنخيل والفواكه والزروع والمياه الجارية العذبة جداً . وهي واقعة غرب المدينة شمالاً بثلاثة مراحل .

ثم يليها فدك وهي جملة قرى وكانت قبل لبني نضير [١] قوم من العرب يهود حاربهم ﷺ فجلوا عن بلادهم الى الشام ، وصالحوا على أن يتركوا مساكنهم ويخرجوا بأهاليهم فكانت ارضهم فيئاً له ﷺ وهي عن خيبر بيوم من جانب الجنوب شرقا قليلا . [٤١٤] ثم يليها، اعني فدك، المدينة المنورة . وكانت تسمى يثرب زمن الجاهلية ، فسّماها عليه الصلاة والسلام طَيْبَة او المدينة . وهي عن فدك جنوباً بيومين . وكذا ينبع النخل من الحجاز يقع غرباً عن المدينة بثلاث مراحل .

والبلاد الواقعة مسكونة" بين المدينة ومكة : وادي الصفراء وهو عن المدينة جنوباً باربع مراحل . ثم يلي وادي الصفراء وادي الفُرع وهي وادي الفُرع الحجازية لا النجدية ، مسافة يوم جنوبا مع قليل شرقاً . [٤١٥] ثم يلي الفرع

---

(١) في الاصل : نظير

بمرحلتين رابغ الى جانب البحر ، وهو واقع بين ينبع البحر وبـــين جدّة ، فهو بخمس مراحل عن مكة ، شرفها الله ، الى المغرب قليلاً ؛ وينبع البحر هذا عن رابغ غربا ايضاً بثلاث مراحل ، وجدة عن مكة لمسافـــة يوم وليلة . وخليص وعسفان موضعان كثيرا الخير والبركة وهما لبني سُلَيم واقعان تانك البلدان عن مكة بمرحلتين من جانب الشمال يطأهما الحاج الشامي والمصري .

وعن مكة إلى جهة الشرق بيومين بلد الطايف [٤١٨] وهي لثقيف . وهي بلدة باردة الهوا عذبة المياه كثيرة الفواكه فهو جنوبـــاً من مرسى ابراهيم وهو جنوبياً عن جدّة بستة فراسخ وآخره شمالاً وادي القرى المذكور . وقد حدّ الحجاز طولاً ــ وكذا موضع يقال له حنين بين مكة والطائف وهو مسافة يوم ونصف شرقاً (١) ــ بسير أربع وعشرين مرحلة من السير المعهود ، وعرض من الساحل إلى أطراف نجد بأربع عشرة مرحلة . تهامةُ الحجاز أولها من مرسى ابراهيم الى رابغ .

(١) هذه الجملة وقعت معترضة على هذا النحو ، واغلب الظن أنها جاءت سهواً من الناسخ .

- ١٢ -

فصل في بيان بعض بلاد اليمن

وأول حدود [٤١٩] اليمن من تهامـــة بوعريش وهي بلد إمارة الشريف حمود المكنّى بأبي مسمار ، وهي عن جدة بتسع مراحل الى جهة الجنوب قليلا شرقاً وهو محتوي[١] على قرى عديدة وفيافي كثيرة .

ثم يليه من جـانب الجنوب الى ساحـــل البحر بيومين اللحيّة وهي مدينة معمورة . ثم يلي اللحيّة من الجنوب شرقاً الحُدَيدة . ثم من جملة بـــلدان اليمن زَبيد ؛ وهو من الحديدة الى جهة الشمال بعيد عن البحر بيومين ؛ ثم يلي الحديدة المخا وهو بلدة معروفة . ثم [١٤٨] يـلي المخا إلى جانب الشمال بيت الفقيه وهو عن المخا بثلاثة ايام . ثم يلي بيت الفقيه الى الجانب الشمالي صنعـــاء ، وهو عنه بثمانية أيام . وصنعاء هي دار الامة[٢] في ملك اليمن . ثم يلي صنعـــاء إلى جهة الجنوب بثلاثة أيام بلد شهادة ويلي شهادة بيومين كوكبان من جانب الجنوب الى الشرق قليلاً ، ويلي كوكبان جنوباً الى جهة البحر مدينة عَدَن[٣] ، وهي عن كوكبان بأربعة أيام . ويلي عدن الشّحر ، بمسافة يومين ، ثم يلي الشحر إلى جهة [٤١٩] الشرق حضرموت وهو وادٍ كثير النخيل والزروع من الاذرة والدّخن ، وهو عن الشّحر مسافة خمسة أيام ، واكبر مُدُن حضرموت مدينة تريم . هـذا آخر اليمن من جهة الشرق ؛ وتهامة اليمن من أبو عريش الى الحديدة ، والله اعلم .

---

(١) اقرأ : محتو .

(٢) كذا ؛ ولعله (الامامة) .

(٣) هذا تحديد عجيب فان « كوكبان » تقع الى الشمال الغربي من صنعاء .

فصل في بيان حدود ملك عمان وذكر أسماء بعض بلاده

وعمان يحتوي على ثلاث صُوَب وكورات إحداهُنّ تسمى الظاهرة يتصل برها من رأس الخيمة والصير، وما يلي الصير من طرف الجنوب قبلة بلد البريمي، [٤٥٢] وهو عن الشارجة مسافة يومين، وعن رأس الخيمة سير ثلاث مراحل، وحوله قرىً كثيرة ورساتيق. وجنوب البريمي بيومين بلدان كثيرة منها ما هو مشهور ومنها[١] ما هو غير مشهور. من مشاهيرها عبي وكذا عبري وضنك. ومما يلي ضنك بأربعة ايام إلى جهة الجنوب بلدان مدينتان إحداهما تسمى بَهلى والاخرى نزوى، ولها توابع عديدة. ويلي بَهلى ونزوى من جهة الجنوب بأربعة ايام بلدان كثيرة فيها نخل عظيم تُسمى جعلان [٤٢٤] ثم يلي جعلان إلى ساحل البحر بثلاثة أيام بلد تسمى صُور، ومنها إلى أطراف الجنوب الى قبال جزيرة مصيرة، وهي موضع يسمى مُدركَة وهذا آخر حد الظاهرة من عمان ويقال لبعض منها من بهلى ونزوى الى مدركة بلاد الشرقية.

وأما الحجر فهو جَبل، يَنقادُ من الجنوب الى الشمال ثم ينعطف ويميل الى البحر، وسُمّي ذلك الموضع رؤوس الجبال، وهذا الجبل فيه بلدان كثيرة من مدن وقرى [٤٢٤] كرستاق في جنوبه بأربعة أيام. وعنها من الشمال بأربعة أيام الجبل الاخضر، وهو بلد كبيرة، وعن جبل الأخضر الى جهة الشمال مائلاً الى

---

(١) في الاصل: ومن.

الشرق بيومين بلدة سمائل ، وعن سمائل من الشمال بيومين يديد وبلد أزكي ومنح؛ وفي اثناء ذلك الجبل الممتد دوهر المسمى بحجر ، وكذا في شماله بلدان كثيرة من مشاهيرها بلد يقال لها دبا وأما البلدان التي بين حجر وبين البحر تسمى الباطنة ، وهي كثيرة الفواكه وأفلاج المياه [٤٢٣] العذبة جداً . ومن مشاهيرها بلاد صحار وفي شمال صحار بيومين بلد شناص، ومضلعة (١) عن صحار من جانب الجنوب بيومين ، وعن مضلعة بيوم بركة من اطراف الجنوب . ثم عن بركة الى جانب الجنوب بيومين مسقط وهي [عاصمة] أئمة عمان اليوم ومقر ساداتهم. من مسقط الى جهة الجنوب قبلة بأربعة أيام بدو رستاق. وقد اصطلح العمانيون بأن يسمّوا كل أهل عمان بدواً وحضراً بقبيلتين إحداهما يقال لها الهناوية وهي [٤٢٤] تلحق بصف الأئمة وسادات عمان ؛ والاخرى بالغافرية وهي تلحق بصف القواسم، أهل راس الخيمة. ويجمع نسب كليهما قحطان ونزار.

واعلم أن أول حد الصّير من عمان جانب خيران بني ياس ، وآخره رؤوس الجبال من جهة الجنوب شرقاً . هذا ما عرفناه من تحديد ملك عمان ، والله تعالى أعلم .

---

(١) قد وجدت على الخريطة جنوب« صحار » اسم «مصنعة » فلا أدري أهي « مضلعة » أم بلدة أخرى .

فصل نذكر فيه بيان بعض سواحل بلاد بني خالد

لا يخفى على السامع أنه من الكويت الى ظهرن (١) ، وهو موضع قريب من القطيف ، على أربعـــة فراسخ من جانب الشمال ، وهو اليوم خراب ، هذه الأرض يقال لها العَدان ؛ وليس فيها بلدان مسكونة ، بل بعض المواضع تسكنها في الصيف عرب بني خالد مثـــل العمَاير والصُبيح ؛ وهي القنطاس وقنيطيس جنوب الكويت ، مسافة يوم من جانب الجنوب . وبعدها بثلاثة أيام من جهـة الجنوب جزيرة بلبول ، وهي متصلة بالبر الأصلي إلا أن بينها قليل بحر في المدّ . وبعد بلبول من جانب [٤٢٦] الجنوب قليلاً الى الشرق بيومين جزيرة جنــّة ، وهي أيضاً كبلبول في كيفية اتصالها بالبر الأصلي . ثم بعدها من الجنوب بثلاثة أيام جزيرة بو علي وهذه الجزيرة رأس طالع في البحر كثيراً . وهي أيضاً كجنة ، بينها وبين البر الأصلي مقطع .

واعلم ان بعد بوعلي بيوم ، ما جانب الجنوب الى الشرق قليلاً ، يأتي موضع يقـــال له رأس تنوره ، وبعده بيوم القطيف ، تقع عنه الى الجنوب شرقاً وقلهار ، هو هذه الأرض الواقعة بين [٤٢٧] رأس تنورة والقطيف ، وجملة ما ذكرناه يسمى العَدان .

وأما القطيف وما والاها من الجنوب إلى العجير ، وكــــذا أرض البحرين والاحساء مع البرية الواقعة بين القطيف والاحساء ، والبرية الواقعة بين الاحساء

---

(١) أي الظهران .

والعجير : كل هذه المواضع يقال لهـــا هَجَر . وتختص القطيف باسم الخط ، والبحرين باسم أوال والاحساء باسم هَجر [1] .

ومن العجير الى خيران بني ياس جنوباً تسمى هـــذه الأرض قَطَر ، وإنما سميت بذلك لكثرة الأمطار فيها بالنسبة [٤٢٨] لبقية بلاد بني خالد . فأولها العجير ، وهي بلدة على الساحل تقابل [2] جزيرة البحرين من جانب الجنوب قبلة . بعدها عنها في البحر مقدار أربعة فراسخ مثلاً . ثم يليها من جانب الجنوب مائلاً الى الشرق بعض البـــلاد الغير المسمّية [3] لكونها لم تسكن شتاءً وصيفاً وهي مواضع بدو من الخوالد وحفاير مياه . وهذه عن العجير بنصف يوم أو أقل .

ثم يلي هذه الأرض بعد يومين الزبارة ، وهي زمن السابق ، منذ عشرين سنة ، [٤٢٩] كانت في غاية العمران وكثرة الاجتماع . ثم يليهـــا من جانب الجنوب بفرسخ رأس عُشَيرج . ثم يـــلي رأس عشيرج من الجنوب بثلاثة فراسخ خوير حسّان ، وهو الذي كان يسكنه اليلاهمة [4] من العتوب . ثم يلي خوير حسّان جنوباً شرقـــاً بيوم الحويلة . ثم يلي الحويلة بفرسخين اليوسفيّة من جهة الجنوب أيضاً . ثم يلي اليوسفية بأربعة فراسخ الرّويضة ، ويلي الرويضة بيومين من جهة الجنوب الفويرط . ثم يلي الفويرط من الجنوب [٤٣٠] شرقاً قليلاً بيوم المطيبخ ، ويلي بنصف يوم الى الجنوب المطيبخ [5] . فيلي المطيبخ بمسير ساعتين عنه من الجنوب أرض لا سكنى فيها ، كثيرة التلول الرملية ، طولها من الشمال الى الجنوب أربعة أيام . فيلي هذه الأرض المذكورة من جهة الجنوب الى الشرق خيران بني ياس ، وهي أوّل عمان وآخر قطر .

واعـــلم أيضاً أن المدان وهجر وقطر كلها من أرض بني خالد . وقد عرفت

---

(١) كان يطلق على المنطقة الممتدة من البصرة شمالاً الى قطر جنوباً اسم البحرين .

(٢) في الاصل : تقابلها ، وصوبناه حسب التحديد الجغرافي .

(٣) في الاصل : الغير المسمية ، ولعله يعني « غير المسماة » أي التي لا تحمل أسماء مميزة .

(٤) وتكتب كذلك الجلاهمة وقلب الجيم ياءً شائع في لغة شرقي الجزيرة .

(٥) كذا وردت هذه العبارة .

طولهـــا بالحدّ المذكور من الكويت الى خيران بني ياس ، فنخبرك أن من وراء [٤٣١] الكويت الى جانب الغرب عنها بيوم الجَهرة وهي عن ساحـل البحر بفرسخين الى جانب الغرب مائلاً الى القبلة . وأرض الجهرة عالية جداً بحيث كل من كان فيهـــا يرى السفن التي تتردد في البحر الذي يحاذي الكويت والذي في فيلكة .وقد كانت الجهرة في عصر الجاهلية ،قبل مبعثه ﷺ بسنين تبلغ مائة ، في غاية العمران . وهذه آثارها تدل على عظمتها اليوم . فإن فيهـا خرابات كثيرة من البنيان ، وربما وَجَدوا فيها ذخاير من الدراهم والدنانير [٤٣٢] في بعض المواضــع . وهي أرض طولها فرسخين [١] شمالاً وجنوباً وعرضها فرسخاً [٢] غرباً . وشرقاً نبتها الثام غالباً ، وأرضها من قبيل حصص البحر ، وفيها مياه عذبة ، وبئرها قدر باع واحد ، وحولها من جميع الاطراف أرضٌ سبخة ، على فرسخين من جانب الشمال حتى تصل بسنام ، والى الشرق حتى تصل البحر كذلك . والى جانب المغرب الى جهة القبلة قليلاً أرض السبخ ، قـــدر فرسخ. والى الجنوب الى نحو الكويت تبلغ نصف فرسخ .

ويقـــع [٤٣٣] عن الجهرة شمالاً شرقاً مائلاً الى جانب البحر بلدة كانت [في] السالف عمار [٣] ، قد بقيت آثارها الى اليوم وهي في البعـــد عن الجهرة بأربعة عشر فرسخاً تسمى الصبيّة نسبة الى الصابئين . قيل إنها من بقايا بلادهم ، التي عُمرت بعد خراب بابل والله اعلم . وفي تواريخ المسلمين ، أنّ هذه الأرض كانت معمورة الى أيام دولة الأموية ثم خربت وجلا اهلها الى ساير البلاد . وينقل أن من بقايا أهلها أناس اليوم بأرض خوزستان . وهذه البلدة آخر ملك [٤٣٦] بني خالد من الشمال ، كانت اعرابهم تسكنها ايام الصيف لبرد الهواء .

واعلم أن عرض ملك بني خالد يختلف : فمن الكويت إلى الدهناء ، التي هي

---

(١) اقرأ : فرسخان .

(٢) اقرأ : فرسخ .

(٣) عماراً ، يريد : «عامرة» .

اول نجد مسافة عشرة ايام ، ومن «أبو علي» كذلك ، ومن القطيف الى الدهناء ، تسعة أيام ، ومن الزبارة الى الدهناء يبلغ ثلاثة عشر يوماً . ولبني خالد أرض تلي الدهناء من الشرق تتصل بها ، عرضها يومين[1] ، أرض جرز[2] ليس فيها ماء قط ، سوى [٤٣٧] الغدران أيام المطر . ونبات[3] هذه الارض ايضاً قليل ، وهي أرض بيضاء صمّة ، وطول هذه الأرض من محاذاة الجهرة الى العرمة التي تقدم ذكرها ؛ ومن هذه الارض شرقاً أرض تتصل بالجهرة اسمها اليفير ، وهي أرض ربيع وشجر كثير من العرفج والسّلّم وأم غيلان ، وفيها مياه عذبة جداً ، لكن أبيارها[4] طويلة يبلغ البئر ثمانية أبوع[5] بل أكثر ، وهي دائمة العشب وكثيرة الصيد من الغزلان والأرانب وطير الحبارى[6] والنعام ؛ وكانت مشايخ بني خالد [٤٣٨] تداريها[7] مسكناً وترجحها على جميع بقية الأرض ، هذا والله اعلم .

---

(١) أي مسافة يومين .

(٢) الجرز : الأرض الجدبة .

(٣) في الأصل : ونيات .

(٤) آبارها .

(٥) جمع باع في لهجة المؤلف .

(٦) في الأصل : الحبار .

(٧) كذا ، والياء غير منقوطة في الأصل .

فصل نذكر فيه اسماء قبائل بني خالد

أما بنو خالد فهم يرجعون الى ربيعة في الأصل .

فأوّلُ قبيلة منهم آل حميد وهم مشايخ بني خالد ، يبلغ عددهم ألفي رجُل

والطائفة الثانية الصُّبيح ، ويبلغ عددهم ستة آلاف ، وأكثر تردد هـــذه الطائفة وغالب مقرها من يقير الى الجهرة الى الصبّيّة الى السّنام ، الذي هو أول أرض المنتفق . ولأجل قوّة هذه الطائفة ، جعلهـا شيوخ [٤٣٧] بني خالد في وجه العدو ، وهم المنتفق والروم ، لأن بني خالد لمـــا وَلوا هذا الملك صرحت الروم بعداوتهم اذ كان قبل ذلك ملك الاحساء والقطيف والعدّان للروم .

والقبيلة الثالثة من الخوالد يقال لها المهاشير ، وهي تبلغ عدداً من الرجال سبعة آلاف وكلهم أغنياء ، أهل إبل كثيرة ، وهي غالب سكناها أرض العرمة الى طرف الاحساء والقطيف ، وقد جعل مشايخ بني خالد محاصيل القطيف لهم .

والقبيلة الرابعة [٤٣٨] العماير . وهم يبلغ عددهم رجالاً أربعة آلاف ، منهم قدر ألف بداة حضر ، وهم يسكنون جِنّة وأبو عـلي وبقية أرض العدان الى بلبول أيامَ الصيف . ومن هؤلاء من له سفن يستعملهـا في الغوص أيام الصيف . وأرضهم البحريـــة كثيرة اللؤلؤ ، ومنهم من له سفن يسافر بها الى البحرين والزبارة والكويت ، فإذا جاءوا بيتهم فأبدوا وقت الشتا ، جرُّوا خشبهم على

البر وأخذوا مواشيهم فابْدوا. وهكذا عادتهم على مرور السنين ، [٤٤١] وهم اليوم أيضاً كذلك ويسكنون رجنّة وأبو علي وبعض منهم له املاك نخـــل في القطيف وتاروت .

وبقية طوايف (١) بني خالد ثلاث طوايف أسمـاؤهم غير مشهورة ، كل من هذه الطوايف يبلغ عدده الفي رجل . فَتنْزِل هذه في أطراف قطر من فوق الى جانب عُمان الصير الى الاحساء وليس هؤلاء يردون البحر كالعماير .

(١) انظر كشفاً تفصيلياً بهم في كتاب : قلب جزيرة العرب لفؤاد حمزة .

فرع آخر في بيان ما كان عليه بنو خالد من الرياسة [١]

قد حدثنا بعض الثقات من أهـل نجد [٤٤٠] وغيره من أهل البحرين ، أن اول من ملك في بني خالد وولي ارضهم محمد بن غُرَيْر من آل حميد ، وقد كان رجلاً كريم الطبع ، حسن السيرة ، ذا همة عالية ، هو الذي حارب بقية الروم الذين كانوا بعد حسين باشه وخرّجهم من الاحساء . وهو الذي عيّن لكلّ طائفة من بني خالد منزلاً مخصوصاً ، وجعل لمشايخ كل قبيلة أملاكاً وارضاً من الاحساء والقطيف ، وحدّد أرض بني خالد . وقال : هذه أرضكم [٤٤١] فما زاد عليها بعد فملك موضوع . تولى في بني خالد اربع[٢] وثلاثين سنة .

ثم مات فولي بعده ابنه سعدون بن محمد ، فعمّت سعادتهم به لانـه كان على منوال أبيه ؛ وفي آخر عهده شاع أمر محمد بن عبد الوهاب في نجد ، ولم يتمكن سلطان آل سعود في نجد ما دام سعدون في الوجود . وكان مدة حكومته أربعين سنة ، وكان متولعاً[٣] بالصيد جداً ، ربما سافر عن أهله لأجل الصيد ، فأبعـد مسافة [٤٤٢] شهر كامل ، لأنه كان يذهب الى ناحية حلب والشام . وليس في

---

(١) لاحظ أن «لمع الشهاب» قد ألّف عام ١٨١٧ أي بعد زوال ملك بني خالد باستيلاء الوهابيين عليه .

(٢) اربعاً .

(٣) في الأصل : متوعا .

أيامه حرب لبني خالد مع أحد ابـداً . وكانت العرب الذين يطأون أرض بني خالد في أيام الربيع يقودون له الخيـل النجاب والهدايا من الابـل والدنانير والدراهم[١]

وولي بعده أمر بني خالد اخوه علي آل محمد ولم يظهر له صيت ، ومـدة حكومته ثمـان سنين ، فوقعت له فتنة مع ابني أخيه سعدون وهما ، دارحس ودُجين فقتلاه .

فولي [٤٤٣] الأمر بعده أخوه سليمان آل محمد ، وهو الذي حدثت العداوة بين آل سعود وبين بني خالد في ايامه ، وقويت دولة آل سعود حينئذ في أطراف نجد كما قدّمناه في بيان تسخير نجد . وكان سليمان رجلا متولعاً في حب النساء ، وقد نكح من النساء ما يزيد على المائة ، لكنه لم يجمـع إلا بين أربع منهن ، بل كان يأخذ ويطلّق اذا قضى وطره منهن . وكان يتعرض بعض بنـات بني خالد غدراً ، فأنكر عليه مشايخ الخوالد ، وبنو أعمامه فأجلوه [٤٤١] الى أرض نجد . ولما وصل اليمامة مات في الطريق ، فدفن هناك . ومدة سلطنته قريب من سبع عشر سنة . فولي بعده عَرْعَرُ بن دُجيـن ومدة ولايته قريب من سبع وعشرين سنة . وفي أيامه كثرت الفتن والحروب مع آل سعود . فولي بعده ابنه بُطَين . فلم ترقضيه[٢] اكثر بني خالد ، فقتلوه لأمور منموها عليه . وكان زمان حكومته ستة أشهر .

فولي بعده أخوه سعدون بن عرعر ومدة حكومته اثنتا عشرة سنة . [٤٤٥] وحينئذ قويت شوكة آل سعود ، ودخـل النقص على بني خالد من عبد العزيز ، ففرق بين قبائلهم ، وبالغ سعدون في حرب عبد العزيز ولم ينفعه شيء .

---

(١) هذا ما حدثني به ايضاً الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة القاضي بمحاكم المنامة بالبحرين حالياً ، وكان ذلك في شهر يوليو ١٩٥٩ أثناء تدارسنا لحكم آل خليفة وآل صباح في البحرين والكويت .

(٢) اقرأ : ترتضه .

ثم إن إخوانه اختلفوا عليه ، واتفقوا مع خالهم عبد المحسن آل سرداح ، وهو من فخذ آل عبدالله من آل حميد ، وكانت المشيخة في آل غرير من آل حميد ، ولم يتمكنوا من عزل سعدون ، فجلوا إلى ثويني ، شيخ المنتفق ، وهم داحس آل عرعر ومحمد آل عرعر وخالهم [٤٤٦] عبد المحسن بن سرداح . قدم ثويني ببعض عساكر ، فقابلهم سعدون بعساكره ، فانكسر لأن اكثر بني خالد كانت قلوبهم مع إخوانه . فالتجأ سعدون بعبد العزيز فأكرمه ومناه بالبصرة . ثم إن دويحس[1] شاخ في بني خالد ، فصار أمر بني خالد ظاهراً بيد دويحس ، وباطناً بيد خاله عبد المحسن .

وبعد سنة عزل عبدالمحسن دويحس واستقل هو في الحكومة ، فتوغل أمر عبدالعزيز في بني خالد، وأتباعهم . وبعد [٤٤٧] سنتين كاملتين توفي عبدالمحسن وانقرضت دولة الخوالد، وذلك في سنة الف ومائتين وثمان سنين .

---

(١) سماه « داحساً » من قبل .

فرع في بيان احوال بني ياس من عرب عمان الصير

اعلم أن بني ياس بداة من عرب عُمـــان ، وسكنهم آخر عُمان من الشمال وأرضهم كلها رمال ، وهم ثلاث قبائل : قبيلة مُختصة باسم بني ياس ، والثانيـة بالمناصير ، والثالثة بالعوامر ، وهم أهل ابل نجيبة ، وبعض منهم له سفن صغار في خيران بني ياس ، كل سفينة تحمل [٤٤٨] أربعة أشخاص . ويستعملون هذه السفن بصيد السمك وأكثر صيدهم العومه ، ييبسونها ويذهبون بها الى الاحساء . ولهم غَوص يبلغ محصوله كل عام عشرة آلاف تومان[١] .

وليس لهؤلاء غارات في البحر ، ولكن إذا تمكنوا من سفينة أخذوها .

وقد وقع منهم بعض التعرضات في البحر ، لكن على خفية وغدر ، ولذلك لم يشتهروا كبقية أهل الصير .

ولبني ياس كلهم نخيل في البر متفرقة ، بين تلول الرمل، حاصلها قليل [٤٤٩] جداً ، يسكنون أرض هذه النخيل في فصل الصيف . وماؤهم الذي يشربون منه لا فرق بينه وبين ماء البحر . وأيام الشتاء ، أهل اللبان ينحازون الى جانب قطر والاحساء للمرعى . وعدد بني ياس كافة عشرة آلاف من الرجال وهم أهل بندق ومشهورين[٢] بضربه . هكذا ذكر لنا من رآهم ودخل أرضهم ، والله أعلم

---

(١) التومان = ٥،٥٠١ دولار ، وهو عملة فارسية .

(٢) اقرأ : ومشهورون .

فرع في بيان أعراب الحجاز من عدد كل قبيلة
واسمها وناحيتها التي تسكن فيها

[٤٥٠] الأول (١) جهينة ترجع [إلى] ربيعة . ويبلغ عدد هذه الطائفة بدواً وحضراً ، خمسة عشر ألفاً . وسكن هذه الطائفة من وادي القرى الى ينبع البحر .

القبيلة الثانية حرب : ومسكن حضرهم بلاد الصفراء والفرع الحجازية ورابغ ، وبدوهم تسكن في الفيافي بين هذه البلدان المذكورة ، وعدده حرب كلها أربعين(٢) ألفاً . وأصل حرب يرجع إلى ربيعة أيضاً .

القبيلة الثالثة بنو سليم : يسكنون في جبال بقرب مكة من الشمال [٤٥١] بمرحلة ونصف . وجميع أموالهم المعز ، وفي جبالهم من الشهد والعسل شيء لا يحصى . وهذه القبيلة ترجع إلى تميم ، وعددها عشرة آلاف نفس .

القبيلة الرابعة هذيل : وهي قبيلة عربية كبرى قديمة ، كانت هذه اسمها من زمن الجاهلية . تبلغ اثني عشر ألفاً ، وبعضها ينزل قرب مكة من المشرق ، على ربع فرسخ ، وأبعدهم منها يميناً وشمالاً يوم . ولهم في هذه الجبال محاصيل من زرع الأذرة والبطيخ الكثير الحلو [٤٥٢] ولهم ثقوب عسل في الجبال كثيرة ،

---

(١) اقرأ : الأولى .
(٢) الصواب : أربعون .

وهذيل ترجع إلى قحطان .

والقبيلة الخامسة **ثقيف** :تسكن قرب الطايف، وبلاد الطايف لهم .وهم حضر وبدو وهم يبلغون ثلاث (١) عشر الفاً ، وهي طائفة قديمة ترجع بالنسب الى قحطان .

والقبيلة السادسة **حبيلة** : وعدد هذه ثلاثة آلاف . وهم أهل غنم كثيرة ، يسكنون بثلاث مراحل عن مكة من جهة الشرق . وهـــذه القبيلة ترجع نسباً الى تميم .

والقبيلة السابعة تسمى **الناصره** (٢)، عددها [٤٥٣] ثـــلاثة آلاف ، ترجع نسباً إلى مُضَر وسكنى هـــذه القبيلة بقرب أرض قبيلة الحبيلة ، على خمسة فراسخ من الشمال .

والقبيلة الثامنة تسمى **زهران**: يبلغ عددهم عشرين ألفاً،وهم يسكنون بقرب جدّة إلى مرسى ابراهيم ، لكن ببعيد قليـــل من البحر ، مسافة يوم الى جانب الشرق ، مائلاً الى الشمال . وهذه القبيلة يرجع نسبها الى مضر أيضاً ، وهم أهل إبل كثيرة وأغنام ، وأرضهم كثيرة زرع أذرة وبعض الحنطة .

والقبيلة التاسعة **غامد** : وهي [٤٥٤] تبلغ اثني عشر ألفاً أو أكثر، تسكن بآخر الحجاز مما يلي اليمن من جانب الشرق . وهم أهل خيل نجيبة وإبل كثيرة ويرجع نسبهم الى مضر .

العاشرة قبيلة **خثعم** : يبلغ عددها ثمانية آلاف وهي قبيلة قـــديمة من أيام [الجاهلية] هـــذا اسمها لم يغير . وهي ترجع بالنسبة الى قحطان ، تسكن آخر الحجاز من الشرق ، بقرب أرض اليمن .

وهناك أيضاً قبائل غير معروفة النسب وهم ملحقون بأرض الحجاز يسمون أحلافاً . وهم أحلاف كاسمهم ، يبلغ عدد الجميع [٤٥٥] خمسين ألفاً . انتهى ما أردنا ذكره من عرب الحجاز .

---

(١) ثلاثة .

(٢) كذا في الأصل .

فرع في بيان عدد اعراب اليمن وبيان نسبهم الى بعض الأصول الأربعة العربية

أول قبائل اليمن عسير . يبلغ عددها مائة ألف ، لكن بعضها ، قدر ثلاثين ألفاً ، يسكن الحجاز ، ويقال لهم اليوم من عرب الحجاز ، وسكناهم في الحجاز بقرب مرّة من الشرق على ثلاثة(١) مراحل . وعسير كلها من قحطان أيضاً وعشرين(٢) الساكنين أرض اليمن ، مسكنهم تهامة اليمن بقرب أبو عريش [٤٥٦] .

وقبيلة أخرى من اليمن تسمى بكيلا ترجع الى قحطان ويبلغ عددها أربعة [عشر] ألفاً أو أكثر ، ومسكنها بقرب صنعاء اليمن من جانب الشمال بيومين .

وطائفة من عرب اليمن يقال لها ذوي حسين تبلغ عدداً عشرة آلاف ، مسكنها بقرب بيت الفقيه ، على ثمانية فراسخ من جهة الجنوب . ويرجع نسب هذه القبيلة الى قحطان .

وقبيلة أخرى يقال لها ذوي محمد عددها أربعة عشر ألفاً ترجع نسباً الى قحطان أيضاً ومسكنها في مكان يقرب [٤٥٧] من ذوي حسين بأربعة فراسخ من الشمال .

---

(١) ثلاث .

(٢) مثنى عشر ، والصواب « وعشرا » الساكنين .

وههنا قبائل كثيرة تسمى بـ حاشد ، عددهم مائتا ألف ، يتصل مسكنهم بصنعاء وما حواليها . وترجع هذه القبائل الى قحطان .

وفي آخر ملك اليمن من أحواز حضرموت قبائل كثيرة ، تُنسب إلى قبائل قحطان ، إحداها يافع ، وهي قبيلة تبلغ عدداً ستين الفاً ، وآل كثير عددهم مائة ألف أو اكثر . وقبيلة أخرى تسمى المهرة ، يبلغ عددها مائة وعشرين ألفاً تسكن في قرب شحر اليمن من المغرب؛ [٤٥٨] وعن الشحر بيومين طائفة هم أهل صيد سمك ومنهم بداة أيضاً ، متفرقة في تلك الجبال ؛ يبلغ عدد هؤلاء كلهم عشرة آلاف رجل يسمون المساليخ ، والظاهر أنهم يرجعون إلى قحطان نسباً. وقيل لا يعرف لهم نسب في العرب والله اعلم بحقيقة ذلك إلا أنّ وجه التسمية لهم بهذا الاسم ، أنهم يسلخون الرجل من تحت صدره إلى رأس ذكره ،ويقولون هذه حقيقة الختانة . وهم يُعدّون من المسلمين ، لكنهم [٤٥٩] يخالفون في أشياء كثيرة .

وكيفية سلخهم هذا أنه متى بلغ الصبيّ ، زيّنوه ، وأحضروا زوجته التي هي معيّنة له [من] قبل ، فيضربون الطبول والمزامير ، وينشرون الرايات،وتندبه زوجته وتصبّره بأنك اذا صبرت فأنا لك . وكثير منهم من يموت بسبب ذلك . فلما دخلوا تحت حكم آل سعود ، امتنعوا من هذا الفعل بحكمه . هكذا ذكره من يوثق به .

وطائفة من اليمن يسمون أهل مرباط يبلغ عددهم ستة آلاف يسكنون [٤٦٠] ساحل البحر بقرب مُكلاّ من الشمال على يوم . كل رجل منهم له عصا بيده ، تبلغ طوله طولاً ، يتخذها بيده دائماً .

واعلم أنّ بعض المهرة من عرب اليمن ، قدر ثمانمائة نفس ، يسكنون جزيرة بقرب الباب ، بعيدة عن البر الأصلي مسافة أربعة أيام ، بيوتهم في الجزيرة مبنية من عظام السمك وغطاها من عشب البحر ، وقوتهم من السمك خاصة ، وشربهم من ماء المطر ، يدخرونه في بيض النعام . هكذا نقل لنا من رآهم ، وقد قدر الله تعالى بكسر [٤٦١] سفينة على تلك الجزيرة فشاهدوا حالتهم بهذه المثابة .

فرع يذكر فيه اسماء قبائل عمان

أما بنو ياس ، فهم من عرب عُمان وقد تقدم ذكرهم على حدة . وأما قبيلة النعيم ، فهي قبيلة كبيرة تبلغ عدداً عشرين ألفاً ، اكثرهم بَدو يسكنون قِبلة عن البريمي .

ومنهم فخذ يبلغ عدده أربعمايـــة رجل ، يسكنون ساحل البحر بقرب الشارجة من الجنوب الى الشرق بأربعة فراسخ ، ويسمون هؤلاء العجمان، واسم بلدهم [٤٦٢] كذلك . ونعيم ترجع نسباً إلى قحطان أيضاً .

وطائفة أخرى تسمى بني كتّب عددها ثمانية آلاف ، تنزل بقرب البُريمي إلى جانب الجنوب شرقاً بيومين ، يرجع نسبهـــا إلى ربيعة . وطائفة أخرى تسمى بني كعب يبلغ عددها أربعة آلاف رجل ، ترجع إلى نُعيم وتسكن في الظاهرة بقرب عبري من الشرق بيوم . وطائفة أخرى اسمها الدروع يبلغ عددها عشرين الفاً تنزل في الحجر المذكور [٤٦٣] في تحديد عمان ، قريباً من الجبل الأخضر بنصف يوم من الشمال . ونسب هؤلاء قحطان .

وطائفة من عرب عمان يقال لهم آل وهيبة ، عددهم ثلاثون ألفاً منزلهم بقرب رُستاق ، من جانب الجنوب بأربعة فراسخ ، يرجعون إلى قحطان .

وكذلك طائفة عددها ألف رجل اسمها بني مهير ، وهي ترجع نسباً الى

المَهْرة المذكورين في عدد قبائل اليمن ؛ تسكن بنو مهير بقرب الشارجة بيوم في البرّية [٤٦٤] عنها من جانب الجنوب . وقد خرج من هـذه الطائفة سنة تسعمائة من الهجرة المحمدية ، على صاحبها السلام ، قـدر مائتي رجل بأهاليهم ونزلوا [في] أبي شهر(١) فتملكوا فيها، وحكموا على أهلها حتى مضت مائة وستة وخمسين(٢) سنة ، فاستقوى عليهم المطاريش ، فصار الحكم لهم ولم يزل فيهم الى اليوم .

والمطاريش أيضا عبر منهم مائتا رجل بأهاليهم من عمان بعد عبور بني مهير منه ، فأتوا الى أبي شهر ، هذا محقق .

وهناك قبيلة أخرى [٤٦٥] تسمى المطاريش يبلغ عددهم خمسمائة رجـل ، تنزل بقرب ابو هبل من الجنوب في البر على ثلاثة فراسخ . هذا ما صح لنـا والله أعلم .

---

(١) ميناء على الساحل الايراني من الخليج العربي .
(٢) اقرأ : وست وخمسون .

فرع يذكر فيه اسماء قبائل قطر

واعلم أن في قطر قبائل ثلاثة أحدها آل مسلّم، وهي أكبرهن، سكناها[1] فريحة والفويرط . يبلغ عددهم ألفي رجل . ترجع هذه الى ربيعة نسباً. والقبيلة الأخرى آل أبي حسين ، يبلغ عددها ألف وخمساية رجل ، ونسبهم يرجع الى ربيعة أيضاً ، وسكنهم اليوسُفيّة . والطائفة الثالثة من أهـــل قطر تسمى [٤٦٦] المعاضية ، وهي تبلغ عــــدداً ثلاثة آلاف رجل ، ترجع الى ربيعة في النسب ، ومسكنها الرُوَيْضَة والمطَيبخ .

وفي قطر أيضاً أناس غير هؤلاء المذكورين لا يعرف لهم قبيلة واحدة ، يبلغ عدد الكل خمسة آلاف بل أكثر ، والله أعلم .

---

(١) في الاصل : سكنتا .

- ٢٢ -

فرع في بيان محصول المال لآل سعود لما تم الامر لهم
وذلك أيام دولة سعود

فاعلم أن آل سعود يأخذون من الرعايا أموالاً من نقود وغيرها ، ويسمون ذلك زكاة ، فزكاة البوادي [٤٦٧] الذين هم سكنة نجد يبلغ محصولهم كل عام أربعمائة ألف ريال ؛ والذين تحت حكمهم من البـــداة وينزلون أطراف الشام واليمن وتهامة وعمان ، قدر خمسمائة ألف ريال كل سنة يؤخذ منهم . وأمـــا الاحساء فمدخولهم منها — غير التقارير التي رتبوها لبعض الناس — أربعمائة ألف ريال . ومن القطيف يدخل عليهم في العام مائتا ألف ريال ، ومن البحرين أربعون ألف ريال ، ومن بلاد اليمن كل سنة ثلاثمائة ألف ريال . ومن [٤٦٨] أعراب الحجاز ، وبعض البلاد منها كلّ سنة محصولهم مائتا ألف ريال . ويدخل عليهم من رأس الخيمة خاصة ، في العام ، مائة وعشرين [1] ألف ريال من جهة الغنائم ، غير التحف .

وأما زكاة بلدان عُمان من التي استولوا عليها من البداة والحضر مقدار مائة وخمسين الف ريال ، غير الرواتب التي رتّبوها للعسكر والمرصدين . ولآل سعود ايضا مداخيل لا تنضبط من هدايا الملوك لهم ، وكذلك من الغنائم شيء كثير لا يُحصى . ولهم [٤٦٩] محاصيل من الأملاك في نجد وفي الاحساء يبلغ عددها ثلاثماية الف ريال .

---

(١) وعشرون .

- ٢٣ -

فرع في بيان ذكر عدد المخلوق[١] الذين دخلوا تحت حكم آل سعود من جزيرة العرب

فأهل نجد قدرهم ثلاثمائة ألف نفس تخميناً وحَزراً ، ومن الحجاز وتهامة أربعمائة ألف نفس ، ومن أرض اليمن مثل ذلك أو أكثر ، ومن جهة مشارق اليمن قدر مائتي ألف أو ثلاثمائة ألف ؛ ومن الاحساء وبني خالد [٤٧٠] وقطر والقطيف والبحرين أربعمائة ألف تقديراً ، ومن بادية الشام وعربها كعنزة وغيرها الى أطراف المدينة المنوّرة الى حدود طريق الحاج المصري ، وهو عن بلاد جُهينة بأربعة[٢] مراحل من الغرب ، مقدار أربعمائة ألف نفس تخميناً وظناً . ومن بلاد عمان ساحل البحر وما هو في البر بدواً وحضراً يبلغ عدداً مائتا[٣] ألف نفس ، والله تعالى أعلم .

---

(١) يريد : الناس (المخلوقات) .
(٢) بأربع .
(٣) مائتي .

وهذه تنبيهات ملحقة مبداة نذكر فيها احوال آل سعود ومن حيث تعيشهم [٤٧١] بأمور الدنيا وما هم فيه من الكيفيات وبيان معاصرة كل واحد من آل الشيخ محمد بن عبد الوهاب لواحد من آل سعود

١ - التنبيه الأول : فيما ذكره من احوال آل سعود - [عبدالعزيز]

لا يخفى على السامع المتفطّن أن آل سعود ، كل واحد منهم له نهج خاص ومسلك على حدة في أيام دولته ، يتميّش بطرز جديد .

فأما عبد العزيز فإنه كان يلبس الصوف شتاء وصيفاً ، ولم يتعمّم بل يجعل على رأسه هذه الكَـفيّة ، مصنوعة من الغزل [٤٧٢] خاصة وهي تصنع في الدرعية . وكان لون لباسه أشقر ، وله من الزوجات أربع وكنّ كلهن عطلات ، لم يَرضَ [١] لهن بزينة ، ولم يلبسهن الا سواد [٢] من الكرباس خاصة . وكان له قدح من حطب يشرب به ماء ، ولا يأكل الا في ظروف الخشب ، غالب قوته الثّريد ، ويرغب في طعم اللحم كثيراً ، وكان يحب الضيافة ، فلم يُعْهد يوماً من الأيام أنه أكل وحده فاذا صلى صلاة الظهر ، نظر في جوانب المسجد ، فمن وجده هناك [٤٧٣] من عابري السبيل أمره بالذهاب معه الى البيت وغدّاه

---

(١) في الأصل : يرضا .
(٢) اقرأ : سواداً .

يأكله معه في ظرف واحد . وكان كثير التحدث ويحب الحكايات والسِّيَر . وكان عالماً بعلم التاريخ حتى صار له شعار بحيث يحفظ أكثر التواريخ على ظاهر قلبه . واذا ضيفه احد من الناس يجيبه ولو كان على تمر خاصة . واذا حضر في الوليمة عند احد من الناس أثنى عليه وحمده ودعا له بالبركة . وكان يستحسن مصاحبة المبادلة المترددين [٤٧٤] اليه من الأوغان والترك أهل بخارى ، ويسألهم عن أحوال ملوكهم ومملكتهم ، ومحاصيل بـــلادهم ، وتحديدها وكيفية أطوار أهلها ، ويحفظ من ذلك شيئاً كثيراً . وكان لا يغني نفسه من الجلوس على التراب فإنـــه يقول : ينبغي أن يسلك الانسان سلك التواضع ، فان الكبرياء لله عز وجل .

وكان معاصره الشيخ محمد بن عبد الوهاب في ابتداء حكومته . ولم يخرج عن إرشاد الشيخ محمد قط . فكان الشيخ في أيامه الى أن توفي [٤٧٧] الشيخ ، قبل انقضاء عُمر عبد العزيز بسنيَّات قليلة ، كما مرّ في باب ذكر وفاته .

ثم إنه شيّخ ابن الشيخ محمد وهو ولده الكبير ، الشيخ حسين الضرير ، واكرمه كإكرام أبيه الشيخ محمد ، فبقي الشيخ حسين بمنصب القضاء والحكومة الشرعية مستقلاً بها إلى ان مات عبدالعزيز . فهو الذي غسل عبد العزيز بيده وصلى عليه قبل كل أحد وذلك بوصيّة عبدالعزيز عند احتضاره ، فإنه أوصى بهذا .

والشيخ حسين رجل عالم لم يقصر عن رتبة أبيه إلاّ بشيء يسير . وأمـــا حالة الشيخ حسين ، فإنه كان أعمى بصير القلب يمشي في سكك الدرعية [٧٦] بغير قائده ، ويمضي حيث شاء ويتخطّى أيّ بيت أو موضع أراده ؛ وكان من العجائب أنه يوضع له البسر في طبق فيميّز الأحمر منـــه من الأصفر بالقوّة اللامسة . وقد جُرّب مراراً . هكذا نقل لنا . وكان يقولون أهل نجد هذا الرجل قد نور الله قلبه فهو من أحباء الله تعالى . وقد كان للشيخ حسين زوجة واحدة لم يزد عليها لا بنكاح ولا ملك يمـــين . وكان لا يقبل الضيافة من أحد ولما عرف الناس امتناعه لم يضيّفوه . ولكن [٤٧٧] هو يحب أن يضيف الناس . وكانت

الناس تأوي إليه وتحب مجالسته، لانه عذب اللسان ضحوك يحب الدعابة والمزاح. كان يلبس من الثياب القباء الأبيض ، ويتعمم بالعمامة البيضاء، يلقي عذبتها من قفاه بقدر ذراع ، ولم يلبس الكفية ،وكان يورّس ثيابه ويزعفرها كثيراً ويقول: هذه سنة النبي . وقد مشى أهل الدرعية على منواله في ذلك ، من استعمال الطيب بإفراط . وكان يأكل الرُّز ، ولا يحب الخبز ، وأكله في الحومات [٤٧٨] قليل جداً . نعم اكثر غذائه من اللبن ، يوقعه إلى الرز المطبوخ فيأكله .

٢ تنبيه ثاني في أحوال سعود بن عبد العزيز

لا يخفى عليك أن سعود لما ولي الأمر بعد أبيه كانت هذه أحواله : انه يلبس الثياب النعيم مصبوغة وغير مصبوغة ، وغالب ما يلبسه غميصاً من البزّ الهندي اللطيف، لكنه من الكرباس، وقباؤه فيأخذه من ذلك البز،ولكن يأمر بصبغه باللون العودي او السمائي ، وقلما يلبسه أبيض ، وكان [٤٧٩] يستعمل العباء السود ، التي تصنع بالاحساء من غير طرفيها ، وتخاط بالحرير الأحمر ، وقليلا في حواشيها حرير أصفر أو أخضر أخيطت به على ما هو العادة في خياطة العباءة[١] الاحسائية ويسمى هذا النوع عباءة القيلانية لأن نوع [٢] من الصوف عندهم يسمى القيلاني ، وهو نعيم[٣] جداً يشبه الكلك .

وكان يحمل السيف دائمـــاً ، وسيفه عليــه من الفضــة والذهب والجواهر مُرصع غلافهُ بها على صفحات الذهب من جـــانب أعلاه وأسفله ، [٤٨٠] وكان السيف لم يبرح معـــه حتى في مضجعه في فراشه مــع زوجته لأنه كان غير آمن على نفسه بعد ما قُتل أبيه[٤] عبد العزيز غيلةً ، وقد مرّ بيانه .

---

(١) في الأصل: عباة.
(٢) نوعاً .
(٣) يريد : ناعم .
(٤) الصواب : أبوه .

وكان تحته اربعة [١] نسوة بالعقد وستة [١] جوار من الكرج [٢] . أرسل بعض الناس خفية الى اطراف بلاد الروم فاشتروهن له بقيمة كثيرة . قيل كل واحدة اشتراها بثلاثة آلاف ريال أو أكثر لأنهن متناهيات في حسن الصورة [٣]. وأيضاً له عشر وصايف حبشيات ، [٤٨١] بعضهن أهداه له الشريف حمود أبو مسمار صاحب أبي عريش وتهامة اليمن ، وبعضهن أتوه به القواسم ، أهل راس الخيمة ، مما اكتسب ومن الغنائم .

وقد غَيَّر بنيان البيت الذي كان لأبيه عبد العزيز ، فوسَّع عرصتَه وبنى غرفاً وخلوات ، وعيَّن لكل امرأة موضعاً خاصاً هي وخدمها ، بحيث يكون بينهـا وبين غيرها حائط عظيم لا يتران [٤] من أجله ، وكذلك الجواري القراوج [٥] والحبشيات ، كل واحدة لها [٤٨٢] خدم من الزنجيات وغيرهن ، ولها بيت على حِدَة . وكان الزوجات الأربع يقسم لهن ، ومعناه شرعاً أنه يبات ليلة ويظل منها [٦] عند واحدة واحدة . وأما الجواري فليس كذلك ، بل يدخل عليهن متى شاء ليلاً أو نهاراً فيقضي وطره ، ولم يُقِمْ للبيتوتة أو القيلولة عندهن .

وأما لباس نسائه فكان أطيب لباساً [٧] وغالبه من الحرير الهندي المصنوع بالذهب أحمر أو أصفر أو أخضر أو غير ذلك من الألوان . وكذلك يَلْبَسْنَ [٨] من بز [٤٨٣] الشام الحرير الغال المطرز بالذهب . هذا لباسهم [٩] بالشتاء وأما

---

(١) أربع ... وست .
(٢) في الأصل : القرج ، والمقصود « جورجيا » .
(٣) في الأصل : الصودي .
(٤) لعله يريد : لا يتراءين ، أي لا ترى احداهن الأخرى .
(٥) يعني الكرجيات (من جورجيا) .
(٦) كذا ولعله : ويظل فيها .
(٧) اقرأ : لباس .
(٨) في الأصل : يلبس .
(٩) الصواب : لباسهن .

بالصيف فغالب لباسهن من بعض البز المجلوب من بلاد قسطنطينية كمثل شيء يقال له مرهق وردي اللون أو أزرقه وأرديتهن من العبي القيلانية، على كل عباءة طيران من الذهب طرّزت به . وتصنع هذه العبي في الاحساء وربما صُنعت في الدّرعية أيضاً . هذا إذا أردن الخروج الى زيارة أحد أو ضيافة . وفي بيوتهن ليس عليهن سوى الثياب المذكورة . وقد [٤٨٤] جمّلهن من الحلى شيئاً عظيماً من الذهب المرصع بالجواهر النفيسة من الياقوت الأحمر وغيره، كثيراً مـــا يحب رؤية (١) الفصوص الفيروزج عليهن ، وكان يرسل بعض الناس الى ملك فارس ، فيشترون له ذلك ، وهكذا صنع للجواري ، بل ربمـــا يدس لبعض جواريه البيض شيئاً زائداً .

وكان سعود يترف في المأكول كما يترف في الملبوس . وغالب قوته وقوت عياله الرّز ، وصار أكل الحنطة لديهم قليلاً واتخذ له [٤٨٥] أناساً من أهـــل الاحساء أو القطيف يصنعون له الأطعمـــة الحسنة من اللحوم المقليـــة والطيور المحشية (١) والحلويات الخبيصيّة بالسكّر والبلوج . هذا في بيته ، وأمـــا في المجلس العام ، إذا ضيف (٢) احداً أو ألفاه وفد أو سفير من بعض البلاد ، فأكله مع ذلك اللحم والثّريد وقلّما يأمر حينئذ بإخراج شيء من الرّز في الخوان . وكان يأكل مع الضيوف لا منفرداً عنهم ؛ وفي البيت يجمع أولاده الذكور معه على خوان واحد . واتخذ له [٤٨٦] شربة من الطين المفحور لطيفة جداً تُصنع في الاحساء على هيئة مَشربة البُغدادية بل هي أرق وأذكى . هذا وأما بالنسبة الى طلب الولائم فكان يجيب من دعاه ، ولو كان فقيراً . لكن لما مضى من زمن حكومته قدر ثلاث سنين ، امتنع عن أن يسير الى الضيافة ؛ نعم يضيف الناس ويكرمهم .

وكان معاصره من اولاد الشيخ محمد الشيخ حسين الأعمى ، الذي كان معاصر

---

(١) في الأصل : يحب رئب .

(١) المحشوة .

(٢) أضاف .

ابيه عبد العزيز . وقد تقدم ذكر أحوال الشيخ حسين [٤٨٧] . فبقي الشيخ حسين قاضياً في أيام سعود الى قبل موته بثلاث سنوات ، فمات حسين وغسله أخوه الشيخ عليّ وصلى عليه آل سعود قبل عامة الناس . ودفن بجانب أبيه .

ثم صارت المشيخة ، وأمور الدين ، والفتيا بيد الشيخ علي ابن الشيخ محمد . فأعزّه سعود وأطاعه كإطاعة أبيه الشيخ محمد . إلا أن الشيخ علي ليس بمرتبة الشيخ حسين في العلم والعمل . وكان الشيخ علي يحب النساء جداً . وهو رجل مطلاق ، فهذا شأنه [٤٨٨] أن يتزوج امرأة واذا مضى عليها عنده ستة أشهر أو أقل ، احتج بحجة فطلقها ، حتى قيل إنه نكح ما يزيد على الخمسين أو الستين في مدة ثلاث سنين التي عاصر سعوداً فيها . ولكنه استقر بعد ذلك على أربعة نسوة . وكان رجلاً مهيباً يلبس من أفخر الثياب التي ليست حريراً . ويستعمل الطيب والورس في ثيابه ، ويتعمّم بالعمامة البيضاء ، لاقٍ عذبتها تحت حنكه . وكان لا يحب المجالسة إلا مع آل سعود ، [٤٨٩] ولا يرضى بضيافة أحدٍ له ولا يضيف أحداً قط إلا أهل رأس الخيمة ، فإنهم اذا وفدوا على سعود ، لم يأكلوا إلا عنده وهو يرضى بهم ، ويكرمهم ، وهم يحبونه جداً لأنهم يقولون إذا سئلوا عن إيمان أهل الدّرعية : ما وجدنا فيها غير بيتٍ من المسلمين ، فيتلون الآية الكريمة . وكان الشيخ علي لا يأكل هو وعياله إلا من الهدايا التي يجيبها(١) له القواسم ، لأنه يقول : كلّ ما غنموه أهل رأس الخيمة فهو أحلّ من حليب [٤٩٠] الوالدة . وكان متعصباً في أمور الدين الذي ابتدعه أبوه غاية التعصب ، هذا والله اعلم .

٣ تنبيه ثالث في بيان احوال عبد الله بن سعود بن عبد العزيز

غير خفي على السامع أن عبد الله بن سعود لما ولي الحكم بعد أبيه بنى له

---

(١) أي : يجي بها ، وقد مرّت عند المؤلف حسب النطق الدارج .

ابيه عبد العزيز . وقد تقدم ذكر أحوال الشيخ حسين [٤٨٧] . فبقي الشيخ حسين قاضياً في أيام سعود الى قبل موته بثلاث سنوات ، فمات حسين وغسله أخوه الشيخ عليّ وصلى عليه آل سعود قبل عامة الناس . ودفن بجانب أبيه .

ثم صارت المشيخة ، وأمور الدين ، والفتيا بيد الشيخ علي ابن الشيخ محمد . فأعزّه سعود وأطاعه كإطاعة أبيه الشيخ محمد . إلا أن الشيخ علي ليس بمرتبة الشيخ حسين في العلم والعمل . وكان الشيخ علي يحب النساء جداً . وهو رجل مطلاق ، فهذا شأنه [٤٨٨] أن يتزوج امرأةً واذا مضى عليها عنده ستة أشهر أو أقل ، احتج بحجة فطلقها ، حتى قيل إنه نكح ما يزيد على الخمسين أو الستين في مدة ثلاث سنين التي عاصر سعوداً فيها . ولكنه استقر بعد ذلك على أربعة نسوة . وكان رجلا مهيباً يلبس من أفخر الثياب التي ليست حريراً . ويستعمل الطيب والورس في ثيابه، ويتعمّم بالعمامة البيضاء ، لاقٍ عذبتها تحت حنكه . وكان لا يحب المجالسة إلا مع آل سعود ، [٤٨٩] ولا يرضى بضيافة أحد له ولا يضيف أحداً قط إلا أهل رأس الخيمة ، فإنهم اذا وفدوا على سعود ، لم يأكلوا إلا عنده وهو يرضى بهم ، ويكرمهم ، وهم يحبونه جداً لأنهم يقولون إذا سئلوا عن إيمان أهل الدّرعية : ما وجدنا فيها غير بيتٍ من المسلمين ، فيتلون الآية الكريمة . وكان الشيخ علي لا يأكل هو وعياله إلا من الهدايا التي يجيبها(١) له القواسم ،لأنه يقول :كلّ ما غنموه أهل رأس الخيمة فهو أحلّ من حليب[٤٩٠] الوالدة . وكان متعصباً في أمور الدين الذي ابتدعه أبوه غاية التعصب، هذا والله اعلم .

٣ تنبيه ثالث في بيان احوال عبد الله بن سعود بن عبد العزيز

غير خفي على السامع أن عبد الله بن سعود لما ولي الحكم بعد أبيه بنى له

---

(١) أي : يجي بها ، وقد مرّت عند المؤلف حسب النطق الدارج .

٤ تنبيه في ذكر احوال عامة أهل نجد

لا يخفى عليك [أن] أهل نجد منهم حضر ومنهم بدو . أما الحضر فان لهم أحوال [١] تخصهم [٤٩٤] دون البدو، فنذكرها : أولاً ، أهل نجد الحضر بيوت سكنام كلها جدران ، وليس بنيان بيوتهم طبقات عالية فإنهم لا يحبون علاء البيوت ، بل إذا أحبّ الشخص منهم بناء غرفة ، بناها بأدنى علوّ ، وليس بناء الغرف للكلّ بل نادر ، يوجد في ألف بيت مثلا عشرة بيوت للمتموّلين والعلماء وأهل المنصب . فلو بنى غير المتمول والعالم وذي المنصب غرفة أعابوا [٢] عليه ، لأنه خلاف عادتهم . وبيوتهم [٤٩٥] لها فضاء كبيوت أهل فارس . ومن عاداتهم انهم يجمعون أثاثاً للبيوت كثيراً جداً من الفرش من الزوالي والبسط . هذا ولو كان حال الشخص ضعيفة بحسب المعاش ، فانه يقلّل على نفسه من اللباس والمأكول ، ولا يرضى بقلة فرش البيت إلا إن عجز عن الكل ، كأن يكون فقيراً مضطراً . وأما لحافهم ، فقل ما يوجد المضرب بالقطن عندهم بل أكثر اللحف وغالبها هو الزل والبسط ، [٤٩٦] ولا يستعملون الأسرة إلا الملوك منهم ، يتخذون أسرّة من حطب تصنع عندهم في أرض نجد تسطح [٣] من الليحان أيضاً ، وغالب ظروف مأكولاتهم الصفر النحاس ، وظروف مشربهم الأقداح الخشبية ، وسفرهم التي يوضع عليها أكلهم جلود تستعمل على هيئة مدورة وهي تصنع في نجد ، لكنه جلد مدبوغ .

ومن جملة أحوال أهل نجد عامة ان غالب نسائهم لا يلبسون [٤] إلا الكرباس الأخضر [٤٩٧] أو الأسود . وكثيراً ما يلبسون [٤] الخزّ الأحمر يجلب لهم [٥]

---

(١) أحوالاً .

(٢) صوابه : عابوا .

(٣) في الأصل : تصطح .

(٤) يلبسن .

(٥) لهن .

مـــن أطراف حلب ، والكرباس من نواحي الاحساء والقطيف والبحرين وجوانب اليمن .

وأما لباس رجالهم فالغالب هو الكرباس يلبسونه قميصاً وقلما يلبسون القباء وأكثر لون الكرباس الذي يلبسونه الأديمي اللون يجلب لهم من نواحي عمان أيضاً . وكل من الرجال والصبيان يلبس الكفية شتاءً وصيفاً ، وهي تصنع من غزل القطن [٤٩٨] وصناعها في نفس نجد قليلون ، بل اكثر ما يلقيهم منها من جانب العراق ومن الاحساء كالقطيف . كذلك ومنهم من يلبس على الكفية أيام الصيف عمامة حمراء مخططة بلون أبيض تسمى الرميلي ، وهي تصنع كثيراً في نجد ، وكذا تجاب من الاحساء . ولبس العباءة عند أهل نجد واجب للرجـــال والنساء ، وهي العبـــاءة القيلانية ، لكنها تخص للأغنياء منها ، وسائر الناس يلبسون عباءة شقراء ، تصنع من سائر [٤٩٩] الصوف او عباءة مخططة بأبيض وأسود ، ومثل هذه العباءة تصنع في بلدان نجد ، لكن قليلا ، وأكثر مجيئها من ملك العراق ، ومن الاحساء أيضاً قليلا . وقد تلبس نساء الاغنياء منهم الحرير الهندي الذي يبلغ كل ثوب منه قيمة عشرين ريال او اكثر بألوان عديدة من أحمر وأصفر وأخضر ونحوهـــا من الالوان . وكذا يأتي لهم بعض البز من ملك العجم من يزد وهو حرير طيب خالص يبلغ الثوب عشرة ذهوبة (١) [٥٠٠] أو اكثر فتلبسه نساء المتمولين .

وأما صيغهم في امر حليّ النساء فذاك شيء لا يضبط بالعدد لأنهم يبالغون في ذلك جـــداً ، حتى الفقراء منهم لا بدّ أن يصيغوا شيئاً من الزينة الذهبية لنسائهم قطعاً . وأغناهم يطلبون ادخار الجواهر النفيسة ، مثل الياقوت والزبرجد والفيروزج ، يطلبونه طلباً حثيثاً . وكل هذه الاحجار يستعملونها على نسائهم .

وأما الرجال فيزينون سيوفهم بكثير من الفضة ، [٥٠١] وكذا بنادقهم ،

---

(١) أي قطعة ذهبية .

يلبسونها من أطواق الفضة كثيراً ، وكذا خناجرهم ورماحهم يطيّبونها بالفضة ، وقد يجعلون بعض زينة السلاح من الذهب ، لأن الذهب لا يباح في الشرع للرجال حتى القليـل منه . والمسألة فيها خلاف بين أرباب المذاهب من المسلمين ، بخلاف الفضة للسلاح فجائز استعماله ، وإن كثير ، مع التفريق .

وأما اتخاذ الخيل فقد شاع بين أهل نجد ، ولو كان الرجل عديم المال احترف [٥٠٢] وأتعب نفسه ، حتى يشري له فرساً يركبها ، إذ عندهم ركوب الخيل ألذّ من كل شيء . ولا يتخذون للركوب إلا الخيل النجاب . ومن عاداتهم أن الفرس لا يخدمهـا إلا صاحب البيت بنفسه . فلا يوكل بخدمتها امرأته ، ولا جاريته أصلاً إلا إن عجز . واتخاذ ركض الخيل سار مثل الواجب عندهم ،لا سيا لما أمرهم عبد العزيز ، فانه تأكد بأمره .

وأيضـا من جملة أحوالهم أن أكثرهم يستعمل [٥٠٣] التفق والبندوق ، لكن صفة تفقهم أنه غير ذي خزنة وأن أخشابه كأخشاب تفق الروبائي على هذا الأسلوب والطـرز ، وله فتيلة . وهذا يصنع في نجد ، وكان قبل ذلك يصنع تفق أدنى من هذا في نجد ، وأخشابه متينة وطرحه غير حسن ، وله خزنة . وكان قليل الوجود في نجد . لكن لما استمر أمر محمد بن عبد الوهاب استخرج بعقله وخياله هذا التفق ، وعلّم النـاس صنعته وخواصّه ، فرغّب [٥٠٤] الناس باستعماله وحمْله . فشاع في جميع بـلدان نجد حتى انه اليوم جُلب الى اليمن ، والى أطراف بلد جهَيْنة . وكثير من أرض الحجاز بل أكثر الحجاز بنى بحمله ، وصار له شأنٌ عظيم فيا بين الحضر والبـداة ، وهو لطيف الصنعة ، سريع الرمي ، قليل الخطأ ، بعيد الرمية ، خفيف الحمـل ، متوسط بين الافراط [1] (الطول) والتفريط (القصر) أي وسط . يبلغ قيمة العالي منه عشرة أرْيُل [2] ، والداني ستة أو خمسة والوسط السائر ثمانية أريل . واليوم

---

(١) في الأصل : الافراس .

(٢) جمع ريال .

[٥٠٥] ما بقي أحد من الناس ، حالة السلاح ، حتى الفرسان ، إلا وحمل له تفق واستعمله كذلك ، لأنهم يقولون : جرّبنا فعل التفق ، فوجدناه نعم الناصر الدافع . واعلم أن رمي التفق صار اليوم شعار أهل نجد في ما بين كافة العرب . وهكذا غيرهم ، من عرب الحجاز وتهامة واليمن ومن سواهم أعراب عمان وبني خالد وأهل قطر قاطبة ، اتخذوا التفق ورغبوا فيه ، وربما عرفوا صنعه ، فيصنع عندهم [٥٠٦] في بلادهم ، لكن صنّاعه في نجد أكثر ، وهذا شأنهم كل يوم أو كل يومين ، من ليس في الحرب أو الغزو يجعلون لهم خارج البيوت موضعاً فيرمونه ، ويمرنون صبيانهم عليه . فعندهم مهما بلغ الطفل الذكر خمسة عشر سنة أمروه بضرب التفق ومرّنوه عليه جزماً .

والبارود يصنع عندهم شيئاً كثيراً ، وبارودهم أطيب بارود ، فلا يحتاجون أهل نجد الى جلب البارود [٥٠٧] لهم من ملك آخر . وكان في ما سلف ، قبل خروج محمد بن عبد الوهاب واشتهار عبد العزيز بالسلطان ، كانت بارود أهل نجد يأتيهم من أرض اليمن وبعض من عمان . لكن بعد هذا قد علّمهم الشيخ محمد بعض صفات البارود وأجزائه كما تعلّمه هو من أرض الروم وفارس ، فصارت الحالة هذا الزمن ، بأن يذهَبَ من نجد الى بقية جزيرة العرب ، لأنه اطيب بارود فيها . [٥٠٨] .

ومن جملة عاداتهم أنهم لا تأكل نساؤهم ورجالهم معاً . كذلك الأولاد الذكور ، إذا وصلوا حدّ البلوغ ، لا يأكلون مع أمهاتهم بل مع آبائهم . والبنات مهما كبروا ، بأن وصلوا حدّ البلوغ جلسن مع أمهاتهن على الخوان . وقبل ذلك إن شاءوا أكلوا مع أمهاتهم أو آبائهم لا فرق حينئذ .

وغالب قوتهم الحنطة المجروشة ، تطبخ كالرز ، وتدهن بالدهن الكثير ، وأكلهم في الدهن والسمن مفرط لا يوصف . ويأكلون [٥٠٩] اللحم كثيراً ، وهو أيضاً غالب قوتهم بعد الحنطة . إلا أن أكثر لحومهم لحم الجَزور . فانهم يفضلونه على سائر اللحوم . فاعلم أن الإبل ، التي تنحر عند أهل نجد ، وتباع

لحومها ويرغب فيها الخاص والعـام ، وهي العادة المستمرة في سائر الايام ، هي إبل مخصوصة ،تسمى في اصطلاحهم ، بالفطر ، يكون سنة واحدة أو سنتين أو سنة ونصف ، أنثى تتخذ بالمرعى دائماً وتعلف علفاً جيداً . وانما سميت الواحدة فَطْرى [٥١٠] لأنهـا إذا نُحرت وسُلخت تجد سنامها كلّه قطعة شحم ، وكذا غالب بدنها شحم ضخم كأنها تقصر لحمها بالشحم . وقـد يكون الخبز من دقيق الحنطـة ، لكنهم يثردوه [١] إما بمرق اللحم أو بالحليب أو الروب أو يفتوّنه ويجعلون عليه السمن والعسل ، عند من يوجد له ، أو بدل العسل الدبس ، وهو رُب التمر .

ومن صفات أهل نجد التجارة ، فان كثيراً منهم تجار يسفرون الى أطراف الروم ، وبقية جزيرة العرب . ولم يذهبوا بسِلْعة من نفس نجد الى [٥١١] مُلْكِ الروم ، وانمـا يحملون معاهم الدّراهم النقدية خاصة ، ويأتون من حلب أو الشام بالبز الحرير وغيره ، وكذا بالنحاس ظروفاً ، وغيرها . والحديـد والرصاص أكثر ما يجلبونها من أرض الروم . وقد يسرون أهل نجـد بخَيْل عتاق [٢] الى أطراف مُلك الروم بالتجارة ، لأن خيولهم مرغوب فيهـا عند الأروام ، لِشدّة عدوهـا . وهكذا يجلبون أعراب نجد إبلاً كثيرة الى حلب والشام للبيع . [٥١٢] وقد قال لي بعض الناس : أنا شاهدتُ تجار أهل نجد ، أهـل القصيم منهم ، يبيعون تمراً في دمشق الشام ، وعرفت أنهم يجلبونه من بلادهم . وقد يسافر أهل نجد الى أرض مصر ، لكنهم لم يشتروا منهـا إلاّ السلاح والمرجان. واعلم أن تجارتهم في بقية بلاد العرب كذلك، وغالب مايذهبون به الى هذه النواحي هو الدراهم ويأتون من اليمن بالقهوة كثيراً وبالورس والميعة ولبان [٣] .

---

(١) يثردونه .
(٢) في الأصل : عتات .
(٣) واللبان .

واعلم أن ليس لأجل [٥١٣] تجار أهل نجد خانات معينة للبيع والشراء بل جميع أموال التاجر في بيته ، لكن بيت على حدة عن حرمه ، في جانبه . وأما أهل بيع القليل منهم ، فلهم دكاكين ؛ وليس سوقهم مسقف[1] مثل سوق أهل فارس ، ولا ضيّق كضيقه ، بل سوقهم مكشوف لا سقف له ، وواسع الطريق جداً ، بحيث تمر القوافل الحملة حملة[2] فيه .

واعلم ان أجناس الهند مثل السكر وبلوج والهيل وقرنفل [٥١٤] وقرفة والفلفل وكركم ، ونحو ذلك[4] الأجناس ، كلها مرغوبة عند أهل نجد . وأكثر هذه يجلبونها من بنادر اليمن . وقلما يأتون به من ساحل عُمان . نعم يأتيهم من طريق القطيف والبحرين شيء كثير . واعلم أن أنواع هذه التجارات كلها الغالب في جلبتها هم أهل نجد خاصة ، فانهم تعبيّة[5] النفوس والأبدان وأهل أشغال كثيرة . وقلما يوجد فيهم من يحب الراحة ، ولهم اشتياق [٥١٥] عظيم للسفر وهمة غريبة ، وطاقة عجيبة ، بحيث يمكن الشخص منهم ان يتغرب عن أهله ووطنه مدة عشرين سنة او اكثر ؛ وأن يسافر عن بيته الى مُلك الصين مثلاً . كما أن كثيراً من تجارهم اليوم جلوس ونزول في حلب وفي دمشق الشام ، ومنهم من هو في مصر . ولكل واحد من المدة عشرين سنة بل أكثر .

وأيضاً من جملة أحوال أهل نجد الحضر منهم أنهم يتعاطون الزروع كثيراً ، [٥١٦] ويستعملون غرس الأشجار والنخيل ، ويُتعبون أنفسهم عليها جداً . وكذلك لأهل الحضر منهم غنم وبقر وابل ، وإن لم تكن كثيرة ، لكن لا بدّ لهم منها ، بقدر ما يسع المعاش ، لأجل الحليب واللحم والركوب .

---

(٢) صوابه : مسقفاً (أو مسقفة) .
(٣) كأنه يريد : الحملة أحمالاً .
(٤) تلك .
(٥) في الأصل : تغبية .

وأما أحوال بدو نجد فإنهم أهل بيت شعر خاصة ، ولا لهم غير المواشي شيء ، ولا يردون بأهاليهم البلاد أصلا . ولا يأتي الرجال منهم لأجل التجارة إلا إذا قحطوا ، فإنهم يدخلون المدن [٥١٧] والقرى بأهاليهم . نعم بعض العرب منهم من يذهب بامرأته او أخته أو أمّه أو بنته معه الى حيث شاء في السفر لأجل استكالة الطعام، وبيع بعض سلعهم(١) من السمن والصوف والحيوان لأنهم يقولون : نظر المرأة في ذلك أقوى ، ولا يحبون أن يفعلوا شيئاً بغير رضاء نسائهم ، من أمور البيت والمعاش، لا غيرها .

وأيضاً اعلم أن أكل البدو لا فرق فيه عن أكل الحضر ، وشربهم كشربهم بتلك [٥١٨] الآلة . وأما لباسهم فأنه كلباسهم إلا أن بعض نساء البدو يلبس درعاً من الصوف ، والحضر لا يستعملونه أصلاً .

وأما أحوالهم من حيث الصنايع فإن السيف يُصنع عندهم ، وغالب ما يصنع في الدّرعية اليوم ، وفي بُريدة ، وبلاد سُدير . وهكذا أسنّة الرماح يصنعونها ، والخناجر كذلك . ومن جملة صناعهم الذي يصنعون سروج الخيل . ومنهم من هو نجار [٥١٩] الأبواب ونحوها . ومنهم صاغة للذهب والفضة ، ومنهم خياطون للعباءة وغيرها من الثياب . لكن العادة جرت بينهم حسب الاصطلاح ان لا يخيط ثياب النساء إلا النساء خاصة . وأما بعض النساء فيخطن ثياب الرجال كما هو الشأن عند كل العرب بل والعجم والروم . ونقل لنا أن كافة المسلمين على ذلك . ومن بعض صنايع أهل نجد الحياكة ، إذ فيهم حياك للعباءة والكرباس [٥٢٠] وهؤلاء أيضاً قليلين(٢) . هذا ما تبيّن لنا من أحوالهم والله أعلم .

---

(١) في الاصل : سلفهم .

(٢) قليلون .

الخاتمة

خاتمة نختم بها الأبواب على ما سبق به الوعد في أول الكتاب ، وهي تشتمل على فصلين : الفصل الاول في بعض الأصول ، وما وقع فيها من رد أهل الملة عليه. فلنذكر أولاً مسائل من عقيدتهم :

المسألة الأولى :

قال محمد بن عبد الوهاب : كل معبود من دون الله تعالى باطل وطاغوت . قال الله تعالى (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) [1] [٥٢١] وجه الاستدلال بهذه الآية أن جهال العرب كانوا يعبدون الأصنام وغيرها ويتقربون اليها ؛ فلما بعث محمد ﷺ تبعه من تبعه منهم فجعل الكفار يعذبون من أسلم به حتى يفتنوهم عن دينه وقد فتنوا بعضاً من المسلمين ؛ ولما هاجر النبي واجتمع به المؤمنون في المدينة ، أمر ﷺ بعموم قتال الكافرين ، مع أنهم كفوا إذاً عن إيذاء من أسلم . ولولا بطلان عبادة غير الله [٥٢٢] ، وفسادها ، لما جاز قتلهم بغير ذنب فهو الذنب الأكبر الذي لا يغفر إلا بالاسلام والتوحيد .

المسألة الثانية :

قال : عامة الناس اليوم غير موحدين لأنهم يعبدون غير الله تعالى فاستوجبوا

(١) سورة البقرة : ١٩٣ .

القتل لذلك ، كما استوجب كفار العرب عند بعثة النبي ﷺ سواء . ومما يدل على كفر الناس وإشراكهم أنهم يتقربون الى الله بزيارة قبر الرجل الصالح من نبيّ أو وليّ ويدعو [٥٢٣] بعضهم بعضاً بالدعاء المختص بالله سبحانه وتعالى ، من طلب جلب المنافع ، ودفع المضار التي لا يقدر عليها سواه . والدليـــل على أن هذا التقرب والدعاء شرك قوله تعالى (قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله)(١). وجه الاستدلال أن الله قد أمر نبيّه وحبيبه محمداً ﷺ بأن يتحاشى عن اعتقاد جلب النفع وبلوغ الضر لنفسه من نفسه ، فكيف حال من هو تابع له في اعتقاده حصول النفع وسلب الضر [٥٢٤] لنفسه من عند غير الله تعالى ؟ فهذا أولى بالابعاد عن هذا الاعتقاد .

المسألة الثالثة :

قال : ومن الشرك المحرم إدخال اسم نبي أو وليّ أو مَلَك في الدعاء لله ، مثل أن يقول الشخص : اللهم إني أسألك بحق محمد أو علي أو جبرائيل ونحوه . والدليل عليه قوله عز من قائل : (إنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً)(٢) وجه الاستدلال: أن الله هو [٥٢٥] المعبود بالحق ، والعمل الصالح هو العبادة ، ولا يرضى الله تلك العبادة إلا بأن تتمحض له ، فإذا ذكر غيره في دعائه فقد أشرك بعبادته ، لأن الدعاء مُخ العبادة لقوله تعالى : (فلا تدعو مع الله أحداً)(٣) أي تعبــــدوا ، كما قاله المفسرون .

المسألة الرابعة :

قال : ومن الشرك بالله طلب الشفاعة من غيره والدليل على ذلك قوله تعالى :

---

(١) سورة الاعراف : ١٨٨ .
(٢) سورة الكهف : ١١٠ .
(٣) سورة الجن : ١٨ .

(من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه)[1] وقوله جل وعلا : (لا يملكون [٥٢٦] الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً)[2] وجه الاستدلال بهذين الآيتين أن الله تعالى نفى أن يشفع أحد من خلقه للعصاة منهم ، إلا بعد أن يأمره بالشفاعة . ولم يتحقق أمره لأحد بها في الدنيا . فطلبها اذاً ، ممن لا يملكها ، إشراك لله في ملكه .

المسألة الخامسة :

قال : ومن الشرك بالله النذر لغيره ، لقوله تعالى : (وليوفوا نذورهم وليطوّفوا بالبيت العتيق)[3] بيان [٥٢٧] هذا الدليل أن الله سبحانه وتعالى قرَن الأمر بإيفاء النذر بالأمر بالطواف ، والطواف بالكعبة عبارة لا تكون إلا لله ، فكذا النذر يتمحّض له لحل المقارنة المذكورة ، فمن أضاف النذر لأحد من الخلق ، فقد أدخل في عبادة الله غيره قطعاً .

المسألة السادسة :

قال مما يوجب الكفر ادّعاء علم لا دليل عليه من الكتاب أو السنّة أو قاطع من العقل بالضرورة [٥٢٨] فانه غيب ولا يعلم الغيب الا الله . قال الله تعالى (ولا يُظهر على غيبه أحداً)[4] . وقال عزّ من قائل (ولله غيبُ السموات والارض)[5] الآية . فاذا ادعى الانسان علم الغيب فقد جعل نفسه شبيهاً لله في علمه ولا شبيه له ، ومن صير لله شبيهاً فقد كفر .

---

(١) سورة البقرة : ٢٥٥ .
(٢) سورة مريم : ٨٧ .
(٣) سورة الحج : ٢٩ .
(٤) سورة الجن : ٢٦ .
(٥) سورة النحل : ٧٧ .

المسألة السابعة :

قال : منكر القَدَر في جميع الأشياء ملحد ، والدليل عليه قوله تعالى (وكل شيءٍ عنده بمقدار) (١) وقوله عز شأنه [٥٢٩] (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين) (٢) فقد دلت هاتان الآيتان صريحاً على أن الله مريد الكائنات في الأزل إلى وقتها . فمن نفى ذلك فقد أنكر صريح القرآن ، ولا ريب في كفره جزماً .

المسألة الثامنة :

قال : كل من يذهب الى تأويل القرآن فقد كفر لقوله تعالى : (ولا يعلم تأويله إلا الله) (٣) . فاذا قال أنا أعلم تأويله ، فقد كذّب القرآن ، وكُفْرُ مثل هذا غير خفي على المسلمين . انتهى بعض أصول العقيدة . [٥٣٠]

وهذه مسائل كان يطرحها على العلماء ويطالبهم في جوابها ، ولذا اشتهرت حتى إنها لم تدوّن كبقية الأصول .

تنبيه يُذكر فيه أجوبة الأسئلة (٤)

أما المسألة الاولى فمبنية على المغالطة ، ويظهر سرها في المسألة الثانية ، وهو قوله : عامة الناس اليوم غير موحّدين لأنهم يعبدون غير الله الخ . فانها دعوىً لا دليل عليها . كيف لا وليس التوحيد شرعاً إلا افراد الرب بالذات [٥٣١] والصفات والأفعال والعبادة ومعناها عرفاً الخدْمَةُ ، على قصد القُرْبة ، أي

---

(١) سورة الرعد : ٨ .
(٢) سورة التكوير : ٢٩ .
(٣) سورة آل عمران : ٧ .
(٤) في هذه الناحية يحاول المؤلف مناقشة بعض المبادىء التي جاء بها محمد بن عبد الوهاب ، وواضح أنه يتمسك بالناحية النظرية في ردوده ، بينما كان ابن عبد الوهاب يرمي الى محاربة ما ساد عملياً ، بين الناس ، والمصلح انما يعالج شئون المجتمع ، كما يراها في واقع الحال ، لا في أذهان المناظرين .

طلب الثواب والمنزلة بوجه قرره الشارع . واذا كانت الحالة هذه فمن الذي يعبد غير الله من المسلمين ؟ فأما زيارة قبر الصالح تقرّباً الى الله ، فحق يطلب به الزائر التقرّب الى الله ، أي طلب الثواب من الله ، لا من القبر وصاحبه . بل جعل زيارته وسيلة لزيادة الأجر عند الله ، من حيث تعظيمه تربة وليّه أو نبيه . ولا ريب [٥٣٢] في أنه تعالى يُحِبُّ أولياءه وأنبياءه ، فإذا عظّمهم أحد لوجه الله لا غير ، فماذا عليه ؟ أيستوجب الذمّ عند الله من عظّم حبيبه لأجله مع انه لم ينه عن الزيارة ؟ والأصل في الأشياء الحليّة والإباحة حتى يرد النهي . على أن رسول الله ﷺ كان يزور قبور أصحابه ، والسلف كذلك .

أما قوله : ولأنهم يدعون بعضهم بعضاً بما هو مختص بالله تعالى فما هذا إلا افتراء منه إذ ليس احدٌ [٥٣٤] [1] من المسلمين يدعو أحداً من الصالحين بما اختص الله به ، بل يطلب من الله الخير خاصةً .

قوله : ومن الشرك المحرم إدخال اسم نبيّ أوْ وَليّ في دعاء لله ... الخ . فجوابه لا يتصور عاقل أن إدخال اسم نبي أو وليّ في الدعاء والطلب من الله شرك لأن إدخاله على وجه التوسل به الى الله تعالى ، لمحض إجابة الدعاء منه عز وجل . فالمدعو هو المقصود بإرادة الخير منه لا الواسطة في [٥٣٥] الإجابة ، ومن المعلوم أن الدعاء تضرع وخشوع لمن هو بالغ في العزّة وهو الله تعالى . وكلما جعل واسطة من أحبائه اليه كان الدعاء أقرب للإجابة مع أنه جاء في شرع بني اسرائيل ، من قبل موسى ، أن يوسف بن يعقوب لما أُنزل في الجُبّ أو سُجن دعا ربه متوسلاً بآبائه يعقوب واسحاق وابراهيم عليهم السلام . فلو كان التوسّل بذكر عباد الله الصالحين في الدعاء إليه شركاً ، لما فعله [٥٣٦] نبيّ الله يوسف عليه السلام لأن الشرك محرم قبيح في كل شرع على الاطلاق ، وإن الانبياء عليهم السلام إنما بُعثوا لتقرير التوحيد ، وافراد الله بالعبادة ، فهم متّحدون بأصول الشرائع وإن اختلفوا في فروعها ، كما هو الواقع . ولنا أيضاً أن الصحابة رضي

---

(١) لاحظ أن واضع أرقام الصفحات قد أخطأ هنا اذ حق الرقم أن يكون ٥٣٣ .

الله عنهم ، كانوا يدعون الله متوسلين إليه بنبيه محمد ﷺ في عهده ، وبعد وفاته ، عليه الصلاة والسلام . وهذه كتب الأحاديث والسِّيَر ناطقة بذلك .

قوله : ومن [٥٣٧] الشرك بالله طلب الشفاعة من غيره ، اعلم أن الشفاعة طلب العفو للغير ممن وقعت في حقه الجناية . وقد أجمع [١] أمة محمد ﷺ على ثبوتها ووقوعها للنبي محمد صلى الله عليه وجواز طلبها منه في الدنيا في حياته ، وبعد مماته عليه الصلاة والسلام ؛ كما أن طلبها منه جائز يوم القيامة بالاتفاق ، ولم يخالف في ذلك إلا المعتزلة لنفيهم الشفاعة عقـــلا وردّهم مبسوط في كتب الكلام . وإجماع أهل كل عصر حجّة على أهل عصر بعده الى [٥٣٨] انقراض الدنيا ، كما تحقق في قوة أصول الفقه على الصحيح . وقد دلت الآية الشريفة على وقوع الشفاعة لمحمد ﷺ واعطائهـــا له ؛ وهو قوله تعالى : (ولسوف يعطيك ربك فترضى) [٢] وخبر الله محقق لانتفاء الزمان عنه ، لكن حصول أثرهـــا موقوف إلى يوم الدين ، إذ لا مؤاخذة عندنا في غيره كما تضافرت به النصوص كتاباً وسنة .

قوله : ومن الشرك بالله النذر لغيره ، هـــذا محل تفصيل في الجواب [٣] ، فنقول : النذر لغة الوعـــد بشرط [٥٣٩] وشرعاً التزام قربة لم تتعين في أصل الشرع . إذا عرفت هذا ، فالنذر هو لله ، لأن القربة له لا لغيره بالإجماع . فإذا نذر الشخص نذراً لمخلوق نُظِر الى قصده ونيته إذ الأعمال بالنيّات . فان قال : قصدتُ بهذا النذر وجه الله ، لكنني أريد ثوابه لهذا الولي أو النبي مثلا ليُثيبني الله اعظمَ من ذلك لحصول نفع دُنيوي وأخروي ، فمثل هذا لا يكون نذره لغير الله إذ النية معتبرة اولاً وبالذات . وإن [٥٤٠] أطلق ولم ينو النذر لله

---

(١) قوله : وقد أجمع : تعميم غير صحيح ، وهو نفسه سيذكر أن المعتزلة لم تدخل في هذا الاجماع .

(٢) سورة الضحى : ٥ .

(٣) ليس أشد برهانا على أن المؤلف يوجه الاحكام وجهة خاصة ، من هـــذا الذي يقوله في حال « النذر » : وهو أمر واضح في الشريعة لا يحتاج هذه التحيلات .

بل قال عليّ نذر او قال لفلان ؛ انصرف لله تعالى جزماً ، لأن القربة [1] إذا أُطْلِقتْ ولا تقيد انصرفت اليه ، إذ لا قربة إلا له . وان قال الشخص : قصدت بنذري هذا لفلان وجهة وتقرباً إليه فنذره على ذلك التقدير حرام شرك باطل لا ينعقد ، وتجب توبته في الحال اتفاقاً ، ولكن هذه الحالة لا تختص بالنذر بل كل عبادة نُصَّ عليها في [٥٤١] الشريعة .

كذلك قوله مما يوجب الكفر ادّعاء علم لا دليل عليه . . . الخ . لا يخفى على من له مسكة ، أن ادعاء علم الغيب حرام نهى الشارع عنه إلا ادعاءه ممن أطلعه الله عليه ، من رسول او وليّ ، لقوله عز من قائل (إلا من ارتضى من رسول) [2] (الآية) . فاذا عُرِفَ حالُ الشخص بقرائن عقلية ودلائل نقلية أنه من أهل الله عز وجل ، عُلِمَ قطعاً أن ما يقوله حقّ وإن لم يسنده الى دليل [٥٤٢] وحجة ، إذ الكشفُ والإلهام والاطلاع وراءَ ما تطّلعُ عليه عقول الأنام ثابت شرعاً بغير كلام ، لقوله تعالى : (وعلّمناه من لدنا علماً) [3] . وقوله ﷺ اتقوا فراسة المؤمن ، فانه ينظر بنور الله . واذا كان المؤمن هذا شأنه أن يرى بنور الله ما لا يراه غيره ، فما بالك بالوليّ المقرّب .

وقوله : منكر القدر في جميع الأشياء كافر . . . الخ . القدَر في عرف الشرع هو ارادة الله الاشياءَ في الأزل على وجه مخصوص [٥٤٣] وقدر معين ، مثل القضاء ، ومنكره إن كان عن شبهة أسنده اليها ، فلا يكفر على الصحيح ، بل هو مبتدع بالإجماع . وإن لم يكن عن شبهة اعترته بالنظر في الادلة الشرعية ، بل أنكره عناداً او تَجحّدهُ لما عرفه من الاقيسة العقلية المحضة ، فقد كفر لمخالفته الشرع الشريف ، بغير متمسّكٍ منه ولو اشتباهاً فلا يُعذَرُ إذن بالاتفاق ، فتعميم الكفر لمنكر القدر ، لا يطابق ما عليه علماء الاسلام ، [٥٤٤] كما تقرر

---

(١) في الأصل : قرب .
(٢) سورة الجن : ٢٧ .
(٣) سورة الكهف : ٦٥ .

في علم الكلام . وقد نبّه على هذا التفصيل الشيخ ابراهيم اللقّاني في الجوهرة[1] . وقد كانت المعتزلة تنفي كثيراً من القدر ومع ذلك لم يُكفّرْهم به المسلمون وانما نهاية ما قالوا فيهم انهم مبتدعة .

وقوله : كل من يذهب إلى تأويل القرآن . . الخ . التأويل لغة تفعيل من «الأوْل» بمعنى الرجوع ، وعُرفاً صرف اللفظ عن ظاهره لما يحتمله عقلاً لقرينة . وقد جُوّزَ تأويل ما ليس بظاهر الدلالة [٥٤٥] في الحديث بلا خلاف ، لتوقف الجمع بين الأحاديث عليه عند التعارض . وأما التأويل في القرآن فلا يخلو : إما تأويل للمحكم منه وهو ما دلالته على معناه ظاهرة ، أو تأويل للمتشابه ، وهو ما دلالته على المقصود غير ظاهرة ، فالأول ممنوع بالإجماع ، ولهذا قبّح أصحابنا على الباطنية وقالوا ببدعتهم ؛ بل قالت الحنابلة بكفرهم قطعاً . والثاني اختار الأئمة الأربعة عدم التأويل فيه ، وتبعهم [٥٤٦] البعض على ذلك وسمّوا بالمفوضة ، وكانوا يحرّمون التأويل ويتحاشون عنه جداً . ولكن تبعة الإمام أحمد كلهم على ما كان هو عليه من نفي التأويل والحكم بتحريمه وتبديع مرتكبه ، هكذا اشتُهر عنهم . وأما جمهور تبعة الأئمة الثلاثة فقد أخذوا بتأويل المتشابه وجوّزوه بل أوجبوه للتوفيق الواجب بين الأدلة اتفاقاً مع الإمكان ، فلا ينبغي لمسلم عرف قواعد [٥٤٧] الشريعة واصول الملّة ان يحرّمها ، والله المستعان .

---

(١) يعني جوهرة التوحيد ، وهي منظومة في علم الكلام للشيخ ابراهيم اللقاني المالكي (ت ١٠٤١ هـ) وله عليها ثلاثة شروح . (انظر كشف الظنون ١ : ٦٢٠) .

الفصل الثاني في بعض مسائل من فروعه التي مشى فيها على غير مذهب الامـــام احمد والا فهو حنبلي المذهب بحسبها

١ مسألة : مما أوجبه محمد بن عبد الوهاب على الناس عيناً الصلاة جماعة . ولم ينقل هذا من مذهب الإمام أحمد ولا غيره .

٢ ـ مسألة : مما أفتى به تحريم شرب التتن ، ووضع له حـــداً في شرع : من ضرب قدر أربعين [٥٤٨] سوطاً أو أقل ، ومن حلق لحيتـــه ومن سبّ حسب ما يقتضي رأي القاضي من أحد هذه الثلاثة ، وهذه بدعة ما حكِيَتْ عن مذهب أحمد (رض) ولا عن غيره . نعم اختلف العلماء في شرب التتن فقال بعضهم حرام ولم يرتب له حداً بل زجراً ونصيحة . وقال جمهورهم بحليته إما مع الكراهة أو مطلقاً .

٣ ـ مسألة : وكان يوجب على الناس دفع زكاة أموالهم الباطنية كالنقود ومال التجارة الى الإمام [٥٤٩] أي سلطان المسلمين ، وهو يفرّقها لمستحقيها ، وكان يأمر بالتجسّس عمـــا عند الناس من الأموال الباطنة ليأخذ الإمام زكاتها قهراً منهم ، مع ان هذا غير المعهود من مذهب احمد بل المندوب فيه هو دفع زكاة الأموال الظاهرة خاصة للإمام ليصرفها لأهلها إذ هو أجدر بالتفحص ؛ والأموال الظاهرة الحبوب المحصلة من الزروع والثمار الحاصلة كل عـــام من

الأشجار والإبل والبقر والغنم المقتناة [1] [٥٥٠] .

٤ – **مسألة** : وقد حكم بتحريم ذبيحة من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ وأحلتها أحمد بن حنبل وأصحابه اكتفاء بظاهر الإسلام ، عملا . وهو الحق .

انتهى ما في الخاتمة ونسأل الله حسن الخاتمة .

---

(١) في الأصل : المقتنية .

إلحاق

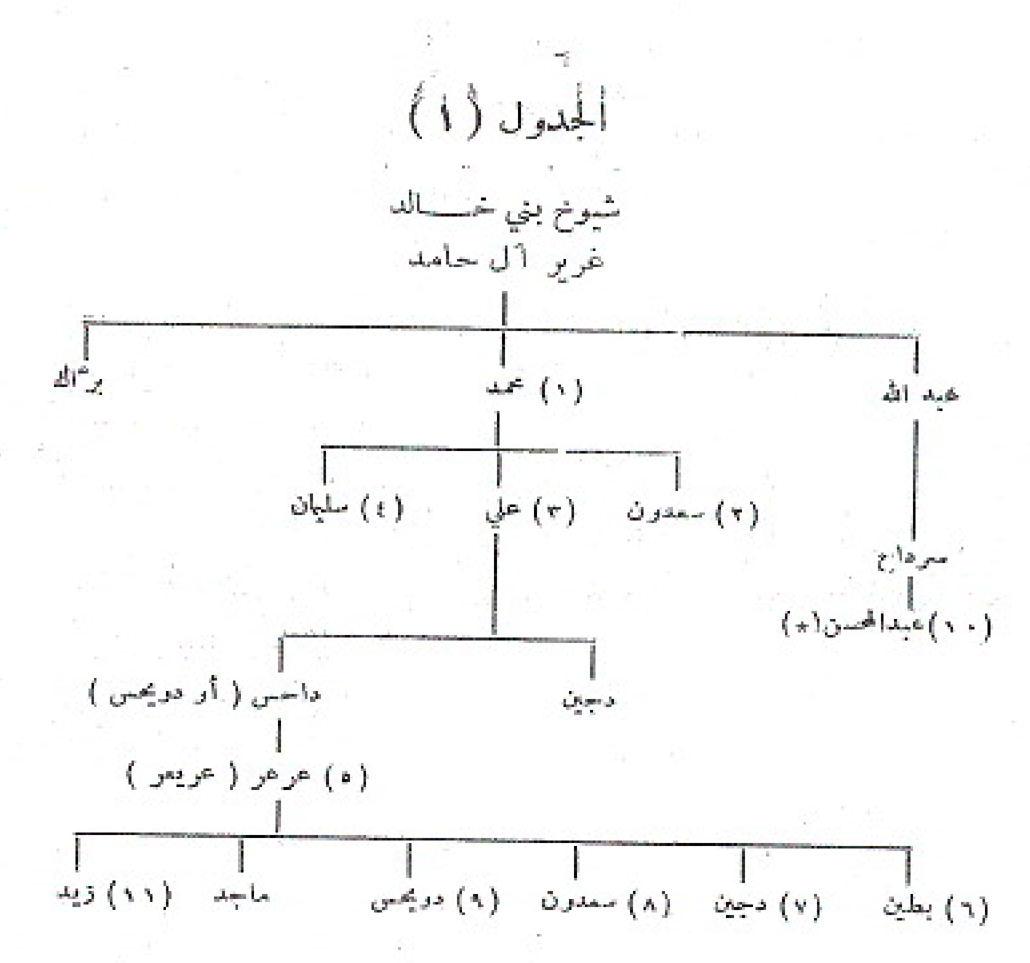
قد ورد خبر عن حرب الروم مع عبدالله بن سعود محققاً يوم الثاني والعشرين من شهر محرم الحرام سنة الف والمائتين وثلاث وثلاثين وصورته أن عسكر الروم كان بالرس [٥٥١] من بلد القصيم ثم ألفاهم مزيد عسكر من مصر قد أتى على طريق ينبع البحر فاتصل بعسكر ابراهيم باشه ، وكان ذلك العسكر الآتي جديداً عدده عشرين ألفاً فارتحل ابراهيم باشا من الرس بالعسكر كله ، قاصداً عبد الله ابن سعود في بريدة ، فلما سمع بذلك عبدالله خرج مع عسكره من بريدة ودخل عنيزة من بلد القصيم ، وهي مدينة كبيرة ، فيها ذخاير عديدة ظناً منه ان عنيزة أضبط للحماية ، [٥٥٢] وان بريدة أيضاً تحفظ عن الروم اذا خلي العسكر منها لئلا يضيق بأهلها المعاش من كثرة الخلق . ولما بلغ ابراهيم باشه هذا الخبر أرسل على بريدة عسكراً فحاصرها ثلاثة أيام ، ودخل حصنها قهراً ، وتوجه هو مع معظم عسكره نحو عنيزة فهو الآن حولها . وقد ضاق الأمر على عبدالله بن سعود . هذا والله اعلم بما كان بعد ذلك . انتهى .

فائدة مجتهد

وأهل السنة وأئمتهم في الاصل عشرة [٥٥٣] الإمام الشافعي والإمام المالك والإمام أبو حنيفة والإمام احمد وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة والليث بن سعد والاوزاعي واسحاق بن راهويه وداود الظاهري فالأربعة الأئمة المشهورون شاعت مذاهبهم وكثرت اتباعهم كما ترى والأئمة الستة الذين ذكرناهم هاهنا اضمحلت مذاهبهم لقلة أتباعهم . انتهى بحمد الله تعالى على ما وفقنا بإتمامه .

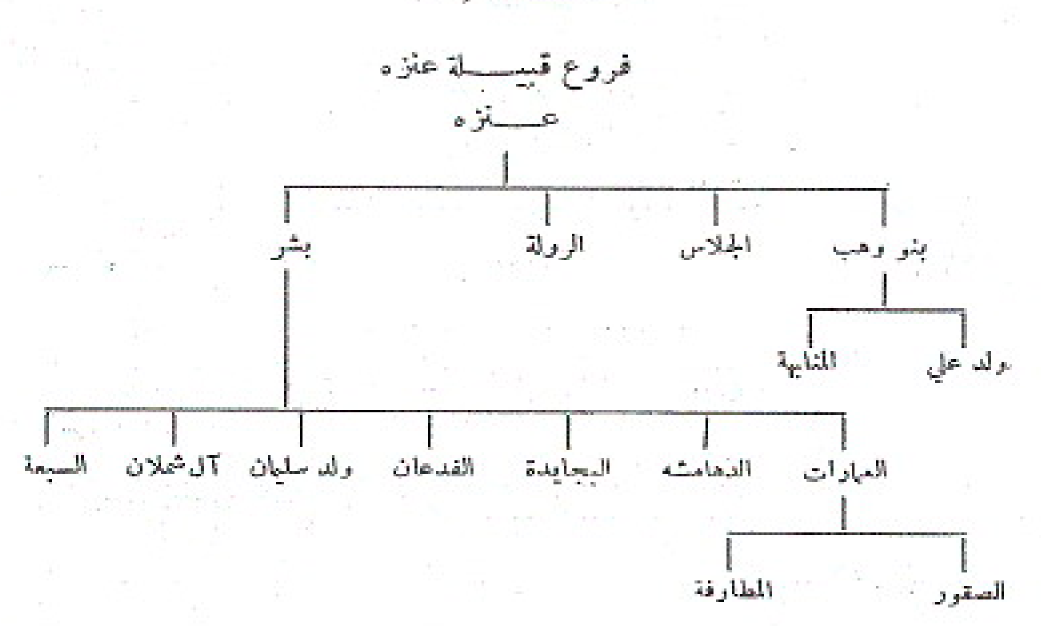
وقع الفراغ من تحرير هذا الكتاب في يوم السبت السادس والعشرين من
شهر محرم الحرام سنة ثـــلاث وثلاثين بعد المائتين والألف سنة
١٢٣٣ كتبه العبد الجاني حسن بن جمال بن احمد الريكي.
تمت بالخير

الجدول (١)

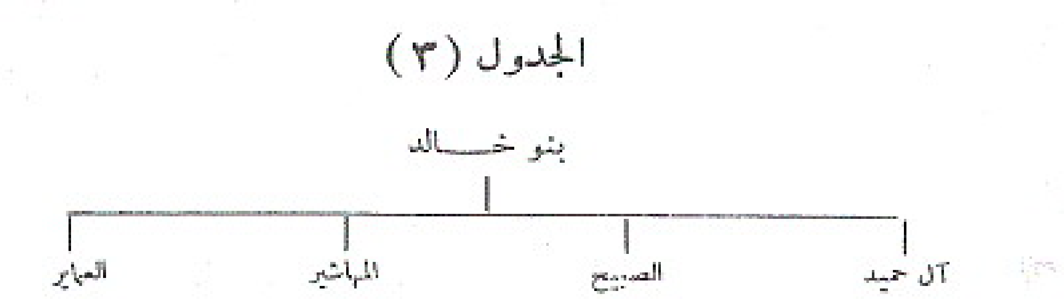


(*) كان عبد المحسن (١٧٨٦ – ١٧٩١) هو صاحب النفوذ الفعلي في أيام دويحس وزيد. ويقول المؤلف انه بموته انتهى حكم الخوالد.

الجدول (٢)



الجدول (٣)



الجدول (٤)

أمراء آل سعود الذين ذكرهم المؤلف

سعود

|

محمد (أمير نجد الجنوبي حتى وفاته سنة ١١٧٩)

|

عبد العزيز (١١٧٩ - ١٢١٨)

|

سعود (١٢١٨ - ١٢٢٩)

|

عبد الله (١٢٢٩ - ١٢٣٤)

فهارس الكتاب

فهرست الاعلام والاماكن والقبائل

— غ —

— ف —

— ن —

— هـ —

— و —

— ي —

أسماء الكتب

مراجع التحقيق

روضة الأفكار والأفهام ، لابن غنام الاحسائي

عنوان المجد في تاريخ نجد ، لابن بشر (مكة ١٩٣٠)

الدرر المفاخر لابن البسام النجدي (مخطوطة المتحف البريطاني رقم ٧٣٥٨)

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة

قلب جزيرة العرب لفؤاد حمزة (القاهرة ١٩٣٣)

الفتح المبين المبرهن سيرة السادات البوسعيديين لحميد بن محمد بن رزق (مخطوطة كيمبردج رقم ٢٨٩٢)

السيرة الجلية المسماة سعد السعود البوسعيدية (مخطوطة كيمبردج رقم ٢٨٩٣)

صحيفة القحطانية لحميد بن محمد بن رزق (مخطوطة اكسفورد)

معجم الانساب والاسرات الحاكمة لزامباور (الترجمة العربية)

Low, History of the Indian Navy (London 1877)

H., Jones Brydges, The Wahauby (London 1837)

Longrigg, Four Centuries of Modern Iraq (Oxford, 1925).

محتويات الكتاب

---

(١) حدث سهو هنا اذ جعل هذا الباب قسماً رابعاً من فصول الباب الاول .

بيان الأخطاء [1]

ص	س	الخطأ	الصواب
٢٣	٤	كهيرا	كثيراً
٣٥	٦	مسمود	سمود
٦٢	١٣	بالفر	بالفرع
٧٥	١٥	تاورت	تاروت
٨٢	٢١	وجبنه	وجينه
٨٤	٧	آله	آل
٩٣	١٢	يعزو	يغزو
١١١	١٥	موافقة (كذا بالاصل)	مواقعة
١٣٤	٣	شمار	مسمار
١٩٣	١٢	لدننا	لدنّا

(١) وقعت في الكتاب بعض أخطاء لا تخفى على القارىء ، وننبه هنا لما عثرنا عليه منها .

تم طبع هذا الكتاب بعون الله وتوفيقه
في
مطابع بيبلوس الحديثة ، بيروت
وذلك في شهر أيار (مايو) سنة ١٩٦٧